

دكتورهاشم جوده

العقائد المسيحية

بين

القرآن والعقل

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

دكتورهاشم جورة

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بأسبوط

الحقائب المسحبة بين القرآن والعقل

«وما من إله إلا إله واحد»

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

مطبعة الأمانة
٢ شارع جندرية بداران شمس - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من نهلتُ من نبع حكمتها أشهى روائع الحكم .
وتعلمتُ في رحب ساحتها أجل فضائل القيم .
وهزمتُ من فوق قمتها أشد أنواع الألم .
واستلهمتُ من فيض قوتها أدق أسرار القلم .
إلى الحقيقة وإلى الباحثين عنها في كل مكان .
أقدم هذا البحث الجاد هدية وتحية .
واجياً الله سبحانه أن ينفع به قراءه حينما كانوا ، وكيفما كانوا .
وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين ؟

دكتور هاشم جوده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قِيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيها أبداً ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

والصلاة والسلام على من بلغ هذا الكتاب المعجز الخالد إلى الناس كما أنزله — الله — عليه آية آية ، بل حرفاً حرفاً ، دون أدنى تغيير أو تبدل ، ولا زيادة أو نقصان ، فتلقفته الكافة من أصحابه عليه الصلاة والسلام فأودعوه في سويداء القلوب ، وحشاشات النفوس ، وحفظوه في مكثون العقول ومسطور السكتب وذادوا عنه بالمهج والأرواح ، حتى بلغوه إلى من بعدهم كما أخذوه من فم نبيهم لا يزيدون حرفاً ولا ينقصون حرفاً ، ولا يبدلون آية مكان آية ، ولا كلمة بدل كلمة ، وبلغه من بعدهم إلى من دونهم كما أخذوه من أفواه الصحابة — رضوان الله عليهم — دون ما تحريف ولا تبدل .

وهكذا ظل كل جيل يحوط هذا الكتاب العزيز بمزيد العناية وموفور الرعاية ، جامعاً في ذلك بين الصديق والسطور ، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر في حفظ هذا الكتاب الكريم ، حتى يسلمه إلى الجيل الذي يليه إلى أن وصل إلينا غضا طرياً كما أنزله الله — عز وجل — ، وسيظل كذلك بإنشاء الله — تعالى — إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وبعد ... فقد لزمنا محراب القرآن الكريم ، والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وما دار في فلصكهما من مؤلفات زهاء خمس سنوات أو يزيد ، نتحسس جرسهما ، ونسمع همسهما ، ونقتبع خطوها ، ونستجلى أسرارهما ، ونستنطق أخبارهما ، بحثاً عن موضوعنا الذي اخترناه لرسالة الدكتوراه وهو : « نوح عليه السلام في القرآن والتوراة » .

وبينما كنا نسبح في هذا البحر الواسع طلباً للبنية وتحقيقاً للمراد ، كان يعرض لنا من القضايا والمشكلات ما هو في نظرنا جد جدير بالبحث الهادئ العميق والدراسة المستأنية الجادة ، ولم نكن بالطبع نضع شيئاً من ذلك في بؤرة التفكير المركز لامتلائها آن ذاك بموضوعنا السالف الذكر ، حتى إذا فرغنا من هذا الموضوع وأتم الله لنا به المراد ، تآقت النفس الطامحة إلى التطواف مرة أخرى في هذا الخضم الزاخر ،

فعدنا من جديد إلى رحاب القرآن المجيد ، والكتب المقدس لا نبحث في هذه المرة عن نوح عليه السلام وطوفانه ، واسكن بحثاً عن الحقيقة المجردة في موضوع شغل الناس في القديم والحديث ألا وهو ما يقول به المسيحيون من صلب المسيح وعقيدة الثالوث .

وقد توخينا في هذا البحث المنهج العلمي الجاد ، والمنطق العقلي السليم ، يعيدنا كل البعد عن الهوى والتعصب لأنه لا غرض لنا بما نكتب إلا إبراز حقائق هذا الموضوع ، كما هي في هذين المصدرين ومناقشتها بما يبين صحتها من فاسدها ، وغناها من ثمنها حتى يهلك من هلك عن بيعة ، ويحيى من حي عن بيعة .

من هنا كان منهجنا في بحثنا هذا قائماً على معالجة موضوعاته بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المقنعة ، فقدمنا بين يديه بتمهيد بينا فيه بالأدلة الواضحة أن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة لا شك فيها ، عامة لا خصوص فيها ، وأوردنا شبهات المشككين في تلك الرسالة ، ورددنا عليها بما يبطلها ويبين افتراء أصحابها ، ثم أعزبنا ذلك بالتدليل على حقيقة القرآن وثبوته ، ونفي شبهات المشككين فيه من أهل الكتاب وغيرهم ، ثم ناقشنا عقيدة الثالوث بمنطق العقل الحسليم والقرآن الكريم ، بعدما أوردنا شيئاً عن العقيدة في المسيحية أيام المسيح عليه السلام ، وذكرنا الأطوار التي الصحيحة مرت بها عقيدة الثالوث حتى أرسيت قواعدها في مجمع نيقية سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة ميلادية وأتبعنا ذلك ببيان مفهوم تلك العقيدة الثالوثية

عند أصحابها دون زيادة ولا نقصان ، ثم أعقبنا ذلك بالحدث عن صلب
المسيح فأوردنا أدلة المسيحيين على ذلك من جهة النقل والعقل وناقشناها
كلها من منطلق العقل السليم والقرآن الحكيم ، ثم ختمنا بحثنا هذا
بمختصرة لما تضمنه من أفكار كان حاديتها ورائدتها طلب الحق ،
والحق وحده ؛ رجاء أن يهdy الله بمعرفته أرياب البصائر وأولى
الألياب .

دكتور هاشم جودة
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين

تمهيد

إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ورد شبهات المشككين فيها

من المسلم به لدى عامة المسلمين وخاصتهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله حقاً وخاتم النبيين صدقاً ، وأن رسالته عامة للعالم كله في سائر أرجاء الأرض ولا تنهى بانتهاء زمان معين بل هي باقية إلى يوم القيامة .

ومن يقل منهم بغير هذا فهو مرتد كافر وهو في الآخرة من الخاسرين ، أما غير المسلمين من الكفار كاليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا فقد أباحوا لأنفسهم الخوض في ميدان من ميادين الكفر والانحراف ، ألا وهو التشكيك في ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ، رجاء أن يستطيعوا بذلك هدم ما جاء به الكتاب العزيز من تشريعات وأحكام ، وطمس ما ذكره القرآن من فضائلهم وقبائلهم التي لولا القرآن ما استطاع الناس الوقوف على حقائقها لكثرة ما أحاطوها به من السكهاة والغموض والأسرار .

وليس هذا ببعيد من أقوام اجتروا أسلافهم من قبل على أنبيائهم فنفوا عنهم العصمة ونسبوا لهم القبائح والفضائح ووسمهم بارتكاب أشنع الجرائم وأنكر الآثام .

ولا هو بهجيب أيضا من أقوام هروا بأنفسهم إلى أدنى درجات
الانحطاط فعبدوا النار والأحجار .

وقد ذهب هؤلاء وأولئك يخلفون من الأكاذيب والادعاءات
شبهات مفتريات يطعنون بها في نبوة محمد ﷺ ، وهيهات هيهات أن
ينالوا منه بمثل هذه الترهات ، فنسذ متى كان نفخ الأنفاه يطفىء
نور الشمس ؟ ومنذ متى كان نطح الأوعال يحطم الصخور .
﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون ^(١) ﴾ .

النسبة الاولى وردھا :

من تلك المفتريات ما ذكره النصارى ولا سيما البروتستانت من أنه
لو كان محمد نبي الله حقاً ما استمرأ سفك الدم داخل الجزيرة العربية
وخارجها لنشر دعوته وإخضاع الناس لها بقوة السيف لا بقوة الحق
والمنطق ، وما حث أتباعه في كل عصر ومصر على قتل الرجال واسترقاق
الأطفال ، وسبي النساء ، ونهب الأموال تحت شعار الجهاد في سبيل
الله مؤكدا لهم شتى الوسائل أنهم سوف يثابون في الآخرة على
ذلك العمل أعظم الثواب وأجزله ، اسكنه فعل ذلك كله فدل على
أنه ليس بنبي واسكنه سفك دماء وأين قول محمد لأتباعه فيما يدعى أنه
آناه من عهد الله ؟ .

﴿ واقتلواهم حيث تنفقوهم ^(٢) ﴾ ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ^(٣) ﴾ .

(١) التوبة ٣٠ .

(٢) البقرة ١٩٢ .

(٣) التوبة ٣٢ .

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾^(١) ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾^(٢) .

أين هذا كله من قول المسيح عيسى لأتباعه ؟ .

« لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين من سالك فأعطه ﴾^(٣) .

تلك فرية ردها النصراني قديما وحديثا ، وجهلوا أو تجاهلوا أمورا هامة تدحض فريتهم هذه وتجعلها هباءا منثورا من تلك الأمور ما يأتي :

أولا : ما زعمه النصراني منقصة في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من كونه يقاتل الكفار والعصاة هو قانون الله في خلقه منذ فجر التاريخ ، فهو سبحانه يكره الكفر والعصيان ويجازي عليهما في الآخرة جزاء شديدا ، وقد يعاقب أهلها في الدنيا بالعقاب الأليم الذي يكون تارة بالإغراق العام كما حدث لقوم نوح عليه السلام ، وتارة بالإغراق الخاص كما حدث لفرعون وجنوده ، وتارة بالإهلاك المفاجيء كما حدث لبكر كل إنسان وبهيمة من أهل مصر في ليلة خروج بني إسرائيل منها على ما صرح به الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج^(٤) ، وتارة

(١) التوبة ١١١ . (٢) الحج ٧٨ .

(٣) اظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندي ، ط دار التراث العربي للطباعة والنشر ت أحمد أسقا من ٥٩٤ .

(٤) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ١٠٤ .

بالأوبئة والأمراض كما حدث في إهلاك الأشدوديين ، على ما صرح به به الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول^(١) . إلى آخر ما جاء في العهد القديم الذى يؤمنون به من العبارات الدالة على عقاب العصاة والكفار فى الدنيا بمختلف أنواع العذاب ، فهل مثل ذلك منقصة فى حق الله — سبحانه وتعالى — ؟ وكيف آمنوا به وصدقوه كدين لهم حتى إذا ما وقع من رسول الله — ﷺ — ، تنفيذاً لحكم الله تعالى — فى العصاة والكفار جعلوا منه وسيلة لإطالة ألسنتهم على النبي صلى الله — تعالى — عليه وسلم بالقول الفاحش البذى .

ثانياً : ما عابوه على النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد فى سبيل الله قد وقع من الأنبياء السابقين فهو أمر عام فى شريعة الإسلام وغيرها من الشرائع الأخرى ، وقد صرحت بذلك أسفار العهدين الجديد والقديم فجاء فى الإصحاح العشرين من سفر التثنية ما نصه :

حين تقرب من مدينة لىكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فقتلنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل لجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .

(١) الكتاب المقدس القديم ط عنتر ص ٤٣٢ .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرّمها تحرّماً الحثيثين والأموريين والسكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك ^(١) .

وجاء في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد ما نصه :

كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم . تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقسّمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم ، الكثير تكترون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه ، حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له حسب أسباط آبائكم تقسمون ، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم ^(٢) .

وجاء في الإصحاح السابع من سفر التثنية ما نصه :

مضى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لقتلهم وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيثين والجرجاشيين والأموريين والسكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٣١١ الفقرات من ١٠ : ١٧

(٢) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٢٧٣ الفقرات من ٥١ : ٥٦

لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم . . . ولكن هكذا تفعلون بهم
تهدمون مذابحهم وتسكرون أنصابهم وتقطمون سواريرهم وتحرقون
تماميهم بالنار^(١) .

وجاء في الإصحاح الحادى عشر من الرسالة إلى العبرانيين فى العهد
الجديد ما نصه :

وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق
وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالإيمان قهروا
ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار
نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب هزموا
جيوش غرباء^(٢) .

من هذه النصوص ونظائرها فى أسفار العهدين القديم والجديد
يتضح أن موسى عليه السلام كان مأموراً بقتال المارقين فإذا ظفر بهم
قتل الرجال وسبى الأطفال والنساء إلا أنما معينة نص التوراة على ذكر
أسمائها فلا يجوز لموسى ومن معه أن يستبقوا منها شيئاً ، بل عليهم قتل
رجالها ونساءها وأطفالها وإحراق معالمها وتخريب ديارها تخريباً كاملاً
لا يبقى ولا بذر .

وأن بولس قديس النصارى قد اعتبر قهر الأنبياء لممالك المتجبرين
وهزيمتهم لجيوش الكفار من جنس البر الذى يثاب عليه فاعله لا من

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط عنتر ص ٣٦٦ الفقرات من ١ : ٣٥

(٢) الكتاب المقدس ط عنتر العهد الجديد ص ٣٦٦ الفقرات ٣٢ : ٣٤

جنس الاثم الذى يعاقب عليه مرتكبوه، وفي هذا كله دلالة على أن ما عابه النصارى علينا من الجهاد وشككوا به في نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . هو نفسه الذى آمنوا به في عهديهم القديم والجديد . وهناك فرق كبير بين الشريعة المحمدية والشريعة الموسوية في الجهاد . ففى الشريعة المحمدية لا يقاتل الناس إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فإن أبوا وكانوا من المشركين أو المرتدين قوتلوا ولا شيء غير ذلك ، وإن لم يكونوا من المشركين خيروا بين أداء الجزية والحرب فإن اختاروا الأولى صار لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإلا فالحرب بيننا وبينهم وليس هذا فى الشريعة الموسوية .

وفى الشريعة المحمدية كذلك أن قتل الصبية والنساء غير جائز وإن كانوا من المشركين بخلاف الشريعة الموسوية فإن قتل الصبية والنساء جائز فى الأمم السبعة التى أسلفنا ذكرها فيما نقلنا من نصوص التوراة وأين هذا من ذاك ؟ .

ثالثاً : لا تعنى دعوة عيسى عليه السلام إلى الحب والتسامح بإبطال الجهاد وقتال المارقين والكفار والملحدين ، بل إن عيسى نفسه شوف يقتل بعد نزوله الدجال وعسكره كما هو مصرح به فى الإصحاح الثانى من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى ، وكما هو مصرح به أيضاً فى الإصحاح التاسع عشر من المشاهدات ^(١) .

وكما وردت به السنة المطهرة فقد روى الأمام مسلم بسنده عن

(١) أنظر الكتاب المقدس العهد الجديد ص ٣٣٦ وما بعدها، ص ٤١٧ وما بعدها

عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحداكم دخل في كهيد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » .

قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى أيتها ورفع ليثا^(١) قال وأول من يسمعه رجل يلو^(٢) حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال يفرل الله مطرا كأنه الطل أو الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق^(٣) .

(١) أصفى أى أمال ، رفع أى رفع رأسه مستيقنا والليت بكسر اللام صفحة العنق

(٢) يلو أى يبنى ويصاح

(٣) صحيح الإمام مسلم ط المطبعة المصرية ج ١٨ ص ٧٥ وما بعدها

فلا ينبغي بعد ذلك أن يؤخذ كلام عيسى عليه السلام دليلاً يلوّح به
المفرضون في وجه الحقيقة من أن لآخر ، بغية التهريج والتشويش دون
رعاية لإحقاق الحق وإنصافه دأب كل من أطفاه الهوى وأعماه الغرور
رابعا : لاصحة لما ادعاه الفصاري من انتشار الإسلام بالسيف لأن
محمدًا صلى الله عليه وسلم ، قد مكث نحواً من ثلاث عشرة سنة يدعو الناس
إلى الإيمان بالله دون أن يلجأ هو وأصحابه إلى الشدة ، حتى إذا ما ظهر
الحق وبانت للعقول معالمة ، وأصبح الذين يفكرون دين الله
لا يفكرونه عن جهل به وإنما يدفعهم إلى ذلك العناد والكابرة ،
ولجأ الكفار إلى مطاردة المسلمين ومحاربتهم دعا رسول الله - صلى الله
عليه وسلم بأمر من ربه إلى مجادلة السيف بالسيف ، ومقابلة الحرب
بالحرب ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾^(١)
ومن عجب أن هؤلاء المضللين قد مارسوا في القديم والحديث ظلم
الإنسان وسفك دمه ونهب أمواله وانتهاك أعراضه كأبشع ما تكون
الممارسة ، وما الحروب الصليبية عنا ببعيدة فكيف يبيحون لأنفسهم
ما يفكرونه على غيرهم ويعيبونهم به ؟

وكيف يعملون من الجهاد الشريف المقدس الذي يرتفع عن شراستهم
ووحشيتهم في قتال الناس واستعمارهم ارتفاعاً عظيماً ، مطعناً يطعنون به
في نبوة محمد صلى الله - تعالى - عليه وسلم .

خامسا : إن الجهاد الذي جعلوا منه وسيلة للتشكيك في نبوة محمد

صلى الله — تعالى — عليه وسلم من ناحية ، ولوصف الإسلام بالوحشية من ناحية أخرى ، ثابت بالنقل والعقل ، أما النقل فقد قدمنا من المنصوص ما فيه كفاية للتدليل على صحته ، وأما العقل فإن للملين يكادون يجمعون على أن إصلاح العقيدة مقدم على إصلاح العمل ، فلا جدوى لعمل بدون إيمان ، ولا يستطيع النصارى معارضة هذه القاعدة المسلمة فعندهم أن الجواد الحليم المتواضع السكاقر بميسى عليه السلام أشر من البخيل الفضوب المتكبر المؤمن بميسى عليه السلام .

وقد ثبت بالتجربة أن من كان فى منعة من قومه لا يرضخ للحق ولا يخضع له فإذا زالت عنه هذه المنعة أصغى لسماع كلمة الحق ، ثم خضع لها واستجاب لما احتوت عليه من صلاح وإصلاح .

وكذا قد ثبت بالتجربة أيضا أن المبطلين إذا رأوا ضعفا فى أهل الحق تسلطوا عليهم وأفسدوا كل ما أصلحوه إفسادا عظيما يمس الدين والدنيا على السواء ، لذلك كان لزاما على حماة الحق وأنصاره أن يتسلحوا بالقوة حتى يقهروا أعداءهم ويتمكنوا من نشر العدل والطمأنينة بين الناس فى كل مكان ، ومع أن النصارى يعلمون هذه الحقائق كغيرهم من المسلمين ويؤمنون بها إيمانا عمليا جعلهم يتسلحون بشتى الأسلحة ليصدوا بها منافئهم بل ليفزوا بها بلدانا آمنة ليمتصوا خيراتها — وشاركوا أهلها بالقوة فى كل شىء حتى لقمة العيش التى يعيشون عليها ، مع كل هذا فإنهم قد شككوا فى نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم بهذه الأوهام وتلك الخرافات وما يريدون بذلك إلا أن يضعفوا قوة المسلمين

حتى لا يقاوموهم ويظل نفوذهم سائدا متسلطا على كل بلاد الإسلام وإلا فلماذا لم يكتفوا هم عن ذلك الغزو العسكرى المتسلط هنا وهناك رافعين شعار التسامح الذى طالما تشدقوا به ، وهم أبعد الناس عن تنفيذه ؟

أما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كان فكره واضحاً أمام كل الناس لا اعوجاج فيه ولا التواء ولا التباس من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر حُقق دمه وماله ، ومن ظل على كفره قوتل حتى يؤمن أو يقتل إن كان من المشركين أو المرتدين ، وإن كان من أهل الكتاب قوتل حتى يؤمن أو يعطى الجزية وحينئذ يكون آمناً مطمئناً ، له مال للمسلمين وعليه ما عليهم فهل فوق هذا عدل ؟ وهل وراء هذا إنصاف ؟ ولا شك أن أولئك المشككين يعلمون كثيراً من هذه الأشياء ولستكنهم يعاندون ﴿ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ^(١) ﴾

ولم يكن من حاربههم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده حرباً على الإسلام بعد دخولهم فيه ، بل كانوا حرباً على أعداء هذا الدين وقد غزا بهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه آفاق الأرض شرقاً وغرباً ، وأحرز بهم للإسلام انتصارات بهرت أخبارها سمع الدنيا وبصرها ، فلو كانت حرب انتقام أو استيلاء وقهر ، أو تسلط واستنزاف ، ما استطاع أن يفزوا بمن حاربههم كل هذه الآفاق الواسعة من الأرض ، وما انضوا تحت لوائه يحدوهم الحب العميق له والافتناع

الكامل بدعوته ، والإيمان الراسخ بأن هذا هو الصراط المستقيم والبون شاسع بين من نفذوا لرسول الله أوامره ونواهيه ، والتزموا بكل ما جاء به وبين أولئك الذين قادتهم قوى الغزو جبرا وقهرا ، وحملتهم على تنفيذ ما يريدونه قسراً ، فما كان إلا أن استجابوا حتى واثت الفرصة فتركوهم في أحلك الظروف ، بل انقلبوا عليهم ، ليردوا انتقاما بانقمام ، وتسليطاً بتسلط . وكيف لا ، والأولون كانوا تحت لواء الله يعملون ، والآخرون كانوا تحت لواء الطامع والشهوات يقهرون .

الشبهة الثانية وجوابها :

ومن شبههم الباطلة أيضا ما رددوه أن محمداً لو كان نبي الله حقاً لتأيدت دعوته بمعجزات تظهر على يديه ، إذ من شروط النبوة إظهار المعجزة على يد مدعيها ، لكن ذلك لم يحدث وقد اعترف هو نفسه بعدم وقوع ذلك منه حيث يقول في سورة الأنعام من القرآن الذي يدعى نزوله عليه من عند الله ﴿ ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله بقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ (١)

ويقول في سورة الإسراء ﴿ وقالوا لنؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تَفْجِيراً أو تسقط السماء كما زحمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة

قبيلا أو يسكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء وإن تؤمن لرقيق
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً
رسولاً (١)

فذل هذا على أنه ليس بنبي ولمكده يدعى النبوة من غير أن يسكون
معه من المعجزات ما يدل عليها ، ذلك مطعن من مطاعنهم للتشكيك
في نبوة محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم قالوه بتبجح مغفلين
حقائق هامة لو ذكروها ما استقبحوا لأنفسهم التفوه بمثل هذا الكلام
من تلك الحقائق ما يلي :

أولاً : حملت الأخبار الصحيحة المتصلة الأسانيد التي تكاد تبلغ في
مجموعها حد التواتر إلى العالم كله من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حسية كانت أو معنوية ، الشيء الكثير .

فأما للمعجزات الحسية فإنها تربو على ألف معجزة نذكر منها على
سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

(أ) نبع الماء من بين أصابعه الشريفة .

« روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس الضوء فلم
يجلبوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإفناء فوضع في ذلك الإناء
يده ، وأمر الناس أن يقوضوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه
الشريفة فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم »

وقد كانت هذه المعجزة على ما قاله غير واحد من العلماء بالزوراء
 عند سوق المدينة ، ولم يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ،
 بل تكرر عدة مرات في مناسبات مختلفة كما حدث في يوم الحديبية ،
 وفي غزوة تبوك على ما وردت به الروايات عن جابر بن عبد الله ومعاذ
 ابن جبل وعمران بن حصين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .
 وكما شاهد الناس معجزة النبي ظاهرة في الماء القليل يسقى منه القوم
 الكثير ، فقد شاهدوها جليلة واضحة في الطعام القليل يأكل منه الجمع
 الكثير أو يكتفى الجماعة ردحا طويلا من الزمان فعن جابر رضى الله عنه
 أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاستطعمه شطر وثق
 شعير فإزال يأكل منه وامرأته وضيغه حتى كاله ، فاتى النبي صلى الله
 عليه وسلم فأخبره ، فقال لو لم تسكه لأكلت منه ، ولقام بكم .
 وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين
 رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أى لابطه .
 وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم يوم
 الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق ^(١) قال جابر رضى الله عنه
 فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتفط كما هي ،
 وأن عجمينا ليغبز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في المعجين
 والبرمة وبارك ^(٢) .

(١) العناق بفتح أوله هى الأئى من أولاد العز ما لم يتم لها سنة وتفت بفتح التاء
 وكسر الفين للعجمة وتشديد الميم أى تغل من حرارة النار تحتها .
 (٢) أنظر ما جاء في صحيح مسلم ج ١٥ ص ٣٨ وما بعدها ط المطبعة المصرية وصحيح
 البخارى ط المطبعة الاميرية ج ٤ ص ١٩١ وما بعدها .

(ب) نطق الشجرة بين يديه صلى الله عليه وسلم. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فدننا منه أعرابي فقال : يا أعرابي أين تريد ؟ قال أهلى قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبد ورسوله ، قال من يشهد لك على ما نقول ؟ قال هذه الشجرة السمرة ، وهى بشاطىء الوادى ، فأقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدنا ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها ، وكما شهد الأعرابي ذلك المشهد الرائع على يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد شهد الناس فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهداً أروع منه وأبدع . فعن جابر رضى الله عنه كان المسجد مستقوفاً على جذوع نخل ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، وفى رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره ، وفى رواية سهل وكثير بكاء الناس لما رأوا به .

وفى رواية المطلب : حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت^(١) والخبر بأئين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهور عند السلف والخلف ، وباعتبار معناه متواتر تواتراً يفيد العلم القطعى ، رواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبى بن كعب وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن

(١) انظر ما جاء من ذلك فى صحيح البخارى ط المطبعة الأميرية ج ٤ ص ٩٥

سعد الساعدي ، وأبو سعيد الغدري ، وبريدة ، وأم سلمة ، والمطلب
ابن أبي وداعة - رضى الله عنهم . كلهم يحدثون بمعنى هذا الحديث
وإن كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث ، فلا شك في حصول
التواتر المعنوي .

هذه أمثلة لبعض المعجزات الحسية التي أجراها الله - تعالى -
على يد نبيه صلى الله عليه وسلم تصديقاً له في دعوى النبوة والرسالة
وتقلتها الأخبار الصحيحة فاذا يقول المبطلون ؟

وأما معجزاته المعنوية :

فإن أعلاها وأعظمها ما سارت به الركبان في كل مكان ، وتداوله
الناس في كل عصر وآن ، وجعلوه في سويداء القلوب ومكنون العقول ،
وأخذوا منه ما يصلح دينهم ودنياهم ، ذلك هو القرآن الكريم الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد
حمل القرآن في طياته معجزات كثيرة منها :

إخباره عن كثير من الأمور الماضية كتقصص الأولين من الأنبياء
والرسل وغيرهم من الذين لم دور بارز في صنع بعض معالم التاريخ ،
وإلى هذا كله يشير القرآن بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم .

﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت
ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (١) .

ومنها : إخباره عن أمور مستقبلية شهد تحققها بعض الناس بعد
تحدثه عنها بزمان طويل كقوله سبحانه ﴿ غلبت الروم في أدنى

الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل
ومن بعد^(١).

ومنها : إشارات العلمة التي تبهر كل من يعرفها من أساطين علماء
الدنيا في شتى مجالات العلم والمعرفة مادية كانت أو روحية ، ولم تكن
هذه المعجزة الخالدة هي المعجزة المعنوية الوحيدة للنبي صلى الله عليه
وسلم بل له إلى جانبها من هذا النوع معجزات كثيرة منها :

ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وبيت المقدس
والين والشام والعراق ، وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة
إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن خير تفتح على يد علي - رضى الله
عنه - في غد يومه ، وأنهم يقتسمون كنوز ملك فارس وملك الروم ،
وأن بنات فارس تخدمهم ؟

وهذه الأمور كلها قد وقعت في زمن الصحابة - رضى الله عنهم -
كما أخبر ، وأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأن فارس
نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً ، والروم ذات قرون كلما
هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر ، ديهات إلى آخر الدهر ،
والمراد بالروم الفرنج والنصارى .

وقد تحقق كل ما أخبر به دون ما زيادة أو نقصان فماذا يقول
المفترون ؟

ثانيا : أن الآيات التي استدلوا بها على عدم وقوع المعجزة من

(١) الروم : ٢ ، ٤

النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تنهض دليلاً لهم على دعواهم تلك ، لأن معنى قوله تعالى ﴿ ما عندى ما تستمعجلون به ﴾ الآية ، كما أجمع عليه المفسرون ليس عندى العذاب الذى تستعجلون نزوله بكم ولو كان ذلك إلى لقضى الأمر بينى وبينكم بأن أهلكت الظالمين ، ولكن هذا الأمر قد استأثر الله به ينزله متى شاء على من يشاء من عباده ، وهو الذى يقص الحق وهو خير الفاصلين .

وقد صرح القرآن بطلبهم هذا فى آية أخرى حيث يقول ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (١) .

ومعنى قوله ﴿ وأقسموا بالله جهد إيمانهم ﴾ الآية أن المشركين قد أقسموا بأغلظ الإيمان لئن جاءتهم آية من الآيات الكونية التى اقترحوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلها ليؤمنن بما دعاهم إليه بسببها . فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يرد عليهم بقوله إنما الآيات عند الله - تعالى - : فهو وحده القادر عليها ، والمقصر فىها يعطيها من يشاء ويمنعها عن يشاء بحكمته ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله ﴾ (٢) :

وكال الأدب مع الله تعالى أن يفوض إليه الأمر فى ذلك ، ولكنهم لما لم يصلوا إلى مستوى الأدب مع الله فيما طلبوا بل طلبوها استمراءاً وعناداً جرمهم الله خيرها فلم يُجرها لهم على يد نبيه صلى الله عليه وسلم .

روى أبو الشيخ عن ابن جريج أن هذا نزل في المستهزئين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الآية ^(١) .

وليس لسمك أيها المؤمنون أدنى علم يشعركم بهذا الأمر الغيبى الذى لا يعلمه إلا الله ، وهو أنهم لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية على وفق ما طلبوا ، وقد صرح القرآن بعدم إيمان المعاندين حتى ولو رأوا الآيات البينات رأى العين ، ولسوها باليد فقال :

﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ^(٢) ﴾ .

أى ولو أننا نزلنا عليك كتابا من السماء فى قرطاس كما اقترحوا فرأوه نازلا منها بأعينهم ، ولمسوه عند وصوله إلى الأرض بأيديهم لقال الذين كفروا منهم كفر العناد والاستكبار ، ما هذا الذى رأينا ولمسنا إلا سحر مبين فى نفسه ، ثابت فى نوعه ، وإنما خيل إلينا أننا رأينا كتابا ، ولمسناه ، وما ثم كتاب نزل ، ولا قرطاس رؤى ، ولا لمس . هـ ^(٣) .

وقطى سبحانه : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولو سكن أكثرهم لا يعلمون ^(٤) ﴾ .

قال صاحب المنار عند تفسير هذه الآية قل أيها الرسول إن الله

(١) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٧ ص ٩ .

(٢) الأنعام : ٧ .

(٣) تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٧ ص ٢٥٩ .

(٤) الأنعام : ٣٧ .

تعالى قادر على تنزيل آية مما اقترحوا ، وإنما ينزلها إذا اقتضت حكمته
تفزيها ، لا إذا تعلقت شهوتهم بمعجيز الرسول بطلبها . هـ (١) .
وعلى هذا المعنى الذى أوردنا الآيات السالفة يقتزل قول الله تعالى
فى سورة الإسراء .

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ﴾
الآيات الأربع .

لا على ما أولوها به من تأويلات ترضى شهواتهم الباطلة ومطامعهم
المفرضة للتشكيك فى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
فالمقصود من النفى فى مثل هذه الآيات هو نفى حصول المعجزات
التي اقترحها الكفار عنادا واستهزاء ، لا نفى أصل المعجزة كما زعم
المشككون .

وايس بلازم على الأنبياء أن يظهروا ما طلبه المنكرون من
المعجزات ، بل هم لا يظهرونها إذا طلبها المنكرون عنادا أو امتحانا
أو استهزاء ، كما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم ردأ على المعاندين
فيما طلبوا من معجزات ، وكما حدث من عيسى عليه السلام ردأ على
الفريسيين فيما طلبوا من آيات ، فقد جاء فى الإصحاح الثامن من انجيل
مرقس ما نصه :

« فخرج الفريسيون وابندوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء
لكى يجربوه ، فتنهد بروحه ، وقال لهما اذا يطلب هذا الجيل آية ؟ . الحق

أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية^(١) .

قال صاحب الإظهار تعليقا على هذه الفقرة ما نصه :

فالفريسيون طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان ، فما أظهر معجزة ، ولا أحال في ذلك الوقت إلى معجزة صدرت عنه فيما قبل ، ولا وعد باظهارها فيما بعد أيضاً ، بل قوله « لن يعطى هذا الجيل آية » يدل على أن المعجزة لا تصدر عنه فيما بعد هذا البتة ، لأن لفظ الجيل يشمل جميع الذين كانوا في زمانه ا . هـ^(٢) .

وفي الإصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا ما نصه :

« وأما هيرودوس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتمكون عليه باشتداده ، فاحتقره هيرودوس مع عسكره واستهزأ به ، وألبسه لباسا لامعا وردده إلى بيلاطس »^(٣)

فما أظهر عيسى عليه السلام أمام هيرودوس معجزة مع أنه قد ترجاه كثيرا أن يفعل ذلك ، وما كان هذا منه عليه السلام دليلا على أنه ليس بنبي ولا رسول ، بل هو عندنا نبي الله حقا ورسوله صدقا .

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ص ٧٠ ط عترة فقرة ١١ ، ١٢

(٢) أظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٩٧ هـ تحقيق د / أحمد السقا .

(٣) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عترة ص ١٤ فقرة ٨ : ١٨

وفي الإصحاح الرابع من إنجيل متى ما نصه :
« فقدم إليه الحبر ، وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه
الحجارة خبزا ، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان ،
بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ،
وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى
أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك
اسكى لا تصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب
الرب إلهك ^(١) » .

فرفض عيسى عليه السلام إجابة إبليس إلى ما طلبه منه على سبيل
الامتحان وأفهمه كما جاء في آخر هذه الفقرات أنه لا يليق بالمربوب أن
يجرب ربه ، بل تقتضى العبودية له سبحانه مراعاة الأدب في حقه وعدم
تجربته كما طلب إبليس .

وفي الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا ما نصه :
« أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو
أرسله ، فقالوا له : فأية آية تصنع لئرى ونؤمن بك ، ماذا تعمل ؟ آباؤنا
أكلوا المن في البرية كادوم مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا ^(٢) » .
قال صاحب الإظهار تعليقا على هذه الفقرات بعد ما أوردنا قائله
طلبوا معجزة وما أظهرها عيسى عليه السلام ، ولا أحال إلى معجزة

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عثر من ٦ الفقرات ٣ : ٨

(٢) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عثر من ١٠٦ الفقرات ٢٩ : ٣١

فعلها قبل هذا السؤال ، بل تسكلم بكلام مجمل ، لم يفهمه أكثر السامعين وارتد كثير من تلاميذه بسببه . كما هو مصرح به في الآية السادسة والسعين من الإصحاح المذكور وهي في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هـ كذا .

(من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣٥ ومن ثم ارتد كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يمشوه بعد ذلك أبداً أه .^(١) .

هذه نصوص أناجيلهم ناطقة بوقوع مثل ما طعنوا به على النبي صلى الله - تعالى - عليه وسلم لعيسى عليه السلام فماذا يقولون ؟ .

ثالثاً : قد صرح القرآن الكريم بأن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم آيات بينات ، وأن الكفار قد سخروا من هذه الآيات حين رأوها ، وقالوا ما هذا إلا سحر مبين ، وبين سبحانه أن الذين لا يؤمنون بعد رؤية تلك الآيات البينات لا عذر لهم ولهم عذاب أليم . فقال تعالى : ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ^(٢) ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ﴾ .

وقال عز اسمه : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله ^(٣) ﴾ .

(١) إظهار الحق ط دار التراث العربي للطباعة والنشر ص ٥٥٩ تحقيق د/أحمد السقا .

(٢) آل عمران : ٨٦ ، (٣) الأنعام : ٢١ ، و ١٢٤ .

وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١)

وقال عز اسمه ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتِرٌ ﴾ (٢)
هذا هو الحق فإذا يقول المضللون ؟

البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

في القوراة والإنجيل

تلك بعض شبهات المشككين في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أردنا بذكرها والرد عليها بيان ما هم فيه من ضلال لا منشأ له إلا الهوى والتمصّب ، وإلا فإن رسالة رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى من أن يتسكّموا فيها ، وأجلى من أن يطعنوا في ثبوتها وحقيقتها ، وكيف لا وهو المبشر به في القوراة والإنجيل قبل التحريف وبعده ، ولم يستطيعوا برغم حقدهم أن يطمسوا تلك البشارات طمسا كاملا ، بل تجدها مبنوثة فيما تحت أيدينا الآن من القوراة والإنجيل .

البشارة بالنبي في التوراة

فقد جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ما نصه :
« يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوانك مثلي له
تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع
قائلا لأعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا

لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فم فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا طالبيه . وأما النبي الذي يطفئ فيمتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . وإن قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطفيان تكلم به النبي فلا تحف منه »^(١)

هذا نص ما جاء في التوراة المتداولة بينهم الآن ، والتي يقرءونها صباح مساء .

والمأمل في هذا النص يجد أن في قوله « يقيم لك الرب إلهك نبيا » وقوله « وسوف أقيم لهم نبيا » بشارة صريحة لموسى عليه السلام بنبي يأتي من بعده ، وهذا النبي المبشر به ليس يشوع عليه السلام كما يزعم أحرار اليهود ، ولا هو عيسى عليه السلام كما يزعم علماء النصارى ، بل النبي المبشر به في هذا النص هو محمد صلى الله — تعالى — عليه وسلم لما يأتي :

أولا : كان يشوع مع موسى عليه السلام ومن بعده ، وقد رآه اليهود وعاشوه ومع ذلك فإن اليهود الذين عاصروا عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشراً به عندهم بدليل ما جاء في الإصحاح

(١) الكتاب المقدس ط عنتر العهد القديم ص ٣٠٨ وما بعدها فقرات ١٥ : ٢٣

الأول من إنجيل يوحنا من أن يهود أورشليم قد أرسلوا إلى يوحنا من يسأله عن هويته فقال لهم است أنا المسيح ، قالوا فأنت إيليا ، قال ولا أنا إيليا ، قالوا فأنت النبي إذن قال ولا أنا بالنبي أيضا^(١)

فلو لم يسكن لديهم ما يفيد ظهور نبي غير يشوع الذي كانوا بعد ظهوره بزمان طويل ، وعيسى عليه السلام الذي كانوا يعاصرونه مازعموا أن يوحنا كما جاء في سؤالهم النبي الموعود الذي أخبر عنه موسى في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية على ما بيناه سلفا .

ثانياً : أن قوله في النص السالف ﴿سوف أقيم﴾ يعني أن النبي المبشر به لم يكن موجودا مع موسى عليه السلام ، ويشوع الذي زعموه محل تلك البشارة كان موجودا في زمان موسى حاضرا معه فكيف تصدق عليه تلك البشارة ؟

ثالثا : أن ما جاء في النص السالف من قوله «أجمل كلامي في فمه» يشير إلى أن ذلك النبي المبشر به سينزل عليه كتاب ، وإلى أنه سيكون أميا حافظا للكلام وذلك لا يصدق على يشوع لانقضاء كلا الأمرين عنه .

رابعا : أن التلمية الواردة في قوله «سوف أقيم لهم نبيا مثلك» حاصلة بين موسى ومحمد عليهما السلام ، في أمور كثيرة منها : أن كلا منهما عبد الله ورسوله وأن لكل منهما والدين وأن كل منهما ذو نسكاح وأولاد ، وأن شريعة كل منهما مشتملة على سياسات مدنية ، وأن كلا

منهما مأمور بالجهاد في سبيل الله وأن الطهارة وقت العبادة ووجوب الغسل على الجنب والحائض والنفساء ، وطهارة الثوب من البول والغائط ، وحرمة غير المذبح ، والقرايين للأوثان مأمور به في شريعة كل منهما ، وأن شريعتهما مشتملة أيضا على العبادات البدنية ، والأمر بمحذ الزنا ، وتعيين الحدود والتمازير والتصاص وتحريم الربا ، وأن كلا منهما قد مات على فراشه ودفن في قبره دون ما قتل أو صلب ، أو اختفاء ، إلى آخر تلك الأمور الكثيرة التي يشترك فيها موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . ولعل هذا التماثل هو السر في تشبيه الله - سبحانه - برسالة محمد صلى الله - تعالى - عليه وسلم إلى قومه برسالة موسى إلى فرعون حيث يقول ﴿ إنا أرسلنا إليك رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ (١)

وفيما حكاه القرآن عن الذين صرفوا من الجن لاستماع القرآن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذهبوا إلى قومهم بعد ذلك ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾ (٢)

ولا يوجد شيء من هذا التماثل بين موسى وإسحق وعيسى عليهما السلام ، لما ثبت في القوراة من أن أحدا من بني إسرائيل ليس مثل موسى على ما صرحت به الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية حيث تقول : « ولم يقم بعد ذلك نبي في بني إسرائيل

مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه»^(١)
ويشوع وعيسى عليهما السلام من بنى إسرائيل فلا مثلية بينهما
وبين موسى عليهم السلام ، إذ لو وجدت مثلية بينهم للزم عليه وقوع
الكذب الصراح في التوراة وهذا مالا يقولون به .
ومن جهة أخرى فإن موسى كان صاحب كتاب ، ولم يكن كذلك
يشوع عليه السلام ، فكيف تنأى المثلية بينهما ؟
وكيف تنأى المثلية بين موسى الذي هو عبدالله ورسوله وبين عيسى
الذي زعمه النصارى إلها يدين له بالعبودية سائر الناس ومنهم موسى
عليه السلام ،
وكذلك فإن شريعة موسى مشتملة على أمور عملية كالحسدود
والقمازير ، بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فإنها خالية منها على ما تشهد
به أناجيلهم .

وكان موسى عليه السلام رئيسا مطاعا في قومه نفاذا لأوامره ونواهيهِ
بخلاف عيسى عليه السلام فإنه لم يكن كذلك .

خامساً : جاء التصريح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى
الله ما لم يأمر به يقتل ، وقد جاء نظير ذلك في القرآن حيث يقول
سبحانه عن محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل
لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾^(٢)

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ط هنتر ص ٣٣٦

(٢) الحاقة : ٤٤ : ٤٦ ، والوتين هو نياط القلب ، أو نخاع الظهر

فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً لقتل ، لسكرته لم يقتل بل تسكفل الله سبحانه بحفظه ورعايقه ، وأخبر بذلك في كتابه الكريم حيث يقول : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾^(١)

وقد أنجز الحق وعده فما قتل رسول الله على كثرة أعدائه ، وعدم اتخاذه الحراس لنفسه بعد هذه الآية ، بل بقي يؤدي الرسالة ، ويبلي الأمانة حتى لحق بالرفيق الأعلى وهو على فراشه وبين أدله وذويه ، بخلاف عيسى عليه السلام فإنه قد رفع إلى الملائكة الأعلى كما أخبر الله بذلك في قوله « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما »^(٢) .

فلو كانت هذه الإشارة بعيسى عليه السلام وهو على زعمهم قد قتل لزم أن يكون نبيا كاذبا كما يزعم اليهود لعنهم الله .

سادساً : ما جاء في الفص السالف من قوله « فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصرف فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب » . يفيد أن من علامات النبي الكاذب أن يقع ما يخبر به من أمور الغيب على غير ما أخبر به ، أو لا يتحقق شيء مما يخبر به من الغيبات . وقد ثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به سواء أكان عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، فدل هذا على أنه النبي الصادق للبشر بإتيانه بعد موسى حقاً .

سابعاً : قد أقر كثيرون من علماء اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي آخر الزمان للبشر به

(١) النساء : ١٠٧

(٢) الأئدة ٦٧

في التوراة ، ومنهم من آمن ، ومنهم من بقي على كفره وعناده .
وفي السيرة وكتب الحديث الصحيحة كثير من هذه الأخبار ،
فلو لم تكن البشارة بالنبي واضحة في التوراة ما أقر بها علماء يهود .
وإيس هذا هو كل ما حوته التوراة عن التبشير بنبي آخر الزمان
بل هناك نصوص أخرى كثيرة حملت في طيات عباراتها ، تلك البشارة
العظيمة إلى كل من يقرؤها ويقدر ما فيها .

البشارة بالنبي في الإنجيل :

أما الإنجيل فقد اشتمل على عدة نصوص تشير كلها إلى مجيء النبي
المنتظر الذي ستظل رسالته إلى الأبد ولا يتخالفه أحد إلا استحق عذاب
الله يوم القيامة ، من هذه النصوص ما جاء في الإصحاح الحادى والعشرين
من إنجيل متى « استمعوا مثلاً آخر كان لإنسان رب بيت غوس كرمه
وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني برجاً وسامه إلى كرامين وسافر
ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره
فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً ، وقتلوا بعضاً ، ورجوا بعضاً
ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك
فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً : يهايون ابني ، وأما الكرامون فلما
رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ، ونأخذ ميراثه
فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فتي جاء صاحب الكرم ماذا
يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأعداء يهلككم هلاكاً ردياً
ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها ، قال لهم

يسوع أما قرأتم قط في الكتف الحجر الذي رفضه البنّاءون . هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ، ولما سمع رؤساء السكينة ، والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ^(١) .

فرب البيت كناية عن الله عز وجل ، والكرم كناية عن الشريعة وإحاطته بسياج وحفر موصرة فيه وبناء برج ، كنيات عن بيان الحرمات والمباحات والأوامر والنواهي ، والسكرامون الطاغون كناية عن اليهود كما فهمه رؤساء السكينة والفريسيون ، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والابن كناية عن عيسى عليه السلام على ما جاء في مزاعمهم الباطلة أو على تأويل كلمة الابن هنا بالعبد الصالح والحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحجر الذي إذا سقط عليه أحد ترضض ، وإذا سقط على أحد سحقه ، والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته صلى الله عليه وسلم ، وما ادعاه علماء الفسار من أن الحجر هو كناية عن عيسى عليه السلام فردود لما يأتي :

أولا : قد شبه النبي نفسه صلى الله عليه وسلم باللبنة التي يحسن البناء بها في حديثه الصحيح حيث يقول :

« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة لجل الناس يطوفون به ويقولون ما أحسنه ! ما أجمله

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد ط عنتر من ٣٩ فقرات ٣٣ : ٥ ؛

إلا موضع هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين^(١) .
ولم يثبت عن عيسى أنه شبه نفسه بمثل ذلك التشبيه فدل هذا على
أن لفظ الحجر الوارد في النص السالف هو كناية عن محمد صلى الله
عليه وسلم لا عن غيره .

ثانياً : ما جاء في وصف الحجر من كونه إذا سقط عليه أحد ترضض
وإذا سقط هو على أحد سحقه لا يتطبق على عيسى عليه السلام ، لأنه
قال « وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن ، فأنا لا أدبته لأني لم آت لأدين
العالم ، بل لأخلص العالم^(٢) » .

بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يصدق عليه هذا الوصف
صدقاً تاماً ، إذ قد أمر بدعوة الناس إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر ، وبقتال من لم يؤمن بذلك منهم حتى يقولوا
لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام
كما هو مصرح به في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ثالثاً : قول داود عليه السلام « الحجر الذي رفضه البناءون قد
صار رأساً للزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا^(٣) »
يفيد أن اليهود عامة وداود خاصة يعجبون من كون الحجر الذي تركه
البناءون ولم يستعملوه في البناء لعدم استحسنهم له قد صار بأمر الله

(١) أنظر صحيح مسلم ط المطبعة المصرية ج ١ ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) أنظر العهد الجديد انجيل يوحنا اصحاح ١٢ فقرة : ٤٧ ص ١٢٣ .

(٣) العهد القديم مزمو ١١٨ : ٢٢ فقرة ٢٣ ص ٩١٦ ط هنتر .

رأس الزاوية ، فلو كان هذا الحجر كناية عن عيسى عليه السلام ما صدر منهم هذا العجب في حقه ، لأن عيسى من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فهو من اليهود ، فكيف يعجب اليهود من كون واحد منهم قد صار رأس الزاوية ، وكيف يصدر العجب من ذلك عن داود بصفة خاصة مع أنه كما يزعم المسيحيون يعظم عيسى عليه السلام في مزاميره تعظيما بليغا ، ويعتقد الألوهية في حقه بخلاف ما إذا قلنا إن الحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم فإن تعجبهم هذا يكون مقبولا ، لأنهم كانوا يحقرون أولاد اسماعيل غاية التحقير فكون واحد منهم يصير رأسا للزاوية بأمر الله تعالى هو شيء يثير العجب عندهم ويملا قلوبهم حقدًا وحسدا .

رابعا : المتأمل في النص السابق يجد أن في كلام المسيح ما يفيد كون الحجر غير الابن فكيف يكون الحجر كناية عن عيسى عليه السلام .

وبعد ... فهذا تمهيد أردنا منه بيان أن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة ثبوتنا لا شك فيه ، خالدة إلى يوم الدين عامة لأهل الأرض أجمعين .

وأن البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل أمر لا يجهله أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

الباب الأول

حقية القرآن الكريم

بعد ما بيننا في التمهيد بالأدلة القاطعة ثبوت رسالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وصدقه في جميع أقواله وأحواله وأفعاله لا يبقى لمن يريد إثبات نص أسند قوله إلى محمد صلى الله تعالى — عليه وسلم ، إلا أن يوثق هذا النص من حيث النقل فقط ، فإذا اتصل سنده وثبتت عدالة ناقله وقوة ضبطهم واتفاقهم فيما نقلوا كان لزاماً عليه أن يؤمن بحقية هذا النص ، ويذعن له ويعمل بما جاء فيه .

طرق النقل عند المسلمين :

والناظر في طرق النقل عند المسلمين لما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة والتابعين يجد أنها على ستة أقسام^(١) :

القسم الأول :

ما تناقله المحدثون واحداً عن واحد ، أو جماعة عن جماعة ، حتى يبلغوا به إماماً من الأئمة الأعلام ، أو واحداً من أتباع التابعين ، أو تابعياً ، أو صحابياً ، وذلك ما يسميه علماء الحديث بالمتطوع والموقوف ، وليس هذا النوع من النقل معولاً عليه عند المسلمين في أخذ الشريعة

(١) أنظر الفصل لابن حزم ط محمد علي صبح ج ٢ ص ٨٢ ، المنهج الحديث في علوم الحديث لأستاذنا الدكتور محمد السامح ط دار الأنوار ج ٢ ص ٣ - ٥ .

منه ، والعمل بكل ما حمله إلينا من نصوص ، بخلاف اليهود والنصارى ، فإن كل ما هم عليه من شرائع لا توجد في التوراة والإنجيل قد أخذوه من طريق نقل الواحد عن الواحد ، عن حبر من الأخبار ، أو راهب من الرهبان ، دون أن يصلوا بسندهم إلى نبي أو صحابي أو تابعي مع ما يكون في السند من انقطاع وجرح في الرواة ، وليست عندهم مسألة واحدة يقربون في نقلها من موسى وعيسى عليهما السلام قربنا من محمد صلى الله - تعالى - عليه وسلم ، بل أعلى من يصل إليه اليهود هلال ، وشماني وشمعون وأمثالهم من بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا في أكثر من ألف وخمسمائة عام ، وأعلى ما يصل إليه النصارى شمعون ثم بولس ، ثم أساقفتهم عصرا عصرا ، وهذا أمر لا يقدر على إنكار شيء منه أمام من له بكتبتهم خبرة ودراية .

القسم الثاني :

ما نقله المحدثون واحدا عن واحد ، أو جماعة عن جماعة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لكن في سلسلة السند من هو مجروح بالكذب ، أو الغفلة أو غيرهما من الجوارح التي بينها علماء الجرح والتعديل ، ولا يعمل المسلمون على مثل هذه الطريق في أخذ الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، بينما نجد أن هذا اللون من النقل هو أرق ما يوجد عند اليهود والنصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم على ندره شديدة في مثل هذا النوع من النقل ، ولا يكون المجروح منهم مجروحا بالكذب أو الغفلة قط ، بل يكون مجروحا بالكفر أحيانا .

القسم الثالث :

ما نقله الواحد عن الواحد ، أو الجماعة عن أمثالهم عن النبي صلى الله - تعالى - عليه وسلم لـكن في السلسلة شخصاً أو أشخاصاً قد سقطوا من أولها أو من وسطها ، وهو ما يسمى عند علماء الحديث بالملق والمعضل ، والقطع ، ولا يعتمده المسلمون أبداً مصدرراً يعتمد عليه في التشريعات إلا بعد البحث والتفتيش ، ولا يسكاد بوجود شيء من هذا عند اليهود والنصارى .

القسم الرابع :

ما نقله الثقة عن الثقة ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي حدثه ونسبه وكلهم معروف الحال ، والعين ، والعدالة ، والزمان ، والمكان ، حتى يبلغ إلى النبي صلى الله - تعالى - عليه وسلم ، على أن أكثر ما خرج هذا المخرج فإنه منقول نقل الكواف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - ، أو إلى الصحاب ، أو إلى التابع أو إلى إمام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل العلم بهذا الشأن .

وهذا النوع من النقل قد خص الله - تعالى - به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غصاً جديداً على مدى الأزمان .

القسم الخامس :

ما نقلته الكافة عن مثلهما حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم ، ككثير من آياته ومعجزاته التي ظهرت يوم الخندق وفي تبوك بحضرة الجيش وكثير من مناسك الحج وكرامة

التمر ، والبر ، والشعير ، والنضرة ، والذهب ، والإبل ، والبقر ، والغنم ،
وكمعاملته أهل خيبر ، وغير ذلك مما يخفى على العامة ، وإنما يعرفه
كواف أهل العلم فقط ، وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل
شيء أصلاً لأنه يناهى بهم عن هذا النوع من النقل والذي قبله ، إطباقهم
على السكر الدهور الطوال ، وعدم وصول السكافة من أهل العلم إلى
عيسى عليه السلام .

القسم السادس :

شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلاً جيلاً ، لا يختلف
فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب
في المصاحف في شرق الأرض وغربها ، لا يشكون ولا يختلفون في أن
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله — عز وجل —
أوحى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن هذا
الجيل من بعده ، وهكذا حتى بلغ إلينا غضا طرياً كما أنزله الله
عز وجل دون ما تبديل أو تحريف ، ولا زيادة أو نقصان ، رغم ما فيه
من تحديات بيّنة شديدة للعرب واليهود والنصارى ، حيث طلب من
العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة فلم يستطيعوا ،
وطلب من اليهود أن يثبتوا الموت فلم يفعلوا ، وطلب من النصارى أن
يباهلوا فلم يقدروا ، وقد وبخهم جميعاً على عجزهم هذا أشد التبويخ
وأعنفه ، ومع ذلك فما استطاعوا أن يتركوه ، وما استطاعوا
له هدماً .

وما كان نقلة هذا القرآن على مر العصور متحدين في أفكارهم

أو ميولهم أو مشاربهم ، بل كانوا مختلفين جد الاختلاف في كل هذه الأشياء وغيرها وما اتفقوا فيها بينهم شرقا وغربا ، عربا وعجميا ، إنسا وجنبا ، إلا على شيء واحد هو كلمات الله المودعة بين دفتي المصحف من أوله إلى آخره فصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ^(١) 》 .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ^(٢) 》 .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ^(٣) 》

﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ^(٤) 》

لذا فقد أجمع العلماء على أنه لا بد من التواتر القائم في نقل كل جزئية من جزئيات القرآن منذ عصر نزوله إلى قيام الساعة .

(٢) يونس ١٥

(٤) القيامة ١٦ : ١٩

(١) الأنعام ١١٥

(٣) الحجر ٩

الفصل الأول

الأدلة على حقية القرآن من القرآن وغيره

تضافرت الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والحجج المقنعة على أن القرآن الكريم كله حق لا زيف فيه ، وثابت لا شك فيه ، وأن كل حرف منه إنما هو منزل من عند الله - لا مدخل لأحد من البشر في إيجاده أو وضعه في مكانه الذي وضع فيه .

من هذه الأدلة ما ضمه الكتاب العزيز بين طياته ، ومنها ما نشأ عن بحث الباحثين في القرآن الكريم وتنبعهم لحروفه وكلماته وآياته .

الأدلة على حقيقة القرآن

فأما ما حواه القرآن من الأدلة على صدقه وحقيقته وثبوته وكونه محكما مفصلا منزلا من لدن حكيم خبير ، فإنه يربو على مائة دليل كل واحد منها يؤكد بما لا يدع مجالا لشك شك ، أو طعن طاعن حقية القرآن وثبوته ، وأنه هو الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمؤمنين .

الدليل الأول : من تلك الأدلة ، ما يبين لنا أن هذا الكتاب الخالد في أعلى مراتب الكمال ، وأسمى منازل الثبوت والجلال ، بحيث لا يقدر فيه شك الشاكين ، ولا امتراء الممتريين ، ولا تحدى المتحدين بل على الذين تعثر بهم ريبة فيه أن يقهروا إلى تحديه في كل زمان ومكان مستعنيين بمن شاءوا من الأصحاب والأعوان ، ولن يجدوا من وراء ذلك التحدى بعد عجزهم عنه إلا أحد أمرين إما شفاء من الريب

الذى سيطر على قلوبهم ، فدفنهم إلى ما الجأوا إليه وإما مزيداً من
التمصّب الأعمى الذى يقضى بأهله إلى الهلكة والضلال ، وما ذلك
العجز عن التجدى إلا لأن الله عز وجل قد نزل بالحق وجعله مصدقاً
لما بين يديه من السكّات ومهيئاً عليه وجعله حكماً محكماً عربياً
مبيناً وأودع فيه من أسرار البيان ، والسكون والإسنان ، والملائكة
والجان ، والحديث عن ما مضى وما يستقبل من الزمان ، ما يبهّر العقول
ويحير النفوس وبشرّب بالأعنان إلى الغاية التى ليس بعدها غاية
والكمال الذى ليس فوقه كمال والجلال الذى ليس وراءه جلال . ذلك
هو الله سبحانه الذى يعز من يعزه ، وينصر من ينصره ، ولا يكون
عز الله ونصره إلا فى حفظ كتابه وبيان أمره لكل من خفى عليه
أمره ، ومع ذلك فقد جعله الحق سبحانه مؤلفاً من جنس الحروف التى
يتألف منها كلام الناس ، ليظهر الفرق جلياً بين ما يقول الله وما يقول
الناس ، كما هو ظاهر دائماً بين فعل الله فى كل شيء وفعل الناس .
فهذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات ، فإذا
أخذ الناس هذه الذرات ، فقصارى ما يصوغونه منها لبقة أو آجرة
أو آنية ، أو اسطوانة ، أو هيكل أو جهاز ... كأننا فى دقته ما يكون
ولسكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة ... حياة نابضة خافقة
تنطوى على ذلك السر الإلهى المعجز ... سر الحياة ... ذلك السر
الذى لا يستطيعه بشر ، ولا يعرف سره بشر .

وهكذا القرآن ... حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً

وأوزانا ، ويجعل الله منها قرآنا وفرقانا ، والفرق بين اصنع للبشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض ، هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة .

قال تعالى : ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(١) .

ومن أين يسكون الرب فيه ودلاله صدقه وبقيته كامنه في هذا المفتوح بيده في عجزهم عن صياغة مثله ، من مثل هذه الأحرف المتداولة بينهم المعروفة لهم من لغتهم .

وقال سبحانه للمرتدين في القرآن من اليهود والمنافقين وغيرهم .

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾^(٢) .

وقال عز اسمه بيانا لمصدر نزول القرآن .

﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾^(٣) .

﴿انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾^(٤) .

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾^(٥) .

(١) البقرة ١ ، ٢

(٢) البقرة ١٣

(٣) آل عمران ١ : ٤

(٤) النساء : ١٠٥

(٥) المائدة : ٤٨

﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .
 ﴿ أنذير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً
 والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
 من الممترين ﴾ ^(١) .
 ﴿ للمص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به
 وذكرى للمؤمنين ﴾ ^(٢) .
 ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم
 تعقلون ﴾ ^(٣) .
 ﴿ المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق
 واسكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ ^(٤) .
 ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور
 بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ^(٥) .
 ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ^(٦) .
 ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾ ^(٧) .
 ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلنا
 ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾ ^(٨) .

(٢) الأعراف : ١ ، ٢

(٤) الرعد : ١

(٦) الحجر : ٩

(١) الأنعام : ١٩ ، ١١٤

(٣) يوسف : ١ ، ٢

(٥) إبراهيم : ١

(٧) الكهف : ١

(٨) طه : ١ ، ٤

﴿ وإنا لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك
لتككون من المفذرين ، بلسان عربي أمين ﴾ (١) .

﴿ وما تنزل به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن
السمع لمعزولون ﴾ (٢) .

﴿ أنزل ما أوحى إليك من الكتاب ﴾ (٣) .

﴿ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يحجد بآياتنا إلا
الكافرون ﴾ (٤) .

﴿ ألم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ (٥) .

﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ (٦) .

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ (٧) .

﴿ حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ (٨) .

﴿ حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ (٩) .

﴿ حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا
منذرين ﴾ (١٠) .

(١) الشعراء : ١٩٢

(٣) العنكبوت : ٤٥

(٢) الشعراء : ٢١٠ : ٢١٢

(٥) السجدة : ١ ، ٢

(٤) العنكبوت : ٤٧

(٧) الزمر : ١ ، ٢

(٦) يسى : ٥

(٩) فصات : ١ ، ٢

(٨) غافر : ١ ، ٢

(١٠) الدخان : ١ ، ٣

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾^(١)
 ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾^(٢)
 ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾^(٣)
 ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسـم لو تعلمون عظيم ، إنه
 لقرآن كريم في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من
 رب العالمين ﴾^(٤)
 ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون
 خبير ﴾^(٥)
 ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾^(٦)
 ﴿ سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾^(٧)
 ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾^(٨)
 وقال سبحانه في بيان كون هذا الكتاب الكريم حكماً محكماً
 ذا ذكر مجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
 حكيم حميد . ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾^(٩) ، ﴿ الر كتاب
 أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾^(١٠)

- | | |
|-------------------|--------------------|
| (١) الجانية ١ ، ٢ | (٢) الأحقاف ١ ، ٢ |
| (٣) النجم ٣ ، ٤ | (٤) الواقعة ٧ ، ٨٠ |
| (٥) النبا ٨ | (٦) الانسان ٢٣ |
| (٧) الأعلى ٦ ، ٧ | (٨) القدر ١ |
| (٩) يونس ١ | (١٠) هود ١ |

﴿ ص والقرآن ذى الذكر ^(١) ﴾ ﴿ إن الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم وإنه اسكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد ^(٢) ﴾ .
﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ^(٣) ﴾ .
﴿ ق والقرآن المجيد ^(٤) ﴾ .

الدليل الثانى

ومن تلك الأدلة أيضاً ما يوضح لنا أن من نصوص القرآن ما هو
محكم ، ومنها ما هو متشابه ، وقد اختلف العلماء فى تعريف كل منهما
فذهب قوم إلى أن المحكم هو ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما
بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال
والحروف المقطعة فى أوائل السور .

وذهب آخرون إلى أن المحكم هو ما وضع معناه والمتشابه نقيضه
وذهبت طائفة ثالثة إلى أن المحكم هو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً
من التأويل ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً ، وقيل غير ذلك ^(٥) .

وأيا ما كان الأمر فإن من فى قلوبهم زيغ هم وحدهم الذين يتبعون
ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون فى العلم .

(٢) فصلت : ٤٦ ، ٤٧

(١) ص : ١

(٤) ق : ١

(٣) الزخرف : ٤٤

(٥) أنظر الاثنان فى علوم القرآن للجلال السيوطى أ ط مصطفى الحلبى

الطبعة الثالثة ج ٢ ص ٢

قال تعالى : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء أوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب ^(١) 》 .

وليس من هذا الباب قول الله سبحانه فى سورة هود :

﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ^(٢) 》 .

وقول الله تعالى فى سورة الزمر :

﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ^(٣) 》 .

لأن معنى الأول أحكمت أى أتقنت آياته فلا يهتدق إليه تقص

ولا اختلاف ، ومعنى الثانى متشابها أى يشبه بعضه بعضاً فى الحق والصدق والإعجاز .

الدليل الثالث :

ومن تلك الأدلة كذلك ما يبين كون القرآن مصدقا لما سبقه

من الكتب السماوية ومهيمننا عليها يصحح ما شابها من فساد المفسدين ويفصل فيما وقع فيها من خلط لبعض القضايا والأحكام الهامة ، ويقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، ويبرز من أمر النبوة والألوهية ما طمسه على مر الزمن العابثون والمفرضون .

قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

(٣) آية ٢٣

(٢) آية ١

(١) آل عمران : ٧

من الكتاب ومهيمننا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع
أهواءهم عما جاءك من الحق^(١) .

قال صاحب المنار في تفسير هذه الآية ما يخواه :

وأنزلنا إليك الكتاب الكامل الذي أكملنا به الدين فهو
الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهي عند الإطلاق ، وهو
القرآن المجيد ، وتلك هي الحكمة في التعبير بالكتاب بعد التعبير
عن كتابي موسى وعيسى باسمها ﴿ التوراة والإنجيل ﴾ .

وقوله ﴿ بالحق ﴾ الخ أى ملتبسا ومؤيدا بالحق ومشتملا عليه
ومقرراً له ، ناطقا بتصديق كون الكتب السماوية كلها من عند الله
وبأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم .

أما قوله ﴿ ومهيمننا عليه ﴾ أى على جنس الكتاب الإلهي فمعناه
أن القرآن لما بين حقيقة حال تلك الكتب من حيث أصل إنزالها
وما كان من شأن المخاطبين بها من كونهم نسوا منها حظا عظيما
وضيعوه ، وحرفوا كثيرا عما بقى منها وأولوه ، وأعرضوا عن العمل بها
وتركوه ، كان رقيبا عليها وشهيدا وحاكما على ما جاء فيها لأنه هو
الذي أنزل بعدها .

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال ﴿ ومهيمننا عليه ﴾ يعنى
أميضا عليه ، يحكم على ما كان قبله من الكتب .

وفي رواية عنه عند القرياني وسعيد بن منصور والبيهقي ورواة

التفسير المأثور قال : مؤتمنا عليه ، وفي رواية أخرى قال : شهيد على كل كتاب قبله .

ومن الغريب أن بعض الناس قد فهم من هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب أنه يشهد لها بالحفظ من التحريف والتبديل ، ولا حجة لهم على فهمهم هذا إلا أن لفظ المهيمين معناه شهيد ، وما دام شهيداً على الكتب السابقة فهو شاهد لها ، ونحن نقول : هل يصح أن يتحكموا بأهوائهم في شهادته ؟

بل الواجب عليهم أن يرجعوا إلى ما قاله في شأن هذه الكتب وأهلها ، لأن ذلك هو نص شهادته لها ولهم ، أو علتها وعليهم ، والقرآن يفسر بمقتضى بعضها ، وحسبهم أنه قال في هذه السورة نفسها في كل من أهل التوراة والإنجيل ، إنهم نسوا حظاً مما ذكروا به ، كما قال في سورة النساء قبلها ، إنهم ﴿ أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ ، وقال فيهما معاً إنهم كانوا ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تشكروهم ، وقولوا ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ الآية » ، رواه البخاري في صحيحه ، وذكر أن سببه أنه كان بعض أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها لبعض المسلمين بالعربية ، ففهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستماع إليهم وقبول كلامهم ، وهذا الحديث يوضح ما رواه أحمد والبخاري ، واللفظ له من حديث جابر قال : نسخ صو كتاباً من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فجعل يقرأ — ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير — فقال له رجل من الأنصار ، ويمحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا اتباعي »

ووردت في هذا المعنى أحاديث أخرى ضعيفة ، والاراد من النهي عن سواهم النهي عن سؤال الاهتداء ، وتلقى ما يروونه بالتقبل لأجل العلم بالشرائع الماضية ، وأخبار الأنبياء ، لزيادة العلم ، أو تفصيل بعض مد أجمله القرآن ^(١)

وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه مختلفون ﴾ ^(٢)

قال ابن كثير تفسير لهذه الآية : يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان ، أنه يقص على بني إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل ﴿ أكثر الذي هم فيه مختلفون ﴾ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه ، فاليهود اقتروا والنصارى غالوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنز عبدا من عباد الله وأنبيائه ورسوله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما قال تعالى ﴿ ذلك عيسى

(١) انظر تفسير المنار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٦ ص ٣٣٩ وما بعدها

(٢) النمل ٧٦

ابن صريم قول الحق لذای فيه يمترون^(١) ﴿ ٥٨ ٠

وقال سبحانه : ﴿ كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم^(٢) ٠

أى كما أنزل الله عليك هذا الكتاب المبين فقد أنزل الصحف والكتب على من كانوا قبلك من الأنبياء والمرسلين .

الدليل الرابع :

ومن تلك الأدلة أيضاً ما جاء بهاناً لتكون القرآن هو المعجزة التى لا ينبغي أن يتسلى سواها ، وذلك في معرض الرد على من طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم خوارق العادات عناداً ، أو تهكماً ، أو استهزاءً ، كما في قوله سبحانه ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا آجعتينها قل إنما أنبئ ما يوحى إلى من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون^(٣) ٠

قال ابن كثير تفسيراً لهذه الآية : ومعنى قوله تعالى : وإذا لم تأتهم بآية أى معجزة وخارق كقوله تعالى : ﴿ إن تشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلمت أعناقهم لها خاضعين ﴾ يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم ، ألا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ، ونؤمن بها ... قال الله - تعالى - ﴿ قل إنما أنبئ ما يوحى إلى من ربي ﴾ أى أنا لا أقدم إليه تعالى في شيء ، وإنما أنبئ ما أمرني به فأمثل ما يوحىه إلىّ ، فإن بحث آية قبلتها ، وإن منعها لم أسأله ابتداءً لإياها إلا أن يأذن لي في ذلك فإنه حكيم عليم ، ثم أرشدهم إلى

(١) تفسير ابن كثير ط عيسى الرابى الطبى ج ٣ ص ٣٧٤ .

(٢) الأعراف : ٢٠٣ .

(٣) الدورى : ٣ .

أن هذا القرآن هو أعظم اللججرات وأبين الدلالات ، وأصدق الحجج والبيّنات فقال ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ اهـ^(١) .

وقوله تعالى ﴿ ولو أن قرآنا سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﴾^(٢) .

أى لو كان فيما أنزلنا من الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أما كما أو تقطع به الأرض وتنشق أو تسلم به الموتى فى قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز ، الذى لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله .

فلا وجه للعدول عنه إلى طلب آيات أخرى من النبى صلى الله - تعالى - عليه وسلم بعد ما نزل هذا الذى هو آية الآيات ، وبيّنة البينات .

وقد نعى الحق سبحانه فى غير آية على الكافرين جحودهم للقرآن واستهزائهم به وضيقهم بقراءته وقراءته فقال سبحانه ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾^(٣) .

وقال تعالى ﴿ وإذا تلقى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم

(١) تفسير ابن كثير ط عيسى الحلبى ج ٢ ص ٢٨٠

(٣) النحل : ٢٤ : ٢٥

(٢) الرعد : ٣١

بشر من ذلکم النار وعدھا الله الذین کفروا وبئس المصیر (١) ﴿
وقال فی الفرقان ﴿ وقال الذین کفروا إن هذا إلا إفاک افتراء
وأعانه علیه قوم آخرون فقد جاءوا ظهراً وزوراً (٢) ﴿
وقال عز اسمه ﴿ وقال الذین کفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا
بالذی بین یدیه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
إلى بعض القول يقول للذین استضعفوا للذین استکبروا لولا أنتم
لکننا مؤمنین (٣) ﴿

وقال فی نفس السورة ﴿ وإذا تنلى علیهم آياتنا بینات قالوا
ما هذا إلا رجل يريد أن یصدکم عما یعبد آباؤکم وقالوا إن هذا
إلا إفاک مقترئ وقال الذین کفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا
سحر مبین (٤) ﴿.

وقال فی غافر ﴿ ألم تر إلى الذین یجادلون فی آیات الله أنى یصرفون ،
الذین کذبوا بالکتاب وبما أرسلنا به رسلاً فسوف یعلمون (٥) ﴿
وقال فی الزخرف ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريشین عظیم أهم یسمون رحمة ربک یحیی قسمنا بینهم مہیشهم فی
الحیاء الدنیا ورفدنا بعضهم فوق بعض درجات لیلتخذ بعضهم بعضاً
سخریاً ورحمة ربک خیر مما یجمعون (٦) ﴿

وقال فی الجاثیة ﴿ تلك آیات الله نتلوها علیک بالحق فبأى حدیث
بعد الله وآياته یؤمنون ویل لکل أفاک أنیم یسمع آیات الله تنلى علیه

(٢) آية : ٤

(٤) آية : ٤٣

(٦) الآية : ٣١ - ٢٣ - ٢٢

(١) الحج : ٧٢

(٣) سبأ : ٢١

(٥) آية : ٦٩ - ٧٠

ثم بصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ^(١) .

الدليل الخامس :

ومن تلك الأدلة القرآنية على حقيقة القرآن وصدقه ما جاء في معرض للتحدى لأواملك الذين يشكون في القرآن أو يشككون فيه ^(٢) فليأتوا بمثل ما ينزلهم في هذا التحدى فطلب منهم أن يأتوا بمثله ... ^(٣) ثم نزل بهم إلى ما هو أدنى من ذلك ، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله ... قال تعالى ﴿ أم يقولون اقتراهم قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ^(٤) ٠

ثم دعاهم إلى ما هو أقل من هذا فقال سبحانه ﴿ فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين ^(٥) ٠

فمجزوا عن الإتيان بذلك أو بمثل شيء منه وبقي حكم الله على هذا الكتاب قائماً ... ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ^(٥) ٠

وليس عجزم هذا ناشئاً عن صرف الله لهم عن معارضة القرآن وتحديه ، وإنما هو راجع إلى كونه قد بلغ الغاية في الفصاحة ،

(١) ٩١ ، ٦٦ ، ٧ ، ٨

(٢) الطور : ٣٤

(٣) هود : ١٣ ، ١٤

(٤) البقرة : ٢٣

(٥) الاسراء : ٨٨

والبلاغة ، وحسن البيان ، والدقة والرصانة وجمال الأحكام ، فما استطاعوا معارضته ولا أمكنهم تحديده .

وكما أودع الله في كتابه الكريم من أسرار البلاغة والفصاحة ما أعجز الباطل عن معارضته ، فقد أودع فيه من دواعي حفظه وانتشاره وتيسيره للصغار والكبار ما أعجز المعاندين عن صد تياره ، وإيقاف سريانه شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً قال تعالى : ﴿ فإِذَا يَسْرُنَاهُ بِلِسَانِكَ لَنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَا ﴾ (١) .

وقال سبحانه ﴿ فإِذَا يَسْرُنَاهُ بِلِسَانِكَ لَنُفَصِّلُ لَهُمْ آيَاتِهِ ﴾ (٢) .
وقال عز اسمه ﴿ وَأَقْرَأْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٣) .
وصدق الله فيما ذكر فما من أحد صغيراً كان أو كبيراً ، يحاول حفظ القرآن إلا يسره الله له ، وسهل حفظه عليه ، فسبحان من أنزل هذا الكتاب وجعله بين عباده سهلاً يسوراً .

وليس هذا هو آخر المطاف في الأدلة على حقيقة القرآن من القرآن بل هفاك الكثير والكثير ، مما تركناه اكتفاءً بالجزء عن الكل وبالقُل من الكثير ، وبالعِوض عن الفيض ، مخافة التلويل وبغية التسهيل .

الأدلة من غير القرآن على حمية القرآن وثبوته

قلنا في بداية هذا الفصل إن من الأدلة على ثبوت القرآن وحيته ما ضمه الكتاب العزيز بين طياته ، ومنها ما نشأ من بحث الباحثين في القرآن .

وقد ذكرنا القسم الأول من هذين القسمين :
وأما القسم الثاني : وهو الأدلة على ثبوت القرآن من القرآن فإنه يتناول أموراً كثيرة نذكر منها ما يلي :
الدليل الأول :

إن الباحث في القرآن الكريم يجد أن ما تضمنه من بيان أى شيء ترغيباً كان أو ترهيباً ، رأفة كان أو عتاباً ، يكون غاية في الاعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهذا شيء لا يوجد في كلام الناس ، لأن أيًا منهم لا يتكلم في بيان حال ما إلا بما يناسب هذه الحال ، فلا يلاحظ في العتاب أحوال القابلين للرأفة وبالعكس ، ولا يلاحظ عند ذكر الدنيا حال الآخرة وبالعكس ، ويقول في الغضب من الكلام ما يزيد عن حجم الخطأ الذي أغضبه وهكذا لا يستطيع الإنسان أن يكون معتدلاً في كلامه حول ما يربد بيانه ، بخلاف القرآن فإنه لما كان من عند الله جاء حديثاً معتدلاً في كل شيء لا يطفئ عند الغضب ولا يفرط عند الرأفة ، بل هو ميزان عدل في كل الأمور .

الدليل الثاني :

إن الذين يسمعون القرآن يجدون لجماعه خشية في قلوبهم وأسماعهم

لا يحدونها عند سماع أى كلام غيره ، وكذلك الذين يقرءون القرآن
يحدون لقراءته هيبة لا يحدونها عند قراءة أى كتاب سواه .

وليست هذه الخشية قلصرة على الأنبياء من الناس بل تعترى كل
من ينصت إلى القرآن أو يقرؤه بتدبر وروية ، مسلما كان أو غير مسلم
ويدل لذلك ما روى من أن نساء المشركين كن يبيكين عند ما
يسمعن أبا يسكر وهو يتلوا القرآن ، وما روى من أن المشركين كانوا
يأتون الواحد تلو الآخر فى الليل خلسة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يتسمعون القرآن إعجابا به ، وإعظاما له ، وقد لام بعضهم بمضاهى ذلك
وتواعدوا على عدم فعله مرة أخرى ، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا .

وما روى أيضا من أن عمر بن الخطاب وهو فى أوج عنفه على
أخته وزوجها لإسلامهما قد أصابت قلبه هيبة عظيمة وخشية شديدة
عندما نليت عليه الآيات الأولى من سورة ﴿ طه ﴾ ، فما كان منه إلا
أن أذعن لذلك الديان الرائع وخشم له قلبه فخرج من بيت أخته ليعلم
إسلامه ، وخضوعه لله بعد ما كان غاية فى السكيد والتجبر على الإسلام
وأهله ، ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما روى كذلك من أن جعفر الطيار رضى الله عنه لما قرأ
القرآن على النجاشي وأصحابه ظلوا يبكون حتى فرغ رضى الله عنه من
القراءة ، وأن النجاشي أرسل سبعة من علماء المسيحية إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة ﴿ يس ﴾ فبكوا وآمنوا ، فنزل
فى حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول

ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون ربنا آمنا
فاكتبنا مع الشاهدين^(١) .

وقد سمعنا أشخاصاً من المسيحيين يبدون إعجابهم وتأثرهم الشديد
عند استماعهم لسورة مريم ، حتى إن أحدهم قال لنا إني أجد لهذا الكلام
في قاي حلاوة تجذبني إلى الإسلام .

فلو أن هذا الكلام من عند غير الله ما ترك في قلوب مستمعيه
على اختلاف أجناسهم وعقائدهم وأفهامهم ، ذلك الأثر البليغ وصدق الله
حيث يقول ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من
خشية الله ﴾^(٢) .

الدليل الثالث :

ما انسم به القرآن من الجمع بين الدليل ومدلوله ، فالقارئ له إذا
كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف مما في كلام
واحد باعتبار منطوقه ومفهومه ، لأنه ببلاغة الكلام يستدل على
الإعجاز ، وبالمعاني يوقف على أمر الله ونهيه ، ووعدته ووعدته .

الدليل الرابع :

ما اشتمل عليه القرآن من أخبار عن أحداث تحققت على الوجه
الذي أخبر عنها به .

الوعد بدخول المؤمنين المسجد الحرام :

كقوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلاتن

(١) المائدة ٨٣

(٢) الحصر ٢١

رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ^(١) ﴿

فقد وقع كما أخبر ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين محملين
رؤوسهم ومقصرين .

وعد المؤمنين بالمأمين والتمكين والسلطان :

وكقوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا ومنعهم أهملهم
ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليهد لهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى لا يشركون
بى شيئاً ^(٢) ﴾ .

وفد أنجز الله في أمد قليل وعده ففتح على يد المسلمين خلال
ثلاثين سنة أو يزيد قليلاً من عهد النبی إلى آخر عهد ذی النورین
عثمان رضی الله عنه معظم الممالك من أقصى الأندلس والقيروان
غرباً ، إلى حدود الصين شرقاً ، واستخلف المسلمين على هذه الرقعة
الواسعة من الدنيا ، وأخضع لهم أهلها وملوكها ، فكانوا عن الإسلام
زادة وعلى أعدائه سادة ، وجعل دينه الذى ارتضاه لعباده غالباً على
سائر المعتقدات والأديان ، وأبدل خوف أهل الإيمان أمنا ، فكانوا
ينتقلون من مكان إلى مكان ، ومن بلد إلى بلد ، يطلبون العلم وينشرون
دين الله ويهدون ربهم دون ما خوف ولا وجل .

وعهد الرسول بحفظه من الطغاة الآمنين وكفايته شر المستهزئين :

وكقوله تعالى لنبيه ﴿ والله يعصمك من الناس ^(٣) ﴾ فقد وقع كما

أخبر مع كثرة من قصدوا ضرره فعممه الله تعالى حتى انتقل من
الدار الدنيا ، إلى منازل الحسنى في الدار الآخرة .

وكتوله سبحانه لنبيه أيضاً ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ^(١) ﴾ فيروى
أنه لما نزلت هذه الآية بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله
كفاه شر المستهزئين به وأذاهم ، وكانوا نفرأ يؤذونه ويصدون الناس عنه .
قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية : قيل كانوا خمسة من أشرف
قريش : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود
بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب بيالقون فى إيذاء النبي صلى الله
عليه وسلم ، والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرت أن أكنيكم فأوماً إلى ساق الوليد فر بنبال فتعلق
بشوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه فأصاب عرقاً فى عقبه فقطعه فمات
وأوماً إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات ، وأشار إلى أنف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات
وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح
برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ، وإلى عيني الأسود
ابن المطلب فعمى . ا . ه ^(٢) .

تبشير المؤمنين بالفتح والنصر :

وكتوله تعالى : ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين ﴾ ^(٣) .

(١) الجبر ٦ (٢٩) تفسير البضاوى ط بيروت ص ٣٥١ (٣) الصف : ١٣

فقوله ﴿أخرى﴾ أى ولستم من الله نعمة أخرى .
 وقوله ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ هو تفسير للأخرى أى ولستم
 نعمة أخرى هى نصر من الله وفتح قريب ، والمراد بالفتح القريب
 كما قال المفسرون هو فتح مكة .

وقيل فتح فارس والروم ، وقد تحقق هذا وذلك كما أخبر الله
 عز وجل - ومثل هذا قوله سبحانه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت
 الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ (١) .

إذ الصحيح الذى عليه أكثر العلماء أن تلك السورة نزلت قبل
 فتح مكة وقوله سبحانه فى أولها ﴿إذا﴾ يؤيد ذلك وبمضده لأن هذا
 اللفظ يقتضى الاستقبال ولا يطلق على ما وقع وانتهى ، والمراد بالفتح
 فتح مكة ، وقد حصل ذلك الفتح ودخل الناس فى الإسلام بعده
 أفواجا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ملا من الناس
 مؤمنهم وكافرهم .

الوعد بهزيمة الغالب وانتصار المغلوب :

وكقوله تعالى : ﴿ألم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد
 غلبهم سيفلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ
 يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ (٢) .

(٢) الروم ١ : ٥

(١) النصر ١ : ٢

منهم لأنها الأرض المهدودة عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب واللام بل من الإضافة .

وقد قالوا في سبب نزول هذه الآية لما انتصر الفرس على الروم وهم مجوس والروم نصارى ، وبلغ المسكين خبر انتصارهم ففرحوا فرحا عظيما ، وقالوا المسلمين أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن وفارس أميون لا كتاب لنا .

وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ، ولنظهن عليكم . . نزلت هذه الآيات مبشرة للمسلمين بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين ، وقد روى أن أبا بكر قال حينما نزلت تلك الآيات « لا يقرن الله أعينكم فوالله لنظهن الروم على فارس في بضع سنين » فقال (أبي بن خلف) كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا ، فراهمه على عشر قلائص^(١) من كل واحد منهما ، وجعلا الأجل ثلاث سنين ، فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايدة في الإبل ومادده في الأجل ، فجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين ، ومات أبى بعد مارجع من أحد ، وظهرت الروم على فارس في السنة السابعة من مغلوبتهم فأخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبى .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بها .

أحوال أهل الكتاب :

وكقوله تعالى ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم ﴾

(١) القلائص جمع قلوص وهو من النوق الشابة الجيدة .

المؤمنون وأكثرم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم بولوكم
الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من
الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون ^(١) .

في هذه الآيات نلمح حشدا من الأخبار بالمنبيات التي تحققت كلها
في عصر صدر الإسلام ويتحقق منها للمسلمين في كل عصر بقدر ما هم
عليه من اتباع منهج الله الذي رسمه لهم .

الحكم بإيمان القلة وكفر السكثرة من أهل الكتاب :

من هذه الأخبار ما ذكره الله - تعالى - عن أهل الكتاب
في قوله ﴿ منهم المؤمنون وأكثرم الفاسقون ﴾ فإن معناه كما قال
المفسرون ^(٢) أن القلة من أهل الكتاب هم الذين يختارون الإيمان على
الكفر . وأما السكثرة منهم فهم فاسقون أى خارجون عن الإيمان
بما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وما جاء به
أنبيائهم من الشرائع والأحكام ، إذ لو التزموا بدينهم الصحيح لوجدوا
فيه ما يدينهم إلى الإيمان ، بما جاء به خاتم المرسلين محمد صلى الله
عليه وسلم .

ولعل هذا هو السر في وصفهم بالفسق بدل الكفر في قوله

(١) آل عمران : ١١٠ : ١١٢

(٢) التفسير الوسيط سورة آل عمران للدكتور محمد سيد طنطاوى ط مطبعة السعادة

وأكثرهم الفاسقون ، والمتبع لهذا الخبر الإلهي يجد أنه لم يتغير على مر الزمان ، فالذين أسلموا في العصر الأول من أهل الكتاب قلة ، كعبد الله بن سلام وغيره .

وهكذا في كل العصور لا يدخل في الإسلام من أهل الكتاب إلا القليلة ، وتبقى الكثرة منهم على حالها من الكفر والفسوق والمعصيان .

بشارات من الله للمؤمنين :

ومنها قوله تعالى عن تلك الكثرة الفاسقة من أهل الكتاب ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يَمَاتُوا كَمْ يُولُوكُمْ الْأُدْبَارُ ثُمَّ لَا يَفْصِرُونَ﴾ . فقد بشر الله - تعالى - عباده المؤمنين في هذه الآية بثلاث بشارات :
إحداها : أن الفاسقين من أهل الكتاب لن يضرروا المؤمنين إلا ضرراً يسيراً كالأذى باللسان ، وإلقاء الشبه بينهم لتشكيك ضعفاء الإيمان وصدحهم عن اتباع منهج القرآن ، وفي تلك البشارة من التنبؤ للمؤمنين والطمأنينة لقلوبهم ما فيها ، إذ الضرر الذي يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين :

أولهما : ضرر يؤدي إلى هدم كيان الأمة ، وإضعاف قوتها ، وإهدار كرامتها ، وجعل أمورها في أيدي أعدائها تصرفها كيف تشاء .

ثانيهما : ضرر يؤثر في كيان الأمة ، ولا يؤدي إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول ، أو محاولة التأثير في ضعفاء الإيمان .

وقد نفى - سبحانه - أن يلحق المؤمنين ضرر يأتى على كياناتهم من أهل الكتاب نفيًا مؤيداً بإيقاع الفعل في حيز النفي بلان التي تفيد الغائب مشيراً بذلك إلى أن الضرر البليغ من أهل الكتاب لا يقع على الأمة الإسلامية فيما يستقبل من الزمان ، ولـكن نفى هذا النوع من الضرر بـتلك السكينة التي ذكرها الله - سبحانه - مشروط بمحافظـة الأمة الإسلامية على الأصولين الواردين في قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) .

فإذا أرادت أمة الإسلام ألا تصاب من جهة أهل الكتاب بما يأتى على كيانتها ، فعليها أن تخلص العبادة لربها ، وأن تعمل بسنة نبيها ، وأن تـتقيد بأحكام كتابها ، وأن تباشـر الأسباب التي شرعها خالقها للنصر على أعدائها .

أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله - تعالى - به وتجاوزت مآنها عنه ، فإنها في هذه الحال قد تصاب من أعدائها بما يؤثر في كيانتها ، وتكون الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه .

والمقنع لدى تحقق هذه البشارة يجد أنها قد تحققت تحقيقاً تاماً للمسلمين في العصر الأول ، فلما نسى المسلمون بعد ذلك ما ذكروا به سلط الله عليهم من أعدائهم من آذروهم أشد الأذى وأعنفه ، وأضروهم أبلغ الضرر وأعظمه ، ﴿ وما ظالمهم الله ولـكن أنفـسهم يظلمون ﴾ .

وثانيها وثالثها :

أنه إذا وقعت حرب بين المؤمنين وبين أهل الكتاب كانت عاقبتها المؤمنين دائماً ، وأن أهل الكتاب لا تقوم لهم قائمة بعد هزيمتهم من المؤمنين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ فتولية الأدبار الواردة في الآية كناية عن الهزيمة ، لأن المهزم عادة يحول ظهره إلى جهة هازمه بحثاً عن ملجأ يأويه ، وهرباً إلى منجى ينجيه .

وفي التعبير عن الهزيمة بتولية الأدبار إشارة إلى شدة جبنهم وفراط هلمهم عند مباشرة القتال .

وقوله : ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ هكذا بصيغة الإخبار ، لا بصيغة الشرط وبثم الدالة على التراخي بيان لأن الحكم عليهم بعدم الانتصار أعظم وأشد من الحكم عليهم بالهزيمة والخذلان ، ولأنهم لا ينتصرون على المسلمين لا في القتال ولا في غيره .

واحتراس عن تولية الأدبار التي تسكون تحرفاً لقتال ، أو تمييزاً إلى فئة أو تأملاً لأمر أو إعداد لخطّة تحتاج إلى إعداد .

وقد تحققت هاتان البشارتان للمسلمين الأوائل فنصرهم الله على أعدائهم من اليهود والنصارى كما وقع ليهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وأهل خيبر وجوع الروم من النصارى في الشام ومصر على قلة المسلمين في العدد والمدة وكثرة أعدائهم عدداً وعقداً .

كان هذا النصر المؤزر للمسلمين على أعدائهم حين كانوا مشتمسكين ببعاليم دينهم ، معتمدين بحبل الله القوى المتين ، فلما انحرفوا عن

الجادة ، وانخرطوا في سلك الشيطان ، وانسلخوا عن منهج القرآن ، كانوا واعداءهم سواء يقلب الأقوى منهم الأضعف ، وبذل الأغني منهم الأفقر ؛ إذ قد زال عنهم نصر الله الذي أوجبه على نفسه لعباده في قوله سبحانه ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ ورفع عنهم عزه الذي كانوا به يعززون فان غلبوا أعداءهم في هذه الأيام فيما أوتوا من قوة واردة إليهم من الغرب أو الشرق ، ومفازة من هنا أو هناك لا بنصر الله لهم ، ولا بعزه لسلطانهم ، وإن غلبهم أعداؤهم فبإلهم من قوة وبأس ، وبما عندهم من علم كانوا غالبين فالسالمون الآن لا ينتصرون بالله ولكن بالشرق أو الغرب ينتصرون ، ولا يعتزون بالله ولكن بالشرق والغرب يعتزون وهيئات ... هيئات أن ينصر كافر مؤمنا ، وأن يعز شيوعى ملحد أو كثنائى متعصب ، مسلما موحدًا .

لذا كان من غير المستنكر أن يهزم اليهود رغم جبنهم وحرصهم على الحياة ، المسلمين هزائم منكرة في عقر دارهم أكثر من مرة خلال ثلاثين عاما ، وأن يسيطر النصارى من الفرنسيين والانجليز وغيرهم على بلاد المسلمين آماداً طويلة من الزمان ، ولا يقدر شيء من هذا كله في وعد الله الذي قطعه على نفسه بهزيمة أهل الكتاب أمام المسلمين ، وعدم نصرهم لا في قتال ولا في غيره ، إذ المراد بالمؤمنين الذين يحقق الله لهم هذا الوعد من التزموا بكل ما جاء في دين الله وشرعه ، واعتصموا في كل أحوالهم بحول الله وطوله وخافوا الله في السر والعلن ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر غير خائفين من بطش سلطان ، ولا محابين فيما يقولونه أو يفعلونه إنسان .

عقوبات اليهود

ومن تلك الأخبار قوله تعالى في اليهود ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما
تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت
عليهم المسكة ﴾ فقد أخبر سبحانه في هذه الآية بأنه عاقب اليهود على
كفرهم وجحودهم بثلاث عقوبات في الدنيا فوق ما أعد لهم من النكال
في الآخرة .

العقوبة الاولى

أن الله تعالى قد أحاط اليهود وألزمهم بالذل والصغار أينما وجدوا
وظفر بهم فهو لاحق بهم ملازم لهم حيثما كانوا وكيف وجدوا تسكونت
لهم دولة أم لا ، ملكوا من السلاح أضخمه وأقواه وأحدثه أم لا ،
جمعوا من المال أكثره وأنفسه أم لا ، هم في كل الأحوال أذلاء صاغرون
وإن يروا في أعين الناس أعزاء مسيطرين ، لأن ما ضرب عليهم من
الذل قد جعل خلقا لهم وطبيعة فيهم لا ينفك عنهم والمقتنع مادة ذل من
الناحية اللغوية يجد أنها تدور حول معنى واحد هو اللين ، فصاحب هذا
الخلق الخفيث يكون ليما يفعل لكل فاعل ، ولا يأبى ضم ضائم ،
لكن هذا الخلق الذي يهون على النفس قبول أى شيء لا يظهر أثره
غالباً على ذات صاحبه قولاً وفعلًا إلا عند الإحساس بالقهر والاستئلال
أما في غير هذه الحال فكثيرا ما يظهر الأذلاء في ثياب الأعزاء ،
يفخرون من لا يخشون سطوته من الكبراء .

ولا يوجد هذا الإحساس بالعزة لدى اليهود إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله ، وهو عقد الجزية الذي يربط بينهم وبين المسلمين ، وكان عقد الجزية عهدا من الله لهم لأنه سبحانه هو الذي شرعه وما شرعه الله وجب الوفاء به .

فإذا اعتصم اليهود بهذا الحبل ودفعوا ما عليهم من الجزية كغيرهم من أهل الكتاب كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم يعيشون بينهم في طمأنينة وأمان لا يشعرون بذلة ولا يمنعون من إقامة الشعائر وأداء العبادات . أو في حال اعتصامهم بحبل من الناس وهو العهد الذي تلتزم لهم به دولة أو دول من الشرق ، أو الغرب ، فيعيشون بمقتضى هذا العهد تحت كنف تلك الدولة ورعايتها آمنين أعزاء أقوياء قاهرين كما هو الآن حادث فإذا نقض هذا العهد عادوا إلى ما هم عليه من الذل المهين .

المقالة الثانية

إن الله تعالى ضرب عليهم المسكنة وهي ما يظهر على ذات الدليل من الاستخزاء والاستكانة ، والخشوع والخضوع في القول والفعل عند الشعور بالقهر والقلبة ، وقد وقع هذا لليهود قديما وحديثا فكلما شعروا بهزيمة أو طاف بذهنهم خيال يد قوية تمتد إليهم خضعوا وخشعوا واستكانوا ، ومن أكبر الأدلة على هذا ما حدث منهم عند ما هزمهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الاستسلام والخضوع ، وعندما هزمهم العرب في عام ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية ، فقد كانوا يبدون من الذل والذعر والملع والمسكنة ما ينم عن أحالة هذا الخلق

الخبث فيهم ، وعراقهم في الجبن والاستغزاء ، ولا سيما عند ما كانوا
يلتقون بمحاربهم وجها لوجه محققين قول الله عنهم : ﴿ لا يقاتلونكم
جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم
جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ^(١) 》 .

العقوبة الثالثة :

انهم قد باءوا بغضب من الله أى أن آخر شوطهم ومنتهى سعيهم
أن يموثوا في آخر المطاف بغضب الله وسخطه وكفى بهم إنما أن
سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

ولا ريب أن الله تعالى لم يعاقبهم بهذه العقوبات إلا لما جبلوا عليه
من ذمهم الخصال وقبيح الفعل قديماً وحديثاً ، فلا يفرك ما يظاهرون
به من دماثة الخلق ، ورقة الطبع ، وحلاوة الحديث ، وحسن المعاشرة
والمجاملات المعسولة لأنهم يخفون وراء هذا كله الفيظ العنيف ، والحد
الدين للعرب والمسلمين .

هذه جملة من الآيات القرآنية التي حملت في طياتها أخباراً عن
أمر غيبية تبين المسلمين تحققها كلها على الوجه الذي أخبر به القرآن
دون ما زيادة أو نقصان ، أفلا يدل هذا على أن القرآن حق لا ريب فيه ،
وأن ما ينجر به صدق لا كذب فيه ، ولا خلف له ، وأنه ما كان كذلك
إلا لكونه منزلاً من حكيم حميد ؟ .

الدليل الخامس :

ما جاء في القرآن من ذكر لأخبار القرون الخالية والأمم الماضية التي كانت قبل التاريخ وبعده يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب هو كلام الله حقاً لأمرين :

أحدهما :

أن الذي نقل هذا الكلام إلينا كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وكان دائم الإقامة مع قومه الأميين لا يغيب عنهم حتى يقال إنه تعلم في غيبته تلك من عرفاء التاريخ مشافهة هذه الأخبار ... فكيف يتأتى له أن يدلي بهذا الحديث المستفيض المقتن عن أصل البشر وبدايته ، ونوح وطوفانه ، وهود وأخباره مع قومه ، وصالح ومعاملة قومه له ، وما كان من موسى مع بنى إسرائيل قبل التيه وبعده ، وأخبار عيسى عليه السلام ومريم أمه منذ كانت في بطن أمها ، كيف يتأتى له الحديث عن ذلك كله وأكثر منه ؟ وهو الذي لم يقرأ كتب الأولين ، ولم يلقن من البشر شيئاً عن هذه الأخبار الوغلة في القدم ، مما حمل العرب الذين كانوا معه أن ينسبوا علمه هذا إلى رجل رومي ، لأنهم لم يستطيعوا أن يشبعوا تعلمه من عربي مثله ، ونسوا أنه لا يجيد لغة أخرى غير لغتهم ، الأمر الذي أخفهم به القرآن حين قال لهم :

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ ^(١)

ثانيهما :

أن علماء التاريخ في بقاع الأرض يعلنون من حين لآخر نتائج بحوثهم الجادة المصنية حول بعض الموضوعات التي سجل القرآن شيئاً عنها ، فإذا نتاج هذه البحوث تخرج على وفق ما ذكر القرآن مما يضطر الباحثين غير المتعصبين إلى الإذعان بحقية القرآن ، وبكونه من عند الله عز وجل لا من عند غيره كما في قوله تعالى عن فرعون موسى بعد ما اقتحم البحر مع جنده خلف بني إسرائيل ﴿ قال يوم ننجيك ببذلك لئسكون لمن خلفك آية ﴾ (١)

فإن هذه الآية قد ظلت محل بحث الباحثين من المسلمين وغيرهم ، وتشكيك المشككين في القرآن من أعدائه بحجة أن التوراة قد ذكرت في هذا الصدد ما نصه :

﴿ فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر . لم يبق منهم ولا واحد ﴾ (٢)

فهذا يعني أن فرعون موسى قد غرق في البحر مع الفارقين ، وهذا هو الذي يطابق الواقع ، إذ لا وجود لجسد هذا الفرعون كغيره من فراعنة مصر الآخرين الذين حنطت أجسادهم لتبقى خالدة على مرالسنين وعليه فالواقع لا يصدق القرآن ؟ الذي ذكر أن الله قد نجى فرعون ببذنه لئسكون لمن خلفه عبرة .

ظلموا يشككون بمثل هذه الشبهات حتى فجأتهم الحقيقة على يد علماء الآثار والجغرافيات الذين اكتشفوا بمياء فرعون موسى في إحدى حفائرم

(١) يونس ٩٢

(٢) العهد القديم ط عنتر سفر الخروج الاصاح الرابع عشر فقرة ٢٨ ص ١١٠، ١١١

الأثرية ، لتكون شاهدا على صدق قول الله وكذب ماعده (١) .

وعلى هذا فقس كل ما خالف فيه القرآن كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها ، مما سنعرض له بالتفصيل للموسع فيما سيأتى من فصول هذا الكتاب إن شاء الله .

الدلائل السادس :

مافيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالا فخالا ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل ، فسا كانوا يحدون في كل ذلك إلا الصدق ، وكذا مافيه من كشف حال اليهود وضمائمهم .

الدلائل السابع :

مما يدل على حقية القرآن وكونه منزلا من عند الله براءته من الاختلاف والنفاوت رغم كبر حجمه ، وسمة ما اشتمل عليه من المعارف والمعلوم .

قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٢) .

وما زعمه أعداء القرآن من وقوع التناقض فيه ، فهو لون من ألوان التزيد على كتاب الله والقول بالهوى والشهوة ، لا بالمنطق والحجة .

(١) انظر ما جاء عن ذلك مفصلا في كتاب دراسة الكتيب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي طبعة ونشر دار المعارف ص ٢٦٧ ، ٢٧١ .

(٢) النساء ٨٢ .

لأن الباحث المتعمق في القرآن لا يجد فيه تعارضا ولا تناقضا
وصدق الله حيث يقول ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض
إنه كان غفورا رحيما ﴾ (١).

الدليل الثامن :

مر على نزول القرآن أربعة عشر قرنا من الزمان ، وهو كما هو
منذ أنزله الله شامخ لم يطاول قوى لم يستطع أحد تحديه ، ثابت لم
يقهـسكن أحد من تغيير حرف فيه ، رغم كثرة المعاندين له من العرب
أرباب الفصاحة والبلاغة وغيرهم ، فأى كتاب يبقى هذا القدر من
الزمان دون ما زيادة فيه أو نقصان ؟ .

وأى كتاب يبقى كل هذا الوقت دون أن يستطيع إنسان ما أن
يجد فيه نفرة واحدة تشير إلى خلل فيه ، إن ذلك لا يكون إلا لكتاب
أنزله الله وتولى حفظه ، وصدق الله حيث يقول ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون ﴾ .

الدليل التاسع :

ومما يدل على أن القرآن كتاب الله حقا هو ذلك القدر الهائل الذي
يشتمل عليه من العلوم والمعارف جزئية كانت أو كلية ، دينية كانت
أو دنيوية ، عملية كانت أو غير عملية .

علوم شتى ليس للعرب عامة عهد بها ولا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم خاصة دراية بها وصدق الله حيث يقول ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ^(١) ﴾ .
ويقول سبحانه ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ^(٢) ﴾ .

الدليل العاشر :

أن أى كتاب فى الدنيا يسأله قارؤه إذا كرر قراءته مرات متتالية إلا القرآن ، فإنه لا يخلق على كثرة الرد ، ولا يمل منه قارؤه مهما كرر قراءته ما دام ذا قلب سليم وطبع مستقيم ، فلو كان من عند غير الله لستمه قراؤه كبقية كتب الناس ، ولكنه لما كان من عند الله كانت له تلك الخصوصية التى امتاز بها عن سائر كلام البشر .
وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملاً كل هذا وغيره يؤكد حقيقة القرآن وثبوته وكونه معزلاً من عند الله محفوظاً من التحريف والتبديل ، ويحمل طلاب الحق على الإيمان به والعمل بكل ما جاء فيه ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ^(٣) ﴾ .

الفصل الثاني

شبهات الكتابيين حول القرآن وردّها

رغم ما يضمه الكتاب العزيز بين طياته من أدلة ثبوته وكلامه ورغم ما يظهر للباحثين المصنفين في ذلك الكتاب من آيات صدقه وإعجازه ، فإن المكابرين والمعتصمين من أهل الكتاب راحوا يتصيدون للقرآن شبهات يشككون بها فيه ، ويقلعون بها ثغرات يطعنون من خلالها في معانيه وهيئات... هيئات أن يطعنوا بفتح الأفواه نور الشمس المبين ، أو أن يحطم نطح الأوعال بناء الصخر المتين .
من هذه المقتريات ما يأتي :

الشبهة الأولى :

أعلن القرآن أنه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومع ذلك فإنه يخالف أسفار العهد القديم والجديد في مواضع شتى فلا يكون إذن كلام الله ... إذ كيف يصدق ما سبقه من الكتب السماوية ويخالفها في كثير من الأمور .

دفع هذه الشبهة :

وردّاً على هذا نقول لا تضرنا مخالفة القرآن لتلك الأسفار في مواضع مختلفة ، لأنه لم تثبت أساسيتها المتصلة إلى مصنفها من ناحية ولم تثبت أن كل سفر منها إلهامي من ناحية أخرى ، بل ثبت أنها

مختلفة اختلافاً معنوياً في مواضع كثيرة ، ومملوءة بالأغلاط البينة يقينا
ومحرفة بأيدي العايشين والمضللين في أمور مختلفة .

الاختلاف في العهدين القديم والجديد :

فأما الاختلاف فقد وقع في مواضع كثيرة من أسفار العهدين .
التدليل من نصوص التوراة على وقوع الاختلاف فيها :

فما في التوراة من هذا الاختلاف ما يأتي :

١ — الفقرة التاسعة من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل
الثاني هكذا « وأتى يوباب بعدد وحساب الشعب للملك وكان عدد
بنى إسرائيل ثمانمائة ألف رجل بطل ، يضرب بالسيف ورجال يهوذا
عدهم خمسمائة ألف رجل مقاتلة » .

والفقرة الخامسة من الإصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول
من أخبار الأيام هكذا : « ودفع احصاء القوم إلى داود وكان عدد
بنى إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل جاذب سيف ، ويهوذا
أربعمائة ألف وسبعون ألف رجل مقاتلة » فبينهما اختلاف في عدد
بنى إسرائيل بمقدار ثلثمائة ألف وفي عدد يهوذا بقدر ثلاثين ألفا .

٢ — الفقرة الثالثة عشر من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر
صموئيل الثاني هكذا : « وأتى جاد إلى داود وأخبره قائلا : إما أن
يكون سبع سنين جوعاً لك في أرضك » ألخ ، وفي الفقرة الثانية عشرة
من الإصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا
« أما ثلاث سنين جوع » ألخ : ففي الأول سبع سنين ، وفي الثانى ثلاث

سنين ، وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط .

٣ — الفقرة السادسة والعشرون من الإصحاح الثامن من سفر الملوك

الثاني هكذا « وكان قد أتى على أخزيا اثنان وعشرون سنة إذ ملك »

الخ ، والفقرة الثانية من الإصحاح الثاني والعشرين من السفر الثاني من

أخبار الأيام هكذا « ابن اثنى وأربعين سنة كان أخزيا »

الخ ، فبينهما اختلاف ، والثاني غلط يقينا كما أقر به مفسروهم

وكيف لا يكون غلطاً وإن أباه « يهورام » حين موته كان ابن

أربعين سنة وجلس هو على سرير السلطنة بعد موت أبيه متصلاً كما

يظهر من الإصحاح السابق ؟ فلو لم يكن غلطاً للزم أن يكون أكبر

من أبيه بسنين .

٤ — الفقرة الثامنة من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك

الثاني هكذا « وكان يهويا كين يوم ملك ابن ثمانى عشرة سنة »

الخ والفقرة التاسعة من الإصحاح السادس والثلاثين من أخبار الأيام

هكذا : « ابن ثمانى سنين كان يهويا كين » حين ملك للخ فبينهما

اختلاف ، والثاني غلط يقينا ، كما أقر مفسروهم .

التدليل من نصوص الأناجيل على وقوع الاختلاف فيها :

وبما في الإنجيل من هذا الاختلاف ما يلي :

١ — فحوى ما في الإصحاح الرابع من إنجيل مرقس يفيد أن المسيح

أمر الجماعة بالذهاب ، وحدث التموج والهيجان في البحر بعد وعظ

الأمثال ، وما في الإصحاح الثامن من إنجيل متى يفيد أن أمر المسيح

(٦ - المسيح)

للجماعة بالذهاب وحدوث التموج والهيجان في البحر كان بعد وعظ الجبل لا بعد وعظ الأمثال .

وقد كتب متى وعظ الأمثال هذا في الإصحاح الثالث عشر فهو متأخر في الحالين السالفين تأخراً كثيراً ، لأن بين وعظ الجبل ووعظ الأمثال مدة طويلة فلا شك إذن أن أحدهما خطأ ، إذ التقديم والتأخير في تاريخ الوقائع ، وتوقيت الحوادث من الذين يدعون أنهم يكتبون بالإلهام ، أو يدعى لهم ذلك بمنزلة المناقضة .

٢ — ذكر مرقس في الإصحاح الحادى عشر أن مباحثة اليهود والمسيح كانت في اليوم الثالث من وصوله إلى أورشليم ، وكتب متى في الإصحاح الحادى والعشرين أنها كانت في اليوم الثانى فأحدهما غلط .

٣ — في الإصحاح الثامن من إنجيل متى ما يفيد أن عيسى عليه السلام قد أبرأ الأبرص بعد موعظة الجبل وقبل دخوله كفر ناحوم فلما دخله شفى العبد قائد المائة ، وفي الإصحاح الرابع من إنجيل لوقا ما يفيد أنه دخل كفر ناحوم وشفى العبد السالف الذكر ومرضى آخرين بعد ما تلقى كثيراً من الناس بالناصره داخل الجمع ولم يكن قد شفى أحداً في تلك الفترة ، فهذان البيانان من متى ولوقا مختلفان وأحدهما غلط يتبيناً .

٤ — من قابل ما كتبه متى عن نسب عيسى عليه السلام بما كتبه لوقا عن ذلك النسب يجد ما يأتى :

(١) يوسف عند متى هو ابن يعقوب وعند لوقا هو ابن هالى .

(ب) عيسى عند متى هو من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ،
وعند لوقا هو من أولاد فائان داود .

(ج) جميع آباء المسيح عند متى من دارد إلى جلاء بابل سلاطين
مشهورون وهم عند لوقا ليسوا كذلك إلا داود وفائان .

(د) شألتئيل عند متى هو ابن يكتنيا وعند لوقا هو ابن نيري .

(هـ) من داود إلى المسيح عليهم السلام ستة وعشرون جيلا على
ما بينه متى ، وواحد وأربعون جيلا على ما بينه لوقا .

وقد أوقعت هذه الاختلافات البيضة مفسري السكقاب المقدس
في الحيرة الشديدة إلى حد أن بعضهم ترك حل ذلك الخلاف للزمن الذي
سيأتي بعد ذلك .

إلى آخر تلك الاختلافات الكثيرة التي وضع الباحثون أيديهم
عليها في التوراة والإنجيل ولم يجد مفسرو السكقاب المقدس بدا من
أن يعترفوا ببعضها لعدم إمكانهم تأويله بما يزيل عنه الاختلاف .
الأخطاء في المهدين للتقديم والجديد :

وأما ما وقع في أسفار المهدين من الأخطاء والأغلاط فـهو
كثير أيضا .

التدليل من نصوص التوراة على وقوع الأخطاء فيها :

من تلك الأخطاء في التوراة ما يأتي :

١ - في الفقرة الرابعة من الإصحاح الثالث من السفر الثاني من
أخبار الأيام ما نصه :

« والرواق الذي قدام الطول حسب عرض البيت مشعرون ذراعا ،

وارتفاعه مائة وعشرون » وهذا خطأ لأن ارتفاع البيت الذى بنى أمامه الرواق كان ثلاثين ذراعا كما جاء فى الفقرة الثمانية من الإصحاح السادس من سفر الموك الأول ، فمن غير المعقول أن يكون ارتفاع البيت ثلاثين ذراعا ، وارتفاع الرواق الذى أمامه مائة وعشرين ذراعا ، ولعل هذا هو الذى حمل آدم كلارك أحد مفسرى السكواب المقدس على الاعتراف الصريح فى تفسيره بأن هذا غلط .

٢ — فى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الأيام مانصه :

« وابتدأ أوبيا فى الحرب بجيش من جبابرة القتال أربعمئة ألف رجل مختار ويربعم اصطف لمحاربته بثمانمئة ألف رجل مختار جبابرة بأس » .

وفى الفقرة السابعة عشر من هذا الإصحاح هكذا .

« وضربها وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من بنى إسرائيل خمسمئة ألف رجل مختار » .

فالأعداد الواردة فى الفقرتين السالفتين غلط . وقد أقر مفسروهم بذلك وحاولوا إصلاح هذا النص فبدل بعضهم لفظة الأربعمئة ألف بأربعين ألف ، والثمانمئة ألف بثمانين ألف والخمسمئة ألف بخمسين ألفا حتى يخرج الكلام من دائرة الخيال المبالغ فيه إلى ما يقارب الواقع المعقول .

٣ — فى الفقرة الثامنة من الإصحاح السابع من سفر أشعيا مانصه :

« لأن رأس آرام دمشق ، ورأس دمشق رصين وفى مدة خمس

وسبعين سنة ينكسر أفرام حتى لا يكون شعباً « فالحكم على أفرام
بالإنكار في مدة خمس وسبعين سنة غلط يقينا لأن ما صرح به الإصحاح
السابع عشر ، والثامن عشر من سفر الملوك الثاني يفيد أن فناء أفرام
كان في إحدى وعشرين سنة لا في خمس وسبعين كما جاء في هذا النص .
لأن سلطان آشور تسلط على أفرام في السنة السادسة من جلوس حزقيا ،
فدل هذا على أن ما في سفر الملوك هو الصواب ، وما في سفر أشعيا هو
الخطأ البين الذي لا شك فيه .

٤ - في الفقرة السابعة عشرة من الإصحاح الثاني من سفر التكوين
ما نصه :

« وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل
منها موتا تموت » فالحكم الوارد في هذا النص بموت آدم عقب الأكل
من الشجرة أكثر من تسعمائة عام على ما ذكره كقاب مواليد آدم
في الإصحاح الخامس من سفر التكوين أيضاً .

ولست هذه الأخطاء هي كل ما حوت التوراة من أغلاط بل
هناك أخطاء كثيرة أعرضنا عن ذكرها بغية الاختصار .

التدليل من نصوص الأناجيل على وقوع الأخطاء فيها :

ومن الأخطاء الواقعة في الأناجيل ما يلي :

١ - في الفقرة السابعة عشرة من الإصحاح الأول من إنجيل متى

ما نصه :

« لجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا » .

ومن هذا النص يعلم أن بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاثة أقسام وكل قسم منها مشتمل على أربعة عشر جيلا ، وهو غلط صريح ، لأن القسم الأول يتم على داود ، وإذا كان داود عليه السلام داخلا في هذا القسم يكون خارجا من القسم الثاني لا محالة ، وابتداء الثاني لا محالة من سليمان ويتم على يسكنيا ، وإذا دخل يسكنيا في هذا القسم كان خارجا من القسم الثالث ، وابتداء القسم الثالث من شالفتيل لا محالة ويتم على المسيح ، وفي هذا القسم لا يوجد إلا ثلاثة عشر جيلا .

٢ - كتب متى في الفقرات الأربع الأولى من الإصحاح الأول من إنجيله ما يفيد أن من يهوذا إلى سلمون سبعة أجيال ، ومن سلمون إلى داود خمسة أجيال وهذا غلط صراح لأن الزمن من يهوذا إلى سلمون قريب من ثلثائة سنة ، ومن سلمون إلى داود أربعائة سنة فلا يعقل بداهة أن يحوى زمن كهذا سبعة أجيال من الفاس ، أو خمسة سيما وأن الغابرين كانت أعمارهم طويلة ، الأمر الذي جعل بعض دارسي الكتاب المقدس لا يصدق مثل هذا الكلام ولا يعبا به .

إلى آخر ما وقع في هذا الإنجيل من أغلاط بيئة وأخطاء فاحشة تدل على أن هذه الكتب قد عبثت بها أيدي كثيرة .

وقوع التحريف في التوراة

وأما التحريف فهو قسمان لفظي ومعنوي .
فأما المعنوي : فإن المسيحيين كلهم يسلمون صدوره عن اليهود في العهد المتيق ، سيما في الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح ، والأحكام التي هي أبدية عند اليهود ، فهذا القسم من قسمي التحريف مسلم بوقوعه في العهد القديم عند الفصاري .

وأما التحريف اللفظي : فإنه يكون تارة بتبديل لفظ مكان لفظ أو جملة مكان جملة ، وتارة زيادة لفظ ، وتارة أخرى بقتضائه .
وقد وقع هذا النوع من التحريف بكل أحواله تلك في التوراة .

التحريف بالتبديل

فما كان التحريف فيه بالتبديل قوله في الفقرة السادسة من المزمور الأربعين في التوراة ﴿ أذني فتحت ﴾ فإن بولس قد نقل هذه الجملة في الآية الخامسة من الإصحاح العاشر في رسالته إلى العبرانيين هكذا .
[وليكن هيأت لي جسدا] فجعل هيأت لي جسدا بدل جملة ﴿ أذني فتحت ﴾ الأمر الذي حير علماء المسيحيين ، وجعلهم ينسبون التحريف تارة إلى التوراة ، وتارة إلى الإنجيل .

التحريف بالزيادة :

ومما كان التحريف فيه بالزيادة : قوله في الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر القشمية (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب

حتى الجيل العاشر . لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) لأن هذا الحكم لا يمكن أن يكون من الله ولا مما كتبته موسى عليه السلام ، لأنه لو صح أنه من كلام موسى فسوف يفضى بالضرورة إلى التناقض البهين ، إذ قد ثبت أن داود هو بطن عاشر من فارص كما يفهم من الإصحاح الأول من إنجيل متى ...

وفارص هذا ولد زنى كما يفهم من الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين ، فيلزم على كون تلك الفقرة التي معنا من مقول موسى عليه السلام ألا يكون داود داخلا في جماعة الرب .

وهذا شيء لم يقل به أحد ، الأمر الذي اضطر بعض مفسري الكتاب المقدس إلى القول بأن جملة « حتى الجيل العاشر » إلحاقية مزيطة وليست من كلام موسى عليه السلام .

التحريف بالنقص

ومما وقع التحريف فيه بالنقص قوله في الفقرة الثانية والعشرين من الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين ﴿ وحدث إذا كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل وكان بنو يعقوب اثني عشر ﴾ فإن اليهود يرون أن شيئا سقط من هذه الفقرة تنمى الترجمة اليونانية وهو « وكان قبيحا في نظره » وذلك اعتراف منهم بسقوط بعض الجمل من التوراة أثناء تدوينها فضلا عن سقوط حرف أو حرفين .

فيكفي لا يخالف القرآن كتبها فيها من الاختلافات والأغلاط

والتحريفات ما يجعلها غير قادرة على إعطاء الحقائق للناس ، ليبين الحق والصواب ، والحكم الفصل في كل ما يحتاج فيه الناس إلى القول الفصل . مقرأ بأن أصل هذه الكتب كان من عند الله فعُثِّبَ بها العابثون ، وافتحهم جلال قلوبهم المقتحمون ، فزيفوا وضلوا حتى ظهر الحق المبين ^(١)

الشبهة الثانية :

في القرآن مضامين قبيحة تدل على أنه ليس كلام الله . منها أن الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره ومنها أن في الجنة أنهارا وأشجارا ، وهورا وقصورا ، وطعاما وشرابا ، إلى آخر أنواع التعميم الجسماني الذي يستمتع الناس به في الحياة الدنيا .
هذه شبهة من شبههم التي أثاروها حول القرآن بغية التشكيك فيه والطمع في كونه منزلا من عند الله سبحانه .

رد هذه الشبهة :

ونحن أنصافا للحق نقول : إن الحكم على كون الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره بأنه من المضامين القبيحة التي صار القرآن باشتماله عليها غير منزل من عند الله كما زعموا ، هو حكم المقتضيين الجاهلين وإلا فإن ما قالوه عن القرآن لا شتماله على هذا الأمر كان ينبغي أن يقولوه عن القوراة والإنجيل لا شتمالها على نفس هذا الأمر أيضا .

(١) أنظر ما جاء من ذلك كله مفصلا في كتاب إظهار الحق للشبح رحمة الله الهندي ط دار التراث العربي للطباعة والنشر من ص ١٠٦ : ٢١٢ .

« قد جاء فيهما ما يفيد أن الهداية والإضلال من عند الله لا من عند غيره .

من ذلك ما جاء من سفر الخروج من قوله في الفقرة الحادية والعشرين من الإصحاح الرابع .

« وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مضر انظر جميع المعجائب التي جعلتها في يدك وأضعها قدام فرعون ولكن اشد قلبه حتى لا يطلق الشعب » .

وقوله في الفقرة الثالثة من الإصحاح السابع من هذا السفر أيضاً « ولكنى أقس قلب فرعون »

وقوله في الفقرات ١ ، ٢٠ ، ٢٧ من الإصحاح العاشر من هذا السفر كذلك .

« ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون فاني أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي أضع آياتي هذه بينهم »

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل »

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ أن يطلقهم »

وقوله في الفقرة العاشرة من الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر السابق ذكره .

« وكان موسى وهارون يفعلان كل هذه المعجائب أمام فرعون ،

ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل من أرضه » .

وما جاء من قوله في الفقرة الرابعة من الإصحاح التاسع والعشرين من سفر التثنية .

« واماكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعيننا لتبصروا وآذاننا لتسمعنوا إلى هذا اليوم » .

وقوله في الفقرة العاشرة من الإصحاح السادس من سفر أشعيا « أغلظ قلب هذا الشعب وأثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ولا يسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفي » .

وقوله في الفقرة الثامنة من الإصحاح الحادى عشر من الرسالة الرومية « كما هو مكتوب أعطاهم الله سبات وعيوننا حتى لا يبصروا وآذاننا حتى لا يسمعنوا إلى هذا اليوم » .

وقوله في الفقرة التاسعة والثلاثين من الإصحاح الثانى عشر من إنجيل يوحنا « لهذا لم يقدرُوا أن يؤمنُوا لأن أشعيا قال أيضا قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعينونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعُوا فأنشفهم » .

أفلا يدل هذا الكلام الواضح على أن الذى أضل فرعون وأغلظ قلبه وقلوب عبده ، فلم يطلق بنى إسرائيل من أرضه إنما هو الله عز وجل ؟

وعلى أن الذى أعمى عيون بنى إسرائيل وأغلظ قلوبهم ، وأثقل آذانهم فلا يبصرون ولا يشعرون ولا يسمعون إنما هو الله سبحانه ؟ وهل يخرج هذا فى جملة عن قول الله - تعالى - « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولم عذاب عظيم » (١) .

فلم يحكموا إذن على التوراة والإنجيل ، وقد اشتملنا على أحد
المضامين القبيحة في رأيهم وهو كون الهداية والإضلال من عند الله
لأمن عند غيره فيما حكموا به على القرآن ؟ أليس هذا هو الجهل والتمصّب ؟
وأما القول بأن حديث القرآن عن نعيم الجنة الجسماني هو أحد
المضامين القبيحة التي تدل على أن القرآن ليس كلام الله فهو افتراء محض
لا يجرؤ عليه إلا من له تجارب طويلة مع الكذب والاختلاق لما يأتي :
أولا : إن الجنة شيء غيبي لم يسبق لأحد في العالم قديمه وحديثه
الاطلاع عليه ، فإذا ادعى أحد خلوها من النعيم الجسماني فهي دهوى
باطلة ما لم تقايد بأدلة سمعية قوية .

إذ لا مدخل للعقل في مثل هذه الأمور ، فسكاً أنه لا يتصور أن
يصف أحد بيتاً لم يدخله ولم يخبر خبره فإنه لا يتصور أن يصف أحد
الجنة وهو لم يدخلها ولم يخبر خبرها ، وعليه فإن وصف الجنة والحكم
على نعيمها بالمادية أو الروحية لا يتأتى إلا ممن خلقها وأبدع ما فيها
وصوره أحسن تصوير ، ولا يقول المسلمون بالآلة الجسدية في الجنة
فقط ، بل هم يؤمنون من خلال ما عرفوا في كتابهم الكريم ، بأن في
الجنة نعيم الروح والجسد ، ونعيم الروح أعظم وأفضل ، قال الله تعالى
﴿ وهذا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو
الفوز العظيم ^(١) ﴾ .

فقوله ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ يدل على أن رضوان الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره في الآية قبلاً .

واللقصود برضوان الله ، هو نعيم الروح وتمتعها ، وعلى هذا فإن أفضل ما يعطى في الجنة هو اللذائذ والمتع الروحانية ، وليكن هذا لا يعنى حرمان الجسد من المتع والذات بل يجمع المؤمن في الجنة بين النعمتين لأنه إنسان ، والإنسان مركب من الجوهرين السادة والروح فناسب في منطق العقل والعدل والفضل أن يكون النعيم للجوهرين معاً كما أن العذاب لهما معاً .

ثانياً : إن مسيرى هذه الشبهة من المؤمنين بالحشر الجسماني فكيف يستبعدون النعيم الجسدي إذ لو كانوا مفكرين للحشر مطلقاً كمشركي العرب ، أو مفكرين للحشر الجسماني فقط كأتباع أرسطو لكان لاستبعادهم اللذائذ الجسدية وجه من الوجوه ، وما قد يقال من أن في الأناجيل ما يدل على أن أهل الجنة كالملائكة فمع كون مخالفة الأناجيل للقرآن لا تغزر لما ثبت من وقوع الأخطاء فيها ، إلا أننا نقول بحمل مثل هذا على أن الملائكة ، كما جاء في بعض أسفار العهد القديم ، يأكلون ويشربون فقد جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ما نحوه أن الملائكة أكلوا ما قدم لهم إبراهيم من الفطير والعجل السمين .

أيجوزون على الملائكة الأكل في الدنيا ويستبعدون على الله نعيم الأجساد للناس في الآخرة ؟ ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً^(١)﴾ .

الشبهة الثالثة :

ليس في القرآن ما تطلبه الروح وتتمناه ، ولما كانت الروح هي المقصد الأسمى وكان شفاؤها هو الغاية للثلى ، كان في خلو القرآن من مثل ذلك دليل على أنه ليس من عند الله سبحانه .

الجواب على هذه الشبهة :

وردا على هذا الكلام نقول : إن غاية ما تطلبه الروح وتتمناه أمران : أحدهما : الاعتقادات السكاملة التي تجعل الإنسان مطمئنا على غده غاية الاطمئنان واتقا في معبوده غاية الثقة بحيث إذا هم أمر من الأمور أو خفي عليه شيء ما ، أو ضاقت به حياته ، وجد في عقائده ما يريحه ويطمئنه ويملا قلبه رجاء وأمنا وأمانا .

وذلك كله موجود في القرآن بما لا مزيد عليه في أي كتاب آخر مع الصدق التام في كل ما جاء به .

وثانيهما : العمل الصالح الذي يكلف به الإنسان فيحس بعد أدائه بالمتعة والارتياح وهذا أيضا موجود في القرآن مبين فيه أجلي بيان . فكيف يستجيزون لأنفسهم بعد ذلك أن يقولوا ليس في القرآن ما تطلبه الروح وتتمناه ؟ .

الشبهة الرابعة :

جاء في القرآن قوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (١) .

فدل هذا على أن وقوع الاختلاف في القرآن دليل على عدم كونه من عند الله ، وقد وقع الاختلاف في كثير من آيات القرآن .

مثل قوله تعالى ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ بعد قوله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ ثم قوله ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ إلى آخر تلك الاختلافات التي تدل دلالة واضحة على أن هذا القرآن ليس من عند الله دحض هذه القرينة :

إن كل ما يزعمه أعداء القرآن من اختلاف فيه هو دون ما جدال راجع إلى سوء فهمهم له ، وإلا فكل ما في القرآن حق ، والحق لا يناقض بعضه بعضا ، وأما ما قد يكون فيه من عام خُصص أو مبهم مُبين ، أو مطلق قيد ، أو منسوخ بقيت تلاوته فشكل ذلك خارج من دائرة الاختلاف والتناقض ، والكذب والمهاترة ، والزيف والتضليل .

ولنأخذ على سبيل المثال بعض ما أوردوه في شبهتهم تلك من آيات زعموا وقوع الاختلاف بينها فنقول وبالله التوفيق :

المثال الأول :

قوله في سورة البقرة ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (٢٥٦) ، وفي سورة بونس ﴿ أفأنت تسكره الناس حتى يَكُونُوا مؤمنين ﴾ (٩٩) .

يدل على أنه لا يجبر أحد على الدخول في الإسلام يل من شاء أسلم ومن شاء لم يسلم ولا إكراه لأحد على الدخول في هذا الدين .

وقوله في سورة البقرة ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ (١٩٣)
وفي سورة التوبة ﴿ قاتلوهم يذهب عنهم الله بأيديكم ﴾ (١٤) .
وفي سورة الفتح ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ (١٦) ، إلى آخر
ما جاء في القرآن من آيات الأمر بالقتال .
يدل دلالة واضحة على أن الناس يساقون قهراً بالسيف إلى الدخول
في الإسلام وفي هذا من الاختلاف المعنوي مالا يستطعم أحد أن
يشك فيه .

ونحن نقول لا تعارض بين ماورد في القرآن عن عدم الإكراه
في الدين ، وبين ما جاء فيه من الأمر بقتال الكافرين .
لأن مثل قوله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تسكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ إنما هو حال تبليغ الدعوة فإذا بلغ
المسلمون الدعوة ولم يسلم الكفار طلبوا منهم المسالمة وعدم فتنة من
يسلم ، والكف عن محاربتهم فإذا التزموا بذلك لا يصح للمسلمين أن
يحاربوهم لقوله تعالى ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم
السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾ (١) .

قال الدكتور طنطاوي تعاليتك على هذه الآية الكريمة أي
أن هؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الأخذ والقتل ، اقبلوا
مسالمتهم ، إن اعتزلوا فقال لكم فلم يقرضوا لكم بسوء ، وكفوا عن
مقاتلهم إذا ألقوا إليكم السلم أي : إذا انقادوا للصالح والأمان

ورضوا به ، وهم متى فعلوا ذلك ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ .
أى : فما أذن الله لكم فى أخذهم وقتلهم بأى طريق من الطرق
التي توصل إلى العدوان عليهم ا . ه ^(١) .

وإن لم يلتزموا بما ذكر حل المسلمين قتالهم حتى لا تكون نفقة
ويكون الدين كله لله . هذا بالنسبة لغير أهل الكتاب ، وأما بالنسبة لأهل
الكتاب فإن عليهم أن يدفعوا الجزية إذا سالموا المسلمين إيدانا
بخصوصهم التام والتزامهم الكامل بما أعلنوه من المسألة والمواحدة
وانقيادهم لأهل الإسلام .

واعل السر فى فرض الجزية عليهم هو أنهم يعرفون صدق الإسلام
ولا يسلمون أنفة من اتباع محمد الذى هو من نسل هاجر الجارية وهم
من نسل سارة الحرة فكسروا أنفقتهم تلك أمر الله تعالى يأخذ الجزية
منهم فى قوله سبحانه ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين
أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ ^(٢) .

على أن من العلماء من يرى أن قوله تعالى ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾
ومحوه ، إنما هو فى خصوص أهل الكتاب دون غيرهم .
والمعنى أنهم لا يكرهون على الدخول فى الإسلام مطلقا قبل
نزول قتالهم ، ولا يكرهون عليه بعد الأمر بقتالهم إذا أعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون .

(١) تفسير سورة النساء للدكتور ططاوى ط : السادة ص ٣٣٤

(٢) التوبة : ٢٩

وقد استدلوا على كون هذه الآية ونظائرها في خصوص أهل الكتاب بما يأتي :

(١) ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والكسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كانت المرأة تكون مقلاة^(١) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجايت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لاندع أبناءنا . فأنزل الله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ .

(ب) ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال نزلت : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ في رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له (الحصين) كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أسقركهما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية .

(ج) ما رواه ابن جرير من أن أبا بشر سأل سعيد بن جبير عن هذه الآية فقال : نزلت في الأنصار ، فقال خاصة ؟ قال خاصة .

(د) ما أخرجه ابن جرير عن قتادة في قوله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ قال أكره عليه هذا الحى من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه ، فلم يقبل منهم غير الإسلام ، وبكره عليه أهل الكتاب إذا أقرؤا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم .

(هـ) ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك في قوله ﴿ لا إكراه في الدين ﴾

(١) المقلاة : التي لا يدور ولد . وفي المثل أحر من دمع المقلاة .

نقال أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا : لا إله إلا الله أو السيف ، ثم أمر خفيين سواهم أن يقبل منهم الجزية . فقال ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغنى ﴾ ^(١) .

هذا ما استدلوا به على خصوص منع الإكراه في الدين بأهل الكتاب المعطين للجزية ، ومن في حكمهم . ولا يقال إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب .

ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح : « عجب ربك من قوم ييقادون إلى الجفة في السلاسل » .

ومنهم من يرى أن الحكم يمنع الإكراه في الدين كان قبل الجهاد فلما نزل حكم الجهاد نسخ هذا الحكم .

والنسخ ليس اختلافا معنويا وإلا يلزم أن يكون بين الانجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلافا معنويا ، وكذا في نفس أحكام التوراة وأحكام الانجيل .

وأما ما كان الرأى في تفسير هذه الآية ونظائرها فإن ما زعموه مختلفا جد الاختلاف هو في الحقيقة مؤتلف كل الائتلاف ، اذ ما كان السيف إلا لمن أبى الإسلام وعاداه وحاربه ، وأما من لم يحاربوه ولم يعادوه وعاهدوا أهلهم عهد الصدق والوفاء فلا يقاتلون ولا يحاربون : بل لهم - ما حرصوا على صدقهم ووفائهم - أن يسكنوا من المسلمين في غاية الأمن والامان .

(١) انظر تفسير ابن كثير ط الحامى ص ٣١٠ وما بعدها ودفع ابهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطى طبعة المدني ص ٤٤ وما بعدها .

المثال الثاني :

قوله في سورة البقرة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ١٩٠ .

يدل بظاهره على أن المسلمين لم يؤمروا بقتال غيرهم إلا إذا قاتلهم .
وقوله في سورة البقرة أيضاً ﴿ وَقَاتِلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ١٩٣ .

وفي سورة الأنفال ﴿ وَقَاتِلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ٣٩ .

وفي سورة التوبة ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ٥ .
يدل دلالة قاطعة على أن المسلمين مأمورون بقتال غيرهم قاتلهم أو لم يقاتلهم ، وفي هذا من الدلالة على وقوع الاختلاف المعنوي في القرآن ما فيه .

ونحن نقول لا اختلاف بين هذا وذاك كما زعوا ، لأن قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ ﴾ ليس شرطاً في قتال المسلمين لأعدائهم كما ذكر المبطلون ، بل هي جملة أريد بها تهيج المسلمين وتحريضهم على قتال الكفار القادرين الأقوياء ، فكأنه سبحانه يقول لهم هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم هم خصومكم وأعداؤكم الذين يستطيعون قتالكم .
أما الشيوخ الذين لا يستمعان برأيهم ، والنسوة اللاتي لا يحاربن والصبية الذين لا قوة لهم ، فليسوا داخلين في الوصف السالف الذكر ولا يجوز للمسلمين قتالهم .

ويدل لهذا المعنى قوله تعالى ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾^(١) .

ومن العلماء من يرى أنه لما كان القتال شاقا على النفوس أذن الله به من غير إيجاب في قوله سبحانه ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾^(٢) .

ثم أوجب عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم بقوله :

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴿ ١٩٠

ثم لما استأنست نفوسهم بالقتال أوجبه عليهم إيجابا عاما بقوله

﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ .

وعلى هذا فيسكون قوله تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ فاسخا لقوله

سبحانه ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ الآية .

ولا يعد النسخ من قبيل الاختلاف المعنوي كما بيناه آنفا .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإنه لا تعارض بين تلك الآية وآيات

الأمر العام بالقتال كما زعم الزاعمون ، بل هو توجيه إلهي ، أو تدرج

تشريعي أريد به أن يكون المسلمون على خير منهج في الطريق التي

أريد لهم أن يسلكوها ، وعلى أحسن مستوى في السبيل التي أريد

لهم أن يتسموها .

ومن أين يأتيه التعارض أو العناقض وهو كلام الحكيم الخبير .

للشال الثالث :

قوله في سورة البقرة ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ١٩٤ .

وفي سورة النساء ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ ١٤٨ .

وفي النحل ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ١٢٦ .

وفي سورة الحج ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾ ٦٠ .

وفي الشورى ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ ٣٩ .

يدل دلالة تامة على أن المسلمين مأمورون بالانتقام ممن يعتدى عليهم ردًا على العدوان بمثله ، وليس عليهم في ذلك من سبيل .

وقوله في سورة آل عمران ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ ١٣٤ .

وفي سورة الأعراف ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾ ١٩٩ .

وفي سورة الحجر ﴿فاصفح الصغیر الجلیل﴾ ٨٥ .

وفي سورة الفرقان ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ ٦٣ .

وفي سورة فصلت ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ ٣٤ .

وفي سورة الشورى ﴿فمن عفى وأصلح فأجره على الله﴾ ٤٠ .

يدل دلالة كاملة على أن المسلمين مأمورون بالعفو عن ظلم الظالمين وترك الانتقام منهم ، وفي هذا من التناقض والتعارض ما لا يخفاء فيه .

و نحن نقول لا تناقض ولا تعارض لأنه لما كان وضع الندى في موضع السيف مضر كوضع السيف في موضع الندى ، ولما كان الناس بين كريم إذا أكرمه ملكته ، ولئيم إن أنت أكرمته تمرد ، ولما كانت الجرائم بين شديد لا يعفى عنه ، وخفيف يصلحه التجاوز والعفو : لما كان ذلك كذلك شرع الله لعباده الأمرين معا ، ونبه على أفضلها وهو العفو في نحو قوله سبحانه ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ وقوله عز شأنه ﴿ ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ . فكيف يعدون مثل هذا من التعارض والتناقض ذلك ضرب من الجهل أو التعصب لا يخضع أبدا لمنطقه جلال القرآن .

المثال الرابع :

قوله في سورة آل عمران ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی ﴾ ٥٥ .

يدل على أن الله قد أمات عيسى ثم رفعه ، وهذا يخالف ما جاء في سورة النساء من قوله ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لئى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ ١٥٧ : ١٥٩ . إذ خوى هذه الآيات أن القائلين بقتل عيسى وصلبه كاذبون فيما قالوا ، وأن عيسى لم يمت ، بل رفعه الله حيا إليه ، وأنه لئى يموت

حتى يؤمن به أهل الكتاب الذين يعاصرون نزوله إلى الأرض فكيف لا يكون هذا مفاقضا لما جاء في سورة آل عمران؟ ولا سيما أن جل المفسرين يسكادون يجمعون على أن الضمير في قوله [قبل موته] يعود على عيسى ، وأن الأحاديث الصحيحة التي تبلغ في مجموعها حد القواتر ، قد دلت على رفع عيسى حيا ونزوله إلى الأرض بعد ذلك .
ورداً على هذا نقول :

لا دلالة في آية آل عمران على كون عيسى عليه السلام قد مات ثم رفع كما زعم الزاعمون لأن قوله تعالى (متوفيك) لم يقتض بزمان حتى يقال إنه توفاه فيما مضى ، بل هو سبحانه متوفيه في أى زمن شاء ولا دليل على أن هذا الزمن قد مضى في فهم بعض الناس إلا عذقه (ورافعك) على (متوفيك)

وهذا في الحقيقة ليس بدليل ، لإطباق جمهور أهل اللسان العربى على أن الواو لا تقتضى الترتيب ولا الجمع ، وإنما تقتضى مطلق التشريك ولا يتنافى هذا مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « ابدأ بما بدأ الله به » يعنى الصفا في قوله تعالى ﴿ إِنْ الصِّفَا وَالْمُرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ لأن الواو كما لا تقتضى ترتيباً ولا معية فإنها كذلك لا تقتضى المنع منهما ما دامت هناك قرينة تدل على ذلك ، فعطف المروة على الصفا بها قصد به الاهتمام بالصفا . بدليل الحديث السالف الذكر

وقد يكون المعطوف بها مرتباً كقول حسان « هجوت محمداً وأجبت عنه » على رواية الواو .

والذى دل على هذا الترتيب ليس ما فى معنى الواو لأنها كما قلنا لا تقتضى ترتيباً ولا معية بل أمر خارجى هو أن حسان هـا محمداً أولاً ثم أجاب عنه بعد ذلك ، وأيضاً فقد روى البيت بالفاء الدالة على الترتيب فى روية أخرى .

وقد يراد بها المعية بقريضة خارجية كقوله ﴿ فَأَنْجِينَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾ إذ النصوص كلها مجمعة على أن نوحاً عليه السلام لم ينج وحده بل نجا معه كل من شاركوه فى ركوب السفينة .
هذا على أن معنى (متوفيك) مميتك .

ومن العلماء من يرى أن معنى ﴿ متوفيك ﴾ منيمك
وقد جاء فى القرآن إطلاق الوفاة على النوم ، قال تعالى ﴿ وهو الذى يقربنا كم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ^(١) ﴾
وقال سبحانه ﴿ الله يقوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى مقامها ^(٢) ﴾
وعلى هذا فيكون معنى الآية إني منيمك ورافعك إلى فى تلك النوم التى أقيتها عليك .

ومن العلماء من يرى أن معنى ﴿ متوفيك ﴾ قابضك منهم إلى حياً من توفاه إذا قبضه وحازه إليه ومنه قولهم (توفى فلان دينه) إذا قبضه إليه .

وعلى أى من تلك الآراء فإنه لا تناقض بين ما جاء فى سورة آل عمران وما جاء فى سورة النساء عن هذا الموضوع الذى زعموا أن القرآن قد تناقض فيه .

للثال الخامس :

قوله في سورة آل عمران ﴿ إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ٥٩

وقوله في سورة النساء ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ١٧١
وفي سورة المائدة ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ٧٥

وفي سورة الزخرف ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَهْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ ٥٩
يدل على أن المسيح عيسى ابن مريم هو واحد من البشر لا ميزة له
عليهم إلا أنه رسول رب العالمين .

وقوله في بقية آية النساء ﴿ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾
وفي سورة الأنبياء ﴿ وَآتَى أَحْصَنَتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٩١

وفي سورة التحريم ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنَتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتَ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُفِّرَ عَنْهَا
الْقَاتِنِينَ ﴾ ١٢

يدل على أن عيسى ليس من جنس البشر ، بل هو روح الله
أو من روح الله ومثل هذا لا يكون إلا إلهًا أو كالإله ، لأنه إذا
كان روح الله - بحكم هذه الآيات فلا بد أن يكون في مرتبة الألوهية .
إذ من غير المعقول والمقبول أن يكون روح الله أقل من الله

هذا هو منطق القرآن في عيسى المسيح ، فأى قوله نصدق ؟ وبأيها
نأخذ ؟ نبشونا بعلم إن كنتم صادقين .

وردا على هذا نقول :

ليس في حديث القرآن عن عيسى عليه السلام أدنى تعارض أو
اختلاف ، بل هو في الحقيقة حديث كامل شامل ، وثانف كل الائتلاف
وما كان التخالف والتناقض إلا في زعمهم ، ومن سوء فهمهم إذ قد ظن
المعارضون أن كون عيسى عليه السلام من روح الله يجعله خارجا من دائرة
البشرية إلى مرتبة الألوهية ، وقد بنوا فهمهم هذا على المغالاة في تعظيم
عيسى المسيح عليه السلام من ناحية ، واعتقاد أن روح الله لا يكون أقل
من الله ، وأن من في قوله سبحانه ﴿ منه ﴾ للتبعيض من ناحية أخرى .

وهذا فهم خاطئ ، قد رده القرآن على أهله وصحبه لهم في نحو قوله
﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ (١)

فهذا تشنيع على النصارى في غلو اعتقادهم في حق المسيح عليه السلام ،
وبيان للحقيقة على وجهها الصحيح وهي أنه عبد الله ورسوله ، ثم بين
سبحانه أن هذا البشر الرسول هو مخلوق بكلمة الله التكوينية التي
خلق بها كل شيء كلمة « كن » التي ذكر الله عز وجل أنها أمره

سبعائه لأى شيء يريد تحقيقه وتنفيذه فى قوله سبعائه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ ^(١) ... تلك الكلمة ﴿ كن ﴾ ألقاها القادر إلى مريم مصحوبة بنفخة جبريل فى جيبها نفخة خرج ريحها روحا من الله - عز وجل - الذى أمر جبريل بها فولدت مريم عليها السلام بعد تسعة أشهر من تلك النفخة بواسطة كلمة التكوين هذه عبد الله عيسى المسيح الذى آتاه الله السكّاب بعد ذلك وجعله نبيا .

فالمراد بقوله تعالى ﴿ وكلمته ﴾ كلمة التكوين لا كلمة الوحى ، ولا يقال إذا كان كل شيء قد خلق بكلمة التكوين تلك فلماذا خص المسيح باطلاقها عليه دون سواه من المخلوقات ؟

لأننا نقول إن الأشياء تنسب فى العادة والعرف العام فى البشر إلى أسبابها ، ولما فقد فى تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جملة الله سببا للعلوق ، وهو تلقح ماء الرجل لما فى الرحم من البويضات التى يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله وأطلقت الكلمة على المكوّن ايذانا بذلك ، أو جمل كأنه نفس الكلمة مهالفة .

والمراد بقوله ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ أى أوصل إليها نتيجة تلك الكلمة وهو الجنين الذى سيجعل به .

والمراد بالروح فى قوله ﴿ وروح منه ﴾ وقوله ﴿ فنفخنا فيه من

روحنا ﴿ النفخة التي كلف الملك بنفخها في جيب مريم عليها السلام ، ولم تسكن تلك النفخة خاصة بعيسى عليه السلام وحده ، بل منحها الله عز وجل لآدم عليه السلام كما أخبر عن ذلك بقوله سبحانه ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ^(١)

ومنعها لساير البشر كما أخبر عن ذلك بقوله ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ ^(٢) .

قال ابن كثير ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوى وأمره الله - تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها فتنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ ^(٣) اهـ .

وقيل إن معناه أن عيسى عليه السلام قد حملت به أمه ثم ولدته فنشأ وترعى وترعرع وكبر وهو في كل أحواله مؤيد من الله - تعالى - بروح منه ، ويدل لهذا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وآتيناه عيسى ابن

(١) س : ٧١ ، ٧٢

(٢) السجدة : ٦ : ٩

(٣) تفسير ابن كثير ط عيسى الحلبي ج ٤ ص ٣٩٤

مريم البينات وأيدنله بروح القدس ﴿ ٢٥٣ 》 .

ولم يك هذا التأييد أيضاً خاصاً بعبسى وحده ، بل أيد الله تعالى المؤمنين الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله بروح منه كذلك ، قال الله تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ ^(١)

وقيل إن المراد بالروح هو جبريل عليه "سلام" ويدل له قوله سبحانه عن مريم ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ ^(٢) وقوله عنها أيضاً ﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ﴾ ^(٣) وجبريل على هذا الرأي هو أيضاً الذي نفخ في آدم عليه السلام على ما صرح به القرآن في قوله ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ^(٤)

وقيل المراد بقوله ﴿ وروح منه ﴾ أى وذو روح من أمر - الله - لأنه تعالى خلقه كما يخلق سائر الأرواح وقيل المراد بالروح في قوله ﴿ وروح منه ﴾ الرحمة فقد كان عيسى رحمة من الله - عز وجل - .

قال تعالى ﴿ ولنجعل له آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ ^(٥)

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) مريم : ١٠

(٣) الأنبياء : ٩١

(٤) م : ٧١ ، ٧٢

(٥) مريم : ٢١ .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن أحدا لم يقل بخروج عيسى من دائرة البشرية إلى مرتبة الألوهية لكونه من روح — الله — إلا المغالون الذين جرتهم المغالة إلى الزيف والانحراف ، ونأت بهم عن الحق والإنصاف .

وما صدر الله — تعالى — الآية الكريمة بأداة القصر « إنما » وما ذكر عيسى بلقبه ، واسمه ، وبنوته لمريم عليها السلام إلا للتنبيه على أنه سلام الله عليه ما هو إلا رسول أرسله الله لهداية الناس إلى الحق ، والإشارة إلى أنه إن كسائر الناس ، وبشر كسائر البشر ، فهو مولود خرج من رحم أنثى كما يخرج الأولاد من أمهاتهم . وإذا لم يسكن قد خرج من صلب أب يكفي أنه قد خرج من رحم أم ، وكفى بذلك دليلا على بشريته .

ومن في قوله سبحانه ﴿ منه ﴾ و ﴿ من روحنا ﴾ ليست للتبعيض كما زعم النصارى ، بل هي لا ابتداء الغاية فالنسخة من جبريل عليه السلام كان الأمر بها ابتداءً من الله — عز وجل — لا من غيره ، وعلمه فلا معنى لقولهم إن عيسى جزء الله ، إذ الله — سبحانه — لا يشجزأ ولا يتبعض ولا يلد ولا يولد وليس له شبيه أو نظير .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

فأين يكون بعد ذلك التعارض أو التناقض ؟

وكيف يسوغ للشككون لأنفسهم أن يهتموا القرآن بما ليس فيه

ویمحمولوا عباراته وألفاظه على معان اخفلقوها وأهواء اتبعوها ومحدثات
ابتدعوها، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هذه بعض شبههم حول القرآن ذكرناها وأوردنا عليها لنظام للقارىء
بعض ما عليه أهل الكتاب من تعصب منشأ الهوى والضلال
لا الهدى والرشاد .

وبعد ما أوردنا من الحقائق الكاملة والأدلة الدامغة على صدق
القرآن وحقيقته وثبوته ما يملأ القلب طمأنينة و يقينا نشرع بحول
الله سبحانه فى المقصود الأسمى من هذا الكتاب
فنعول وبالله التوفيق .

الباب الثانى

مناقشة القرآن للمسيحيين فى الصلب وعقيدة التثليث

إن القاسم المشترك بين سائر الأديان السماوية الصحيحة ، هو فى الحقيقة توحيد — الله — تعالى — والإخلاص له ، والخضوع الكامل لحكمه ، وإفراده بالعبادة وحده .

ودعوة الناس إلى تلك المبادئ، هى القضية الأولى التى من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين ، إذ قد أمرهم جميعاً أن يوجهوا الناس فى كل زمان ومكان إلى تلك المبادئ ويدعوهم إلى الإيمان بها يصدق بعضهم بعضاً ، ولا يخرج اللاحق منهم فى تلك المسائل عن منهج السابق ، بل دعوتهم فى هذا الأمر واحدة لا فرق فيها بين نوح عليه السلام أول رسل الله إلى أهل الأرض ومحمد — صلى الله عليه وسلم — خاتم رسل الله وآخرهم إلى أهل الأرض .

قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (١) .

وقال سبحانه . ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي

(١) الأنبياء . ٣٥ .

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه ، الله يجتبي إليه
من يشاء ويهدي إليه من يغبى (١) .

ولكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد تركوا جوهر
ما جاءت به رسالة السماء ، واختلقوا لأنفسهم معتقدات دفعهم إليها
غلو بعضهم في تعظيم عيسى عليه السلام . وجهل بعضهم الآخر بتقدير
الله عز وجل ، فزعم النصارى أن الله ثالث ثلاثة وأن عيسى عليه
السلام قد صلب بيد الإثم والطغيان ، وزعم اليهود والنصارى أن الله ولد
فقال اليهود عزير ابن الله .

وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت اليهود والنصارى نحن
أبناء الله وأحبأؤه .

وقد ناقشهم القرآن الكريم في تلك المعتقدات وغيرها مناقشات
هادئة قيمة تعتمد في جوهرها على الموضوعية الجادة لاعلى الجدل العقيم .
ولما كان الصلب وعقيدة الثنليث هما فيما نرى أهم أسس العقيدة
في المسيحية المحرفة فقد رأينا أن نخص كل واحد منهما في فصل مستقل
بالشرح والتفصيل ، والمناقشة والتحليل ، فنقول وبالله التوفيق .

الفصل الأول

مناقشة القرآن للمسيحيين في عقيدة التثليث

العقيدة في المسيحية الصحيحة :

لم تعرف المسيحية في بدايتها عقيدة غير عقيدة التوحيد ، ولم يدع المسيح عيسى عليه السلام طول حياته أحدا من الناس إلا إلى هذا النهج السديد ، شأنه في ذلك شأن كل واحد من رسل الله المكرمين الذين ما بعث منهم واحد في أمة إلا بعد أن تكون قد نسيت توحيد الواحد ، وارتدت عن عبادته فينزوي بسبب ذلك عقلم الرشيد ، وينهدم فيها صرح الخير والجمال ، ويملك الظلم فيها زمام الأمور ، ويعتلى القبيح عرشها كسيد حاكم ، فيتأله وسط هذا الظلام الحجير ، وتخضع له في سذاجة جموع البشر ، ويخاف الناس بأس الناس ، وتقوهم فيها نيران الشهوات ، والمصالح والنزوات ، حتى تمزق كل معنى للفضيلة والطهر ، والحمد والشكر ، والرضى والصبر ، والعفاف والنبيل ، والصدق والعدل .

هذا هو معتقد المسلمين في المسيحية الأولى ، ودعوة المسيح عليه السلام وقد تكونت لديهم تلك العقيدة من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية .

فَأَمَّا الْقُرْآنُ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَقِيدُ أَنَّهُ مَا دَعَا
النَّاسَ إِلَّا إِلَى التَّوْحِيدِ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وقال عز اسمه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مَصْدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٣) .

وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ لَهُ دَخَلٌ فِيهَا صَدْرَ عَفْوٍ مِنْ مَعْجَزَاتٍ ، بَلْ
هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيُؤْذِنُ اللَّهُ .

قال تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا
إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ

(١) الآية ٧٢ . (٢) المائدة ١١٧ ، ١١٨ . (٣) الصف : ٦ . (٤) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تسلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك السكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴿١﴾

وجاء في القرآن أيضاً ما يقرر أن أتباع عيسى عليه السلام المقربين كانوا موحدين لا بشركون مع الله أحداً .

قال تعالى ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٢)

وقال سبحانه ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (٣)

وقال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ (٤)

وأما السنة المطهرة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة تدل على أن

(١) المائدة : ١١٠

(٢) آل عمران ٥٢ . ٥٣

(٣) المائدة : ١١١

(٤) الصف : ١٤

عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله ، وأن دعوته لا تخرج في إطارها العام عن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم .
من تلك الأحاديث ما يأتي :

١ - « عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل » (١)

٢ - « عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة قالوا كيف يا رسول الله قال الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي » (٢)

٣ - « عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له أسرقت ؟ قال : كلا والله الذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيسى » (٣)

(١) صحيح البخارى باب قوله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم) ج ٤ ص ١٩٥ ط المطبعة الأميرية

(٢) صحيح مسلم باب فضائل عيسى عليه السلام ج ١٥ ط المطبعة المصرية ص ٢١٩ ، وكذا رواه البخارى في صحيحه الباب السابق ص ١٦٧ .

(٣) صحيح البخارى الباب السابق ج ٤ ص ١٦٧ كذا رواه مسلم في باب فضائل عيسى عليه السلام ج ١٥ ص ١٢١ .

٤ - عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أدب الرجل أمة فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن بعبسى ثم آمن بى فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران ﴿١﴾

٥ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « محشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ فأول من يسكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إلى قوله العزيز الحكيم قال محمد بن يوسف ذكر عن أبى عبد الله عن قبيصة قال هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبى بكر فقاتلهم أبو بكر رضى الله عنه » ﴿٢﴾

إلى آخر تلك الأحاديث الصحيحة التى تدل على نبوة عيسى عليه السلام ، وعبوديته لله سبحانه ، والتزامه بدعوة من أرسل إليهم إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين ، شأنه فى ذلك شأن سائر الرسل والأنبياء .

وأما التاريخ فإنه وإن كان لا يسعفنا بكثير من المعلومات الصحيحة فى هذا الموضوع لبعده العهد ، واضطراب الروايات إلا أنه لا يخلو من

(١) صحيح البخارى الباب السابق ج ٤ ص ١٦٨ ط المطبعة الأميرية .

(٢) صحيح البخارى الباب السابق ج ٤ ص ١٦٨ ط المطبعة الأميرية .

لمحات تشير إلى ما كانت عليه المسيحية الأولى من توحيد لله عز وجل ،
وبعد عن الأباطيل والأوهام .

من تلك اللحات ما ذكره ابن هشام في سيرته حيث قال ماخوواه :
إن المسلمين الأول لما هاجروا إلى الحبشة بأمر الرسول محمد صلوات
الله وسلامه عليه ، وأرادت قريش استرداد هؤلاء المسلمين أرسلت الداهية
صمرو بن العاص ، وكان لم يدخل الإسلام بعد ، فحاول هذا الداهية أن
يوقع بين المسلمين وبين النجاشي أمبراطور الحبشة المسيحي ، فقال له إن
هؤلاء المسلمين يقولون في مريم وعيسى قولاً عظيماً (مشيناً) فاستدعاهم
النجاشي وسألهم رأي الإسلام في عيسى ابن مريم وأمه ، فقلا عليه جعفر
ابن أبي طالب المتحدث باسم المهاجرين سورة مريم ، فلما سمعها النجاشي
بكى حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته ، وقال قوائمه الشهيرة : إن هذا
والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة^(١) .

ومنها ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ من أن العالم المصري
« أريوس » قد صاح في مجمع فيقية الذي انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية وضم
ألفين وثمانية وأربعين عالماً من علماء المسيحية صاح صيحته الشهيرة
« إن الأب وحده الله ، والأبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن
الأبن » ولم يسكت هذه الصيحة لأريوس وغيره من الموحدين إلا حد
السيف الذي قتل به هؤلاء المسيحيون المخلصون لعقيدتهم ، المحاربون
للزيف والتضليل^(٢) .

(١) أنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢) أنظر في ذلك مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شبلي ط مطبعة النهضة

المصرية الطبعة الرابعة ص ١٢٥ .

هذا ما يعرفه المسلمون ويعتقدونه عن المسيحية الأولى من خلال ما أمدتهم به النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقائع التاريخية. وما بينه القرآن الكريم وآمن به المسلمون عن العقيدة في المسيحية الصحيحة، هو الحق الذي لا شك فيه، والذي قذف به قدامى أقطاب المسيحية الصحيحة في وجه الباطل وأنصاره ومخترعيه، ولم يستطع دعاة الثالوث وحمله لواء تحريف المسيحية من مؤلفي الأناجيل وغيرهم أن يطمسوا تلك العقيدة الصحيحة طمسا كاملا، بل جاء عنها في بعض أناجيلهم ما يتفق في المعنى مع ما جاء به القرآن الكريم.

فقد ورد في إنجيل مرقس ما نصه :

« نجاء واحد من السكتبة وسمهم يتجاوزون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي تحب قريبك كبنفسك — ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب جيذا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه، ومحبة من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحركات والذبايح، فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعبيدا عن ملاكوت الله ولم يحسر أحد بعد ذلك أن يسأله أ، ه (١)

(١) العهد الجديد ط عنتر مرقس اصحاح ١٢ فقرات ٢٨ : ٣٤ ص ٧٩ : ٨٠

وجاء في الانجيل لوقا ما نصه :

في ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك ، فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل ، بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما بليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن اورشليم ، يا اورشليم يا اورشليم بما قاتلة الأنبياء وراجمة للرسائل اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، والحق أقول لكم إنكم إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب اه (١)

إلى آخر ما هو مبثوث في الأناجيل من فقرات كثيرة تدل على دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله سبحانه وإعلانه للناس من حين لآخر بأنه ليس سوى عبد الله ورسوله .

وقد ظلت عقيدة التوحيد هذه سائدة في العصر المسيحي الأول منذ دعا إليها عيسى عليه السلام ، إلى أن دخلت في المسيحية طوائف وثنية مختلفة الأجناس ، والأوطان من المصريين ، واليونان ، والرومان ، وفلاسفة لهم آراؤهم الفلسفية ، فإول كل من هؤلاء وأولئك أن يفهم دينه الجديد في ضوء فكره ومعتقده القديم ، الأمر الذي أدى بهم إلى

الاختلاف الشديد في أمره ، أهو رسول من عهد الله فقط ، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لأنه خلق من غير أب ، وإذا كانت له صفة البنوة هذه ، فهل هو ابن الله ومخلوق لله أم هو ابن الله المتصف بالقدم كأبيه .

بكل قالت طائفة من طوائف المسيحية ، وهكذا تباينت نحلهم واختلقت في العقيدة آراؤهم ، وأخذ كل فريق يقمص لرأيه ، وينتصر له ، ويزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها تلاميذه من بعده .

العقيدة في المسيحية المحرفة

عرفت المسيحية الصحيحة عقيدة التوحيد وبقيت عليها فترة من الزمان ، كما ذكرنا آنفاً ، ثم ما لبثت أن انحرفت بتلك العقيدة عن خطها الصحيح الذي رسمه عيسى عليه السلام طوائف من النصارى ودخلت بها في مقاهات من الفلسفات والخرافات والأوهام .

أسباب تحريف المسيحيين لعقيدة التوحيد بعد المسيح :

رأينا ألا نخوض في بيان اختلافهم في تفسير عقيدتهم الجديدة ، ولا في تفصيل مجملها قبل أن نبين الأسباب الحاملة للمسيحيين على تحريف عقيدة التوحيد بعد المسيح عليه السلام ، فنقول والله المستعان .

هناك أسباب كثيرة قد حملت المسيحيين على تحريف عقيدة التوحيد

بعد المسيح عليه السلام منها ما يلي :

أولا : نزل بالمسيحيين من البلايا والكوارث على أيدي أعدائهم المناوئين لهذا الدين خلال القرون الثلاثة الأولى ما جعل بعضهم يستخف بهذا الدين وينكروه ، وجعل بعضهم الآخر يخفيه في نفسه ويستره ، ويفر به مهاجرا إلى أى مكان من أرض الله يستطيع فيه مزاولة شعائر دينه وتعاليمه ، وجعل بعضا ثالثا منهم يثبت أمام الكوارث المحيطة به ، ويحجر بمسيحيته في وجه أعدائها ، مستهينا بما يحجره عليه ذلك من النكال والتعذيب ، ويروى علماء التاريخ أن الأناجيل الأربعة قد دونت في هذه الفترات العصيبة .

فأما متى فيروى ابن البطريق أنه دون إنجيله في عهد ثاقي القيصرين اللذين اضطهدا تلاميذ المسيح من بعده أشد الاضطهاد حتى قتلوا منهم عددا غير قليل ، وهذان القيصران كانا بعد طيبروس الذى عاصر المسيح عليه السلام .

وأما مرقس فإنه دون إنجيله سنة إحدى وستين ميلادية على ما جازت به بعض الروايات وكان بمصر ، وقد كتبه عنه بطرس وهو برومة . وكان ذلك في عصر نيرون الذى أذاق المسيحيين ألوانا مختلفة من المذاب والنكال ، إلى حد أنه كان يأمر بالجماعة منهم فتلف في جلود الحيوانات ويرمى بها للكلاب فتنهشها ، ويأمر بجماعة أخرى فقطل نياهم بالقار ثم تشعل فيهم النار ليلا يستضيء الناس بهذه المشاعل الإنسانية ، وفي نفس هذا العصر الرهيب عصر نيرون دون لوقا إنجيله أيضا .

وفي عصر هذا القيصصر كذلك أو بعده بقليل دون يوجنا إنجيله ،
ولم تسكن تعاليم دين المسيح قادرة على الظهور في مثل هذه الفترات
الصعبة المصيبة ، فكان كتابها يغلفونها تارة بأغلفة من التوريات
والسكنايات وما إلى ذلك من الرمزيات التي عمّدت هذه التعاليم الواضحة
وجعلتها أشبه بطلاس يصعب على العقل فهمها أو حل رموزها .

وتارة أخرى يضعون لهذه التعاليم تفسيرات وإضافات أخذوا جملها
من الفلسفات والأفكار المعاصرة لهم ، مما أدى إلى مسح هذه التعاليم
وتشويه كثير من حقائقها الصحيحة .

وتارة ثالثة يقومون في الخلط والاضطراب أثناء تدوينهم لتلك
التعاليم في أناجيلهم نتيجة لما يرونه من إيذاء واضطهاد ، بل قرر كثيرون
من العلماء أن تلك الاضطهادات كانت سببا في فقد أسانيد تلك الأناجيل
التي تصلها بصاحب الشريعة .

يقول الشيخ رحمة الله الهندي « طلبنا مرارا من علماءهم الفحول
السند المقصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة
التي كانت بيني وبينهم ، فقال إن سبب فقدان السند عفدنا وقوع المصائب
والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة وتفحصنا
في كتب الإسناد لهم فأرأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين ، يقولون
بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن في هذا الموضوع
لا يغني شيئا ، فما دام لم يأتوا بدلائل شاف وسند مقصل فجرد المنع
(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١٢٥٠) (١٢٥١) (١٢٥٢) (١٢٥٣) (١٢٥٤) (١٢٥٥) (١٢٥٦) (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٥٩) (١٢٦٠) (١٢٦١) (١٢٦٢) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٦) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٦٩) (١٢٧٠) (١٢٧١) (١٢٧٢) (١٢٧٣) (١٢٧٤) (١٢٧٥) (١٢٧٦) (١٢٧٧) (١٢٧٨) (١٢٧٩) (١٢٨٠) (١٢٨١) (١٢٨٢) (١٢٨٣) (١٢٨٤) (١٢٨٥) (١٢٨٦) (١٢٨٧) (١٢٨٨) (١٢٨٩) (١٢٩٠) (١٢٩١) (١٢٩٢) (١٢٩٣) (١٢٩٤) (١٢٩٥) (١٢٩٦) (١٢٩٧) (١٢٩٨) (١٢٩٩) (١٣٠٠) (١٣٠١) (١٣٠٢) (١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (١٣٤٢) (١٣٤٣) (١٣٤٤) (١٣٤٥) (١٣٤٦) (١٣٤٧) (١٣٤٨) (١٣٤٩) (١٣٥٠) (١٣٥١) (١٣٥٢) (١٣٥٣) (١٣٥٤) (١٣٥٥) (١٣٥٦) (١٣٥٧) (١٣٥٨) (١٣٥٩) (١٣٦٠) (١٣٦١) (١٣٦٢) (١٣٦٣) (١٣٦٤) (١٣٦٥) (١٣٦٦) (١٣٦٧) (١٣٦٨) (١٣٦٩) (١٣٧٠) (١٣٧١) (١٣٧٢) (١٣٧٣) (١٣٧٤) (١٣٧٥) (١٣٧٦) (١٣٧٧) (١٣٧٨) (١٣٧٩) (١٣٨٠) (١٣٨١) (١٣٨٢) (١٣٨٣) (١٣٨٤) (١٣٨٥) (١٣٨٦) (١٣٨٧) (١٣٨٨) (١٣٨٩) (١٣٩٠) (١٣٩١) (١٣٩٢) (١٣٩٣) (١٣٩٤) (١٣٩٥) (١٣٩٦) (١٣٩٧) (١٣٩٨) (١٣٩٩) (١٤٠٠) (١٤٠١) (١٤٠٢) (١٤٠٣

يكتفيها ، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا . ا . هـ (١)

ثانيا : أدى اضطهاد القياصرة للمسيحيين إلى الشك العميق في كل ما دون من الأناجيل في هذا العصر المظلم ، لأن تدوين تلك الأناجيل كان خلف ستار سميك من السرية التامة بعيداً عن أعين الحكام والرقباء وفي ظلام السرية يقع عادة ما لا يكاد يتصور من نقل ما لم يقل ، وادعاء ما لا يصح ، ونسبة كتب لأشخاص لم يكتبوا فيها كلمة ، إلى غير ذلك من تلك الأمور الكثيرة التي تعرضت لها المدونات المسيحية في هذا العصر ، ولا سيما أناجيلهم الأربعة .

قال الأستاذ أبو زهرة : وفي الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شئونهم الدينية ، وخاصة ما كان متصلاً ببيان الشريعة يقومون به سرّاً لا جهراً ، وفي خفية من العيون المتربصة ، والأعداء المترقبين ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يعمل العقل غير مطمئن إلى ما يحسكي عما يحدث فيها فيقتظن في كل ما يروى عنها ، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه ، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت في تلك الاجتماعات ، ولا قالها حاضروها فإذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التي فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتي كُتبت في ظلمة السرية يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه ، وقامت شواهد ا . هـ (٢) .

ثالثاً : تأثرت المسيحية بعد القرن الأول بأفكار من دخلوا فيها

(١) إظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندي أحمد السقا طدار التراث العربي ص ٨٣ ، ٨٤

(٢) محاضرات في النصرانية ط دار الفكر العربي ص ٣٥ ، ٣٦ الطبعة الرابعة .

عن الوثنيين والفلاسفة تأثراً عظيماً ، إذ لم تكن لها قوة تحميتها ولا
شكيمة تمقل القلوب إلى حظيرتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد
كان الدين بما فيه من تصوير لحياة أفضل في المستقبل هو المتنافس الوحيد
الذى يجد فيه البؤساء المحرومون العزاء والسلوى عن ما هم فيه من ضنك
المعيشة وبؤس الحياة ، وكانت الفلسفة هى الأخرى تلهث جاهدة حتى
تحل محل الوثنية المتداعية آنذاك ، فاعتور الناس فى تلك الفترة عاملان
قويان : أحدهما : الدين الذى يدفعهم إليه شعورهم بالبأساء والآلام ، :
وثانيهما : الفلسفة التى يدفعهم إليها سلطان العقل ، حينئذ التجمت الفلسفة
بالشعور الدينى ، أو التقت الفلسفة والدين ، ولم يكن التقاؤهما عداوة
وخصاما ، بل كان محبة وسلاما .

واتسع نطاق هذا الالتقاء ليشمل الفلسفة الرومانية ، التى كانت
تؤمن بالوثنية^(١) وتسعى جاهدة إلى التآليف بينها وبين المسيحية واليهودية
تأليفاً يجعل من الثلاثة شيئاً واحداً .

والأفلاطونية الحديثة التى كانت تؤمن بأن من أنشأ الكون هو
إله أزلى دائم ، لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الأفكار ، ليس بجوهر
ولا عرض ، وليس فسكراً كفكرنا ، ولا إرادة كإرادتنا ، بل هو واجب
الوجود المتصف بكل كمال يليق به الذى يفيض بنعمة الوجود على كل
موجود ، ولا يحتاج فى وجوده إلى موجود وأن أول شيء صدر عن

(١) من هذه الوثنية عبادة الأبطال وهى أن يؤله بطل ما ثم يتزوج فتكون زوجة
لها ثانياً ثم ينجب فيكون ابنه لها ثالثاً وهذا هو الثالث الوثنى .

هذا الإله المنشئ هو العقل ، صدر عنه كأنه يقول منه ، ولهذا العقل قوة الخلق ، واسكن ليس كمن تولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح جميعا ، وأن العالم كله خاضع لهذه الثلاثة ، محكوم لها ، مقهور بها ، لأن كل شيء يصدر عن هذا الثالوث ويقول منه .

امتزجت كل هذه الفلسفات بالديانة المسيحية فأثرت فيها وتأثرت بها وكان من نتيجة ذلك أن خرجت على الناس طوائف من المسيحيين في القرنين الثاني والثالث الميلاديين وما بعدها بفكرة التثليث في العقيدة بدل التوحيد ، وبذلت تلك الطوائف جهودها في تأسيس تلك العقيدة الجديدة وإرساء قواعدها .

مجمع نيقية وإرساء عقيدة التثليث

كان دعاة الثالوث وحملة لوائه المنبشون في المجتمع المسيحي الأول ، لا يظهرون أفكارهم بشكل واضح لما يرونه من اضطهاد المسيحيين على يد قهاسرة الرومان ، وظلوا كذلك حتى جاء قسطنطين فهادن المسيحيين ورفع الاضطهاد عنهم ، واهتفق المسيحية وأخذها له ديناً .

عندئذ بدأت تلك الأفكار الداعية إلى التثليث وبنوة المسيح لله تخرج من كنيسة الاسكندرية لتظهر على مسرح الحياة الدينية ، وتدخل في حرب عنيفة مع أفكار الموحدين من المسيحيين الذين تولى أريوس بيان فكرتهم والدفاع عنها في مصر ، ومقدونية ، وفلسطين ، والقسطنطينية .

ولم تضع تلك الحرب أوزارها حتى تدخل قسطنطين امبراطور الروم ،
فعمد المتخالفين مجعاً عاماً بنيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ليبدى كل منهم
رأيه ويدل على صحته بما يستطیع من حجج وبراهين كي يظهر الحق
لطالبه ويستبين .

يقول الأستاذ أبو زهرة في السبب الخاص لعقد هذا المجمع ما نصه :
له سبب خاص يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهو ما يسمونه في
تاريخهم بدعة أريوس ، كان هذا الرجل في مصر داعية قوى الدعاية ،
جريئاً فيها ، واسع الحيلة ، بالغ الأرب ، قد أخذ على نفسه مقاومة
كنيسة الاسكندرية فيما تبشه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو
إليه ، فقام هو محارباً ذلك مقراً بوحداية المعبود ، منكرأ ما جاء في
الأناجيل مما يؤهم تلك الألوهية .

وقد قال في بيان مقالته ابنُ البطريق : « كان يقول إن الآب
وحده — الله — والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذا لم
يكن الابن » .

ولم يكن بدعاً في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل إنها
كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم -
ولقد جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه .

« الذنب ليس على أريوس بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد
هذه البدع ، فأخذ هو عنها ، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً
كما كان تأثير أريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية
حتى انتشر هذا القلم وعم » .

ولقد كان لرأى أريوس في اعتبار المسيح مخلوقاً - الله - مشايعون كثيرون ، فقد كانت الكنيسة في أسبوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد ، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الرأى مشايعون في فلسطين ومقدونية ، والقسطنطينية وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد إلى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحق بالهجرة عليه أريوس ولكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة .

وبينى ذلك على أنه رأى المسيح يتبرأ من أريوس وبلعنه ، فبنى من الكنيسة مرتين لهذا الرأى ، وبمحجة تلك الرؤى المناهضة ، ومن أمثالهم قول البطريرك بطرس الذى أمر بنفيه : « إن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه فإن رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم » .

ولم يجد النفي وإعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على رأى أريوس . وجمع الناس حول قوة الكنيسة حتى إذا ولى أمر الكنيسة البطريرك إسكندر أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب إلى أريوس وزعماء هذا الرأى يدعوهم إلى رأى الكنيسة بالإسكندرية ، ولكن محاولته لم تجد أيضاً ، فعقد مجعاً فى كنيسة الإسكندرية وحكم على أريوس بالحرمان ! ! فلم يخضع لهذا . ولم يخضع ، وغادر الإسكندرية إلى

فلسطين ، وقد كان مذهب عدم ألوهية المسيح دائماً منتشراً ، وكان أسقف نيقومدية على مذهب أريوس أيضاً ، ويعطى على أساسه ، وفي الحق إننا نجد أن أسقف مقدونية وأسقف فلسطين وكنيسة أسيوط كل أولئك على رأى أريوس ، وكنيسة الاسكندرية وحدها هى التى تحاربه فالخلاف محصور إذن بين أريوس ، ومعه أسيوط وفلسطين ومقدونية ، وبين بطريرك الإسكندرية .

وفد تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان فى الأمر فأرسل كتاباً إلى أريوس والإسكندر يدعوها إلى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م^(١) .

وبدأ المجتمعون وعددهم ألفان وثمانية وأربعون يناقشون فيما بينهم ركائماً هائلاً من الاختلافات والإضطرابات التى سادت المسيحية طوال القرون الثلاثة الأولى ، ولا سيما حقيقة المسيح عليه السلام ، بغية أن يضعوا لها حداً ، ويتخذوا فيها قراراً حاسماً ، وفى هذا المجمع أعلن الموحدون بقيادة أريوس أفكارهم المبنية على أن عيسى إنسان مخلوق كسائر الناس وإن لم يسكن له أب ، وأن الله واحد أزلى قديم ، كان قبل أن يكون عيسى وغيره .

وأعلن المثلثون أفكارهم المبنية على أن الإله واحد فى ثلاثة ، وثلاثة فى واحد ، وكانت كنيسة الإسكندرية بما لها من تأثير شديد بالفكر

(١) بمحاضرات فى الصراخية للشيخ أبو زهرة الطبعة الرابعة ط دار الفكر العربى

المصرى القديم والفلسفات الأغريقية والأفلاطونية الحديثة صاحبة هذه الأفكار ، وقد انضمت إليها كنيسة روما بما لها من تأثير شديد بالفلسفة الرومانية الوثنية ، فقاوم أرباب هذا الفكر الثالثي أريوس وأنصاره من الموحدين مقاومة شديدة انتهت بانتصار قسطنطين لدعاة الثالث . فأصدر أوامره بإبعاد الرؤساء الروحانيين الموحدين عن الجمع ، وفنى الكثير منهم ، وقتل أريوس مع بعض من أيدوا رأيه واجتمع القائلون بالتثليث والوهية المسيح وكان عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ، فأتخذوا قراراً بذلك .

وقد حاول بعضهم أثناء كتابة القرار أن يعترض على صيغ المساوات بين الآب والإبن ، لكن المعارضين خافوا من أن ينزل بهم ما نزل بالموحدين فوقعوا قرار الجمع الثالثي وهم له كارهون .

وهاك نص القرار كما ذكره الدكتور أحمد شلبى قال :

نؤمن بالله الواحد ، الآب ، مالك كل شيء وصانع ما يرى ومالا يرى ، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبية قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبية الذى بيده أتفتت العوالم ، وخلق كل شيء . من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحبل به وولد من مريم البتول ، وصاب أيام بيلاطوس ودفن ، تم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبية .

ويضيف القرار ما يلي للتخويف والتحذير :

والجامعة للقدسة الكنيسة للرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول إنه قابل للتغيير .^(١)

هكذا وعلى أنقاض عقيدة التوحيد وأربابها أرسى فلاسفة المسيحية عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

أما ألوهية الروح القدس أو عدمها فإن المجتمعين لم يتخذوا بشأنها قراراً آنذاك ، بل تركوا هذه المسألة محلاً للجدل والاختلاف بين الناس . وعندهم أن الروح القدس هو الذى حل على العذراء لدى البشارة ، وعلى المسيح فى العماذ ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء . وقد نشأ عن هذا الخلاف اتجاهان متضادان متصارعان .

أحدهما : أن المسيطر على العالم قوى ثلاث الآب وهو المكون الأول ، والعقل وهو الابن ، والنفس العامة وهى الروح القدس . وقد حملت كنيسة الإسكندرية لواء الدعوة إلى هذا الاتجاه والمناداة به .

وثانيهما : أن الروح القدس ليس بآله ، ولكنه مخلوق مصنوع ،

(١) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شاذي . الطبعة الرابعة ط . مطبعة النهضة المصرية س ١٢٥ و ١٢٦ .

وقد حمل جمع من القساوسة وعلى رأسهم مقدونيوس أسقف القسطنطينية لواء الدعوة إلى هذا الانجاء والمناداة به ، وظل هذا الخلاف يسرى وينتشر حتى حسمه الامبراطور تاء وديوس الكبير فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ولم يحضر إلا مائة وخمسون أسقفاً وفي هذا المجمع أصدر الحاضرون قرارهم بالوهية الروح القدس بعد مناقشات سريعة تولى معظمها بطريرك الاسكندرية .

وهكذا أصبح الروح القدس إلهاً بقرار ذلك المجمع ، وكأنهم يعينون شخصاً في منصب مامن المناصب ، أو يتوجون ملكاً على المملكة مامن الممالك ، فما أعجب هذا النوع من البشر الذي خول لنفسه سلطة صنع الآلهة ومحوها !! .

مواصلة المسيحية بين التوحيد في التوراة والتثليث في المسيحية

ما أن أرسى فلاسفة المسيحية عقيدة التثليث وحملوا الناس على اعتناقها ، حتى كان عليهم أن يجدوا حلاً لهذا اللفز المحير ، وهو كيف يجمعون بين الإيمان بالتوراة التي تدعو إلى التوحيد وتبحث الناس عليه ، وبين التصديق بعقيدة التثليث التي يبدو الشرك فيها جلياً واضحاً ، فلجئوا أولاً إلى استنباط معنى التثليث من بعض نصوص التوراة وحاولوا ثانياً ارجاع التثليث إلى الوحدةانية ، لتلتقي التوراة مع آناجيلهم ، فأما الأمر الأول وهو استنباط معنى التثليث من نصوص التوراة فقد سالت به الكثرة من أقلامهم ، وتبارى في تأويل عبارات التوراة ، وتحميلها مالا تحتمل المتبارون من خولهم .

يقول القس يوطر فيما نقله عنه الأستاذ الشيخ أبو زهره :

« بعد ما خلق الله العالم ، وتوج خلقه بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدايته ، كما يتبين ذلك من التوراة على أنه لا يزال المدقق ، يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات :

« كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس » ولم يعلم من زلت إليهم التوراة ما تكفه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد أتى الوقت للمعين الذي قصد الله فيه إيضاها على وجه السكال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة - في ضوء الإنجيل - يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم اللاهوت . « ثم جاء المسيح إلى العالم فأرانا بتمامه وأعماله للدونة في الإنجيل أن له نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الإدراك ، وتراه مسمى في أسفار اليهود ، كلمة الله وهي ذات العبارة المعلقة في التوراة ، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا ليسكن بين المؤمنين ، وقد تبين أن لهذا الروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة ، كما للابن وبسمى الروح القدس وهو ذات العبارة المعلقة في التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله ، والمسمى روح الله في نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران في الإنجيل ، فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح ، وإن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه في فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد أمر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح بالقوة التأثيرية بل لا بدله أن يعلم أن في اللاهوت

ثلاثة أقانيم متساوين في الكمال الإلهية ، وممازين في الاسم والعمل والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الأقنوم الأول الآب ، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبة الكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل الافهام بحبته الفائقة ، وحكمة الرائعة ، ويدعى الأقنوم الثاني الكلمة لأنه يعان مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضاً الابن لأنه يمثل العقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتميز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأشياء إليه ، ويدعى الأقنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر وحشهم على طاعته .
وبقاء على ما تقدم يظهر جلياً أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ - إلى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر في اللاهوت الواحد ، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات ، والأمانة المشهورة الإلهية . وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزّه عنها لأجل هذه الإيضاحات علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ، حسب نص الكلمة الأنازيه ، ولكل منهم عمل خاص في البشر ا . هـ^(١) .

وأما الأمر الثاني : وهو إرجاع القنليث إلى التوحيد فقد عسروا

(١) محاضرات في النصرانية الاستاذ الشيخ أبي زهرة ص ١١٢ وما يتبعها ط مطبعة على أحمد مجبر الطبعة الرابعة .

في فهمه أذهانهم ، وقصروا على توضيحه جهودهم ، ثم خرجوا علينا بما خلاصته :

إن الله جوهر فرد ، فإذا تجلى بصفته ذاتا فهو الآب ، وإذا نطق فهو الابن وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس ، أى أنه واحد من جهة ، وثالث من جهة أخرى ، على ما سنبينه في ذكرنا لعقيدة التثليث كما هي عند أربابها .

عقيدة التثليث كما هي عند المسيحيين :

نستطيع من خلال ما قدمنا أن نقول إن خلاصة عقيدة التثليث عند أربابها هي أن الإله مكون من ثلاثة أقانيم^(١) هي الآب والابن والروح القدس .

وأن هذه الثلاثة تسكون في مجموعها شيئا واحداً هو الله الذي يدين له السكل ، فهو موجود بذاته ، ناطق بكلمته ، (أى ابنه) حى بروحه . وكل عنصر من هذه العناصر التي تسكون منها الإله يعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً .

فإذا تجل بصفته ذاتا سى الآب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس ، فهل هو إله واحد مقسم إلى ثلاثة آلهة أم هو ثلاثة آلهة مستقلة ؟ أم هو إله من جهة وثلاثة من جهة أخرى ؟ يجيب الأستاذ عوض سيمان على هذا التساؤل فيقول : « الله واحد

(١) الأقانيم جمع أقنوم ، وهي كلمة سريانية معناها شخص أو كائن بذاته .

وثالث ، فهو واحد من جهة وثالث من جهة أخرى ، فكما أن الإنسان واحد في مظهره وفي الوقت نفسه هو جوهرياً مكون من ثلاثة عناصر هي الجسد والنفس والروح ، كذلك الله فهو واحد من جهة وجامع أو شامل من جهة أخرى دون أى تعارض أو تناقض في ذاته ، فالله واحد من جهة الجوهر أو الباطن وهو جامع من جهة التعيين أو الظاهرية وجوهر الله يسمى « اللاهوت » أى الله في جوهره ، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعيينه وظهوره هو « الله » فالله هو اللاهوت معيناً ، واللاهوت هو الله جوهرأ ، أى أن الله هو اللاهوت ظاهراً ، واللاهوت هو الله مستتراً والله واللاهوت واحد ، لأن جوهر الله هو عين تعيينه وتعيينه هو عين جوهره .

ويستطرد الأستاذ عوض سيمان قائلاً : « إن الله ليس تعيناً واحداً بل تعينات فذات الله تعينات وكل تعين من هذه التعينات ليس جزءاً من ذات الله بل هو عين ذاته ، أى هو ذات الله نفسها بكل خصائصها وصفاتها الذاتية ولذلك يكون كل تعين من هذه التعينات هو الله وهذه التعينات تسمى الأقانيم ، فالأقانيم هي تعينات اللاهوت أو هم اللاهوت معيناً ، أى اللاهوت معلناً في ذاته وصفاته . اهـ^(١) .

ويعلق الأستاذ محمد مرجان على هذا الكلام بعد ما نقله في كتابه فيقول : والأستاذ عوض سيمان يقرر لنا أن الله رغم إعلانه لنا أنه واحد إلا أنه في حقيقته وباطنه مكون من ثلاثة أجزاء ، وكل جزء أو

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ٩٧ وما بعدها .

تعيين من هذه الأجزاء والنعيمات هو إله كامل ، فكاتبنا يقرر أنه بعد
فحصه وتشريحه لدواخل الذات الإلهية وبعد كشفه الحجب والأسرار
عن مكنونات الله ، تبين له أنه ليس واحداً بل ثلاثة والله رغم ظهوره
للناس على أنه واحد ، إلا أنه في حقيقةه وداخليته ثلاثة آلهة فهو واحد
من جهة ، وثلاثة من جهة أخرى ، واحد في الظاهر وثلاثة في الباطن .

ومنطق كاتبنا هذا يجعلنا نعتقد أن الله يظهر لنا غير ما يبطن فهو
يظهر للبشر بظهر لا يعبر عن حقيقةه وداخله ، تلك الحقيقة التي تقرر أنه
سبحانه مكون من ثلاثة آلهة ، تلك الحقيقة التي استطاع كاتبنا الكبير
أن يصل إليها وحده والتي لم يتوصل إليها قبله أحد من العالمين ، إلا من
ساروا على دربه واتبعوا نهجه من المتفلسفين والمفهمين . اه (١) .

وهنا يرد على الخاطر سؤال آخر لماذا أطلقوا على الله الوجود
لفظ الآب ؟ وعلى الله الناطق لفظ الابن ؟ وعلى الله الحي لفظ
الروح القدس ؟ .

يقول القمص إبراهيم إبراهيم في جوابه عن مثل هذا السؤال :
إن الذات والد للنطق فيقال له الآب .

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن ، والحياة منبعثة من الذات
فيقال لها الروح القدس ، فالله الآب قائم بذاته ، ناطق بخاصية الابن الذي
هو النطق حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس ، والله الابن قائم
بخاصية الذات التي هي الآب ، ناطق بخاصته هو ، حي بخاصية الحياة
التي هي الروح القدس .

(١) الله واحد أم ثلاث للاستاذ محمد مجدى . مرجان ط دار الهنا للطباعة ص ٢٤ .

والله الروح القدس قائم بخاصية الذات التي هي الآب ، ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن ، حي بخاصيته هو التي هي الحياة . اه (١) .

ويرى القس توفيق جيد في إجابة هذا السؤال رأياً مخالفاً لرأى القمص السالف تماماً فيقول : « إن تسمية الثالث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية وأسراً سماوية لا يجوز لنا أن نتقنفس في تفكيكها وتحليلها ، أو نلحق بها أفكاراً من عندياتنا ... » اه (٢) .

وأما يس منصور فيرى أن الأقانيم ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها بل هي ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة . متساوية فائقة عن القصور » اه (٣) .

ولعلك ترى معنى بعد ما أوردنا إجابة ثلاثة من الكتاب المسيحيين على هذا السؤال أنهم لم يثقفوا فيما أجابوا به ، بل لم يقدم أحدهم جواباً حاسماً يقطع للتسائلين عن علة إطلاق لفظ الآب على الله الموجود ، والابن على الله الناطق والروح القدس على الله الحي ، لأن هذا الكلام قد لفق من فلسفات متعددة وأفكار متباينة فجاء عتياً مضمصياً على الأفهام .

تبريرات مسيحية لجمع عقيدة الثالث مقبولة :

هذا ولما كانت عقيدة التثليث في جملتها وتفصيلها غير مقبولة

(١) ذكر ذلك النص الأستاذ محمد محمدي مرجان في كتابه الله واحد أم ثلاث ط. مطبعة دار الهنا ص ١١ .

(٢) سر الأزل ص ٥٩ .

(٣) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٦ .

ولا مقنعة فقد لجأ حماها إلى تسويقها للعقل والمنطق بمبررات كثيرة منها ما ذكره القس بولس إلياس في كتابه يسوع المسيح قال :
« من الناس من يقولون : لم ياترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟
أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ... ؟ ... ويرد على نفسه قائلاً « لكننا إذا اطعنا على كنهه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ؟
وكنهه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً ، فالحبة هي مصدر سعادة الله والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحaban وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع الحب إلى هبة الذات ، لمن يحب هبة تكون فيها سعادتهما ، فليكون الله سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغبته ويكون بالتالى صورة ناطقة له ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه . ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغبته وثمره هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن .
كاف الروح القدس » .

ويجاري القس توفيق جيد زميله في تبريره هذا .

فيقرر أن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله في الأزل بدون موضوع المحبة ، فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه ، وبعبارة أخرى بدون الثالوث أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومي لا يبقى لله في أزليته سوى ذاته ليحبها ، وتنزيهاً لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تنجيه محبة الأقنوم الإلهي نحو الأقنوم الآخر . اه (١) .

(١) نقل هذين النصين الأسس تاذ محمد مجدى مرجان في كتابه الله واحد أم ثالوث ط مطبعة دار الهنا ص ١٧ وما بعدها .

ونلح من خلال هذا التبرير رأياً عجيباً يقرر فيه صاحباه أن الله لما كان محققاً لشخص آخر يبتشه حبه ويجر فيه سعادته ولد ابناً وهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومذهبه رغبته وأمانيه ، ولم يقولوا كيف ولد الأب الابن ؟ هل ولده من ذاته أم من زوج له ؟ ومن هذه التي صلت لأن تكون لله زوجاً ؟ وما هي هذه الرغبات التي وجدها الإله الأب في ابنه الحبيب ؟ ثم من هو والد الثمرة التي تولدت من العلاقة بين أفتنومي الأب والابن وهي الروح القدس ... من هو والدها يا ترى ؟ ومن هي والدتها ؟

ورغم أنهما لم يقدموا لهذه الأسئلة جواباً فإنهما قد استخلصا من تبريرهما السالف نظريتهما القائلة بأن الله ليس كائناً تائهاً في الفضاء ، أو منعزلاً في السماء ، بل هو أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض على السكون الخير والحب والجمال .

ومفاد هذه النظرية أن الله عيارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أفراد ، كل فرد منها مستقل عن الآخر إلا أن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة ، ظاهرة وخفية ، عاطفية وحية . وقد نتج عن العلاقة بين الأب والابن ثمرة هي الروح القدس .

ولو صح هذا فما المانع من أن تعقب هذه الثمرة ثمرات أخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الإلهية ، وتتم بها سعادتها ، فقد يشترق الأب إلى ابنة يبتشها حبه وحنانه ، بل قد يكون حبه لها أشد من حبه لطلابن ، وتكون في الوقت ذاته أختاً حانية على أخيها .

وتتكاثر هذه العائلة مرور الزمن ، ويصبح الأب جداً وتصبح
الإبنة أمّاً ، ويكون الحب الإلهي قاصراً على أفراد الأسرة الإلهية .
أما البشر عبيد الله فلا حب لهم ولا حنان لأن حب الله وحنانه
مقصود على أفراد جنسه الإلهي وعلى أعضاء عائلته السمائية .
هذا هو تصور دعاة الثلاث لله ذي الجلال فتعالى الله عما يقولون
علواً كبيراً .

ومن هذه التبريرات ما ذكره بعض فلاسفة المسيحية من أن الله
لا يمكن أن يكون واحداً من كل وجه لأنه لا بد أن يكون منطوياً على
كثرة ، إذ كيف يمكن إيجاد الكثرة الموجودة في العالم بالوحدة المطلقة ؟
أو كيف يتصور صدور الكثرة باختلاف أنواعها من الوحدة
ال بسيطة المتعالية عن كل كثرة ، لا يتصور هذا إلا إذا قلنا إن الكثرة
كانت موجودة في ذات الأول المحض ، أما إذا قلنا إن الكثرة لم
يكن لها أثر ولا رسم في ذات الله فلا يتصور حينئذ أن تكون تلك
الذات علة للكثرة .

ومفاد هذا التبرير أن الله إذا انصف بالوحدانية المطلقة ما أمكنه
خلق الأشياء من العدم ، بل لا بد أن تكون ذاته منطوية على يدور
وآثار ورسوم جميع المخلوقات حتى يمكنه إخراجها من العدم إلى الوجود ،
فالسماوات والأرض ، والبحار والأنهار ، والإنسان والحيوان ، والطير
والحشرات كلها كما يتصور هؤلاء كانت قبل خروجها إلى الوجود
موجودة في ذات الله بآثارها ورسومها ، فأخرجها من ذاته إلى
الوجود .

وسيراً وراء هذا المنطق الغريب واتباعاً لقولهم بكون الإنسان على صورة الله فإن علينا أن نقول إن النجار الذى صنع كرسياً مثلاً لم يفعل فيه شيئاً غير أنه أخرج مواد الكرسي من ذاته ، ثم ركبها لتكون كرسياً يجلس عليه الناس ، وهكذا فى الرسام ، والممثل ، والفنان والأديب ، والشاعر إلى غير ذلك من هؤلاء الذين يخرجون إلى الوجود أشياء لم تكن موجودة ، وإلا فكيف أمكنهم خلق تلك الأشياء من العدم ؟

بمثل هذه التبريرات العجيبة وذلك المنطق الغريب يريد دعاة الثالوث أن يقنعونا بالتمثيل والتعدد ، وأن يجبرونا على استساغته وتقبله ، ولكنهم فى الحقيقة يزيدون اللغز تعقيداً والأمر غموضاً .

تشبيهات مسيحية لقريب عقيدة التمثيل :

لم يسكتف حماة العقيدة الثالوثية بما ذكره بعضهم من تبريرات لتسوية تلك العقيدة فى العقل والمنطق ، بل أخذوا يضربون الأمثال والتشبيهات لتقريبها إلى الأذهان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . فشبهاوا الله تارة بالإنسان وتارة بالشمس ، وتارة بالنار ، وتارة بالقفاح ، وتارة بالشجرة ، وتارة بفقيل الشمعة ، وتارة بنبوع الماء .

فكما أن الإنسان يتكون من ذات وروح وعقل وثلاثتها تكون كائناتاً واحداً هو الإنسان ، وكما أن الشمس تتكون من جرم ونور وحرارة وثلاثتها تكون شيئاً واحداً هو الشمس .

والإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية ، والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسية وكذلك الله فهو مكون من ثلاثة أقانيم ، وفي التدليل على أهمية العدد ثلاثة يقولون إن الأمثال العامة تقول « الحبل المثلوث لا ينقطع » « المرة الثالثة ثابتة » من أجل هذا يسكون الله أيضاً مكوناً من ثلاثة أجزاء .

ولا ندري كيف استعياحوا لأنفسهم أن يمثلوا الخالق العظيم بمخلوقاته الضعيفة ، بل كيف وصل بهم الاسفاف في التشبيه الذي بلغ حد الهذيان بتمثيل الله سبحانه وتعالى بالحيوانات والنباتات والحبال المثلثة .

ولا ندري أيضاً على أى أساس حسابى أو عقلى بنوا قولهم إن العدد ثلاثة هو العدد الذى تتوافر فيه خصائص الوجدانية فكيف يسكون الثلاثة واحد؟ وكيف يسكون الواحد ثلاثة^(١) .

ولا ريب أن هذا الغموض الخيم على عقيدة القنليات هو الذى حدى بدعاة الثالث وحمانه إلى التخبط فى دياجير هذه الأقوال وغيرها بغية أن يستنبطوا سرنا الوهم وهيمات . . هيمات فما لهذا النالوث من سر إلا ما ارتكبه الأقدمون من خلط بين العقيدة الصحيحة والفلسفات المختلفة والوثنيات القديمة خلطاً أدى إلى خلق نوع من الادعتاد الغامض

(١) انظر ما جاء عن ذلك فى كتاب « الله واحد أم ثالث » للاستاذ محمد محمدى

مرجان ط دار الهنا ص ٣٤ .

والمشوه ، الملتبس المشوش الذى يفضى بمتبعيه دائما إلى الخيرة والضلال
بولولا هذا لبقى توحيد المسيح عليه السلام وأصحابه لله تعالى غضا طريا
خالصا من الشوائب والأخلاق .

اختصاصات الثالوث وأعماله .

وبعد أن قسم دعاة الثالوث إلههم إلى ثلاثة أجزاء وبينوا السرى
هذا التقسيم أخذوا يضعون لكل واحد من هذه الثلاثة عمله الخاص به :
فجعلوا الله الآب مصدرا للمدل والخلق والتبني .

وجعلوا الله الابن مصدرا للرحمة والفداء وغفران الخطايا .

وجعلوا الله الروح القدس مصدرا للنعمة ومنح الميلاد الثانى ، والحياة
الطاهرة ، وتقدس النفوس . فن يرد المدل فليمتجه إلى الآب ، ومن
يبتغ الرحمة أو يرجو المغفرة فليقوسل إلى الابن ، ومن يطلب النعمة
فليقتل إلى الروح القدس .

هكذا وزعوا الأعمال والاختصاصات والوظائف على الأقانيم
الثلاثة ، فليس لأحد منها أن يجاوز حده الذى رسم له ، أو اختصاصه
الذى نيط به ، فلا يستطيع الآب أن يغفر خطايا المذنبين ، ولا يتمكن
الابن من إيجاد أحد المخلوقين ، ولا يملك الآب والابن معا منح
الميلاد الثانى والحياة الطاهرة لأحد من العالمين ، ولا يقدر الروح القدس
على الرحمة أو المدل بين الناس أجمعين .

وليس هذا كلاما نفتريه على الأخوة المسيحيين ، بل هو فكرهم الذى
دونتة أفلامهم وحملته إلينا كعبهم .

يقول القس توفيق جيد في ذلك ما نصه :

« إن عملية خلاص الإنسان التي هي قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان ، هذه العملية تفترض حاكما وقاضيا ، وتطلب مخلصا وفاديا ، وتستلزم مقدسا ومحيا .

إنها تفترض حاكما وقاضيا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطئ وهلاكه ومن يكون ذلك الحاكم القاضى سوى الأقنوم الأول فى اللاهوت ، الله الآب ، وتطلب مخلصا وفاديا يرفع الحكم عن الإنسان الشقى ومن يكون ذلك المخلص القادى سوى كائن يسى مثله ، ومن السكائن هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت الله الابن ، ثم إن عملية الخلاص تستلزم مقدسا ومحيا ، محيا يخلق من الإنسان الخاطئ إنسان جديداً فى البر وقداسة الحق ، ومقدسا يعيد للإنسان الفاسد صورة القداسة المفقودة ، ومن يكون ذلك المقدس المحي سوى كائن إلهى قادر على كل شيء هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت أى الروح القدس ا . ه .^(١) .

ويقارن القمص إبراهيم إبراهيم بين وظائف الآب والابن فيقول فى كتابه رسالة التثليث والتوحيد ما نصه : « الآب لم يتجسد ولكن الابن تجسد ، والآب لم يصلب ولكن الابن صلب والآب لم يقيم بدور الوسيط ولكن الابن قام بدور الوسيط » ا . ه .

على هذا النسق المجيب وزعوا الوظائف والمهام على الأقانيم الثلاثة الإلهية فالآب حاكم وقاض يحكم بالشفاء ويقضى بالهلاك ، والابن مخلص

وفاد يقوم بإلغاء حكم الآب فيخلص الأشقياء ويفدى المالكين والروح القدس منعم ومحي يقوم بتقديس التعمساء وإحياء الميتين ، وجعلوا للابن الدور الرئيسي من هذه الأدوار فهو يتجسد ، ويفدى ، ويشفع . أما الآب والروح القدس فهما لا يفعلان شيئاً من ذلك .

وتأسيساً على هذا التوزيع لأصناف العمل بين أفراد الثالوث الإلهي قام فلاسفة المسيحية بتقسيم الصلاة الربانية - وهي التي يفتتح بها المسيحيون صلاتهم اليومية إلى دعوات ثلاثية . يتהל بها المسيح إلى الثالوث الإلهي ، مختصاً كل أقنوم منها بابتهاال معين لا يتهل به إلى غيره من الأقنومين الآخرين .

وهاك بعض نصوص تلك الصلاة .

أبانا الذي في السموات ليثقدس اسمك (توسل إلى الآب مصدر العدل) ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة) .
لتسكن مشيقتك كما في السماء كذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة) .

حبزنا الذي لاغدا أعطنا اليوم [توسل إلى الآب] .

ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير [توسل إلى الابن] .
إلى آخره .

قال الأستاذ محمد مجدى مرجان بعد ما أورد هذه النصيرص من الصلاة الربانية « كذلك يقوم الآباء والكهنة في الكنائس بتوزيع يروكاتهم على الشعب المسيحى باسم هذا الثالوث المقدس قائلين « نعمة

ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون معهم جميعكم .

ويشرح الأستاذ يس منصور معنى هذه البركة الثلاثية بقوله :
« إن الله الآب يظهر محبته للشعب المسيحي ويحرسهم ، وربنا يسوع المسيح يظهر نعمته ويرحمهم والروح القدس يظهر شركته ويمنحهم سلاما » .

هكذا لا يرفع الإنسان وجهه لله إلا وهو ينظر إليه بمقل موزع بين هذه الأقانيم الثلاثة وبقلب مشتت بين تلك الآلهة الثلاثة ، ولا يفتح فيه أو يحرك لسانه داعيا ومصليا إلا وهو يناجي كل أقنوم مناجاة خاصة ، يختص كل إله بدعاء وصلاة مقصورة عليه ويطلب من كل رب حاجة يرجوها عنده ولا يجدها عند غيره من الأرباب .

هكذا ننظر إلى الله من خلال هذه الأقانيم التي يتكون منها ومن خلال تلك الوجوه الثلاثة التي يلبسها ، وجه آب ووجه ابن ، وجه روح قدس ، ننظر إليه من خلال كل ذلك ، فلا نجده ذلك الإله الذي يملأ الوجود والذي ينصاع له كل موجود ، بل نجده موزعا ومنقسما إلى ثلاثة آلهة ينسب إلى كل إله منها بمفرده المعجز والنقص والاحتياج ، فكل إله منها له اختصاص ، وكل رب استولى على سلطان وكل أقنوم ذهب مذهبا !!

يقول بعض اللقاسوسة « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية هذه الأقانيم الثلاثة تنقسم جميع الأعمال الإلهية على السواء » .

ويقول الأستاذ عوض سيمان : إن الأقانيم مع تميز أحدها عن الآخر في الأقنومية ، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته لكن كيف يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر ، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء ، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم ومع ذلك يقال لهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات ، أليس في هذا القول تناقض ، كيف يتميزون ولا يتميزون . . . ؟

وإذا ذهبنا نطالع السكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالاً منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منها الآخر ويتحدث عنه أو إليه .

فيخاطب الآب الابن بقوله « قال الرب لربى أجلس عن يميني » [م . ١١ : ١] ويتكلم الابن عن الآب فيقول « أنا أعرفه لأنني منه وهو أرسلني » [يو ٧ / ٢٩]

ثم يتخاطب الابن والآب سوياً قائلين « أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأجد أيضاً » [يو ١٢ / ٢٨] .

ويتكلم الابن عن الروح القدس فيقول « ذاك يجديني لأنه يأخذ عما لي ويخبركم ... » [يو ١٦ / ١٤] .

كذلك نجد أن الأقنوم الواحد يرسل الآخر أو يخرج أحد الأقانيم من الأقنوم الآخر وينفصل عنه فالآب مثلاً يرسل الابن « الله أرسل الابن » [يو ٤ / ١٤] .

ويقول الابن خرجت من عند الآب (يو ٢٨/١٦)
والآب والروح القدس أرسلوا الابن . والابن أرسل الروح القدس
وهكذا . . . هذا التخاطب بين الأقانيم ، وخروج أحدها من الآخر
وإرسال أحدها للآخر ، يعنى إنفصالا بين الأقانيم إنفصالا يمنع الوحدة
بينها ، بل يمنع أيضاً المساواة بينها ففى موضوع الارسل مثلا لاشك
أن المرسل أعلى درجة من المرسل أو الرسول فحين يرسل الآب الابن
مثلا فلا شك أن الآب أعلى من الابن فهو كإرسال السيد خادمه ، أو
كإرسال الرئيس مرءوسه ، يقول السيد المسيح « الحق الحق أقول لكم
إنه ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله »
(يو ١٣/١٦)

وكذلك فإن المرء ليقسأل ، كيف أمكن خروج الابن الذى هو
فى اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام ، كيف أمكن
خروجه وتجسده وإنفصاله عن اللاهوت ، ودخوله رحم السيدة العذراء
مريم وامتزاجه بلحمها ودمها ثم خروجه من بطنها إنسانا له كل الصفات
الإنسانية ومع ذلك يمثل جانبا فى الله ، جانبا يمثل فى نظرهم أهم جوانب
الله ! ا . هـ (١) .

تلك هى نظرة المسيحية لما يقوم بهثالوثهم الإلهى من وظائف
وأعمال ، صورها أحد قساوستهم الكبار الذى أبى أن يكبل عقاه
بالخرافات والأوهام ، فأعلن كفره بالمسيحية ودخوله فى دين الإسلام .

(١) الله واحد أم ثلاث الاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهناس ٣٠ وما بعدها

الأسس التي بنى عليها الثالوثيون تأليهم للمسيح :

سبق أن ذكرنا أن الفلاسفة الرومانية ، والأفلاطونية الحديثة ، والاعريقية ، كان لها أثر كبير في تسكوير عقيدة الثالوث والقول بالوهية المسيح ، ولكن علماء المسيحية وقساوستها لا يقبلون هذا بالطبع ولا يرتضونه ، بل يرون أن عقيدتهم تلك قد قامت على أسس ثابتة منها ما يأتي :

أولاً : كان ميلاد المسيح معجزة ، فهو لم يخرج من بين أب وأم كسائر الناس بل من العذراء خرج ، دون ما أب حتى يظل طاهراً من الخطيئة التي ورثها آدم لأبنائه جيلاً بعد جيل ، فلو لم يكن إلهاً من إله ما وقع له ذلك الميلاد المعجز ، الذي لم يحظ به أحد من الناس أجمعين ، وكيف يتأتى مثل هذا لواحد من البشر وهو لا يكون إلا إله ؟

ثانياً : الباحث في حياة المسيح على الأرض يجد أنها كانت حياة طاهرة ، بريئة من الخطأ والزلل بعيدة عن الدنايا والرزائل ، وذلك لا يكون إلا لشخص إلهي ، لم يقد إلى الأرض ليعيش عليها كما يعيش سائر الناس ، بل جاء من قبل أبيه ليخلص العالم ويظهره من الخطيئة الكبرى . التي دنسته أمداً طويلاً من الزمان .

ثالثاً : كان المسيح عالماً بكل شيء علماً دقيقاً منفصلاً وهذا لا يكون إلا لإله فالمسيح إذن هو الله .

رابعاً : من صفات الله أنه يكون موجوداً في كل مكان وقد أعلن المسيح بكلمات صريحة عن وجوده في كل مكان وترنم داود قديماً

بقوله عن المسيح « أين أذهب من روحك ، ومن وجهك أين أهرب ؟
إن صعدت إلى السموات فأنت هناك ، وإن فرشت في الهاوية فما أنت
إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فما أنت أيضاً تهديني
يدك وتمسكني يمينك » (مز ١٣٩ : ٧ - ١٠) فهل يكون المسيح بعد
ذلك إلا إله ؟ .

خامساً : أعلنت الأفلاك في مداراتها والنجوم في أبراجها منذ
أمد طويل عن مجيء ابن الله إلى الأرض مخلصا وفاديا ، وموته على
الصليب ثم قيامته بعد دفنه وصعوده بعد ذلك وجلسه عن يمين أبيه
في السماء . فبرج العذراء يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ، و برج
الميزان يربنا أن البشر قد وزنوا بالموازين فوجدوا ناقصين ، و برج
العقرب . وقد ترجم — في الإنجليزية بالحية ، يربنا الحية القديمة التي
سممت حياة الإنسان بالخطية ، و برج القوس يربنا المسيح الظافر المنتصر
الذي سحق رأس الحية بموته على صليب ، و برج الجدى يتحدث عن ناحية
من نواحي عمل المسيح على الصليب كما نقرأ في لاويين ٩ : ٣ ، و برج
الدلو يتحدث عن المسيح ينبوع الماء الحي كما نقرأ في يوحنا ٤ : ١٤
و ٧ : ٣٧ - ٣٩ ، و رؤ ٢٢ : ١٧ و برج الحوت يربنا المسيح المدفون
المقام من الأموات « لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام
وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث
ليال » مت ١٢ : ٤٠ و برج الحمل يربنا المسيح حمل الله الذي يرفع خطية
العالم يو ١ : ٢٩ و برج الثور يربنا المسيح ذبيحة الخطية كما نقرأ

في لاوين ٤ : ١٣ - ١٥ ، و برج الجوزاء أو القوأمين يرينا المسيح
في يوم عرسه رؤ ١٩ : ٧ - ٩ كما يرينا إياه ، وقد صالح المبرانيين .
والأمم مع الله بالصليب أفسس ٢ : ١٦ ، و برج السرطان يرينا
الإنسان العتيق سرطان الجنس البشري الذي سيُمحو الله ذكره من
تحت السماء وأخيراً برج الأسد الذي يرينا النصر النهائية للمسيح كما
نقرأ في السكلمات ، هو ذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل
داود ليفتح السفر ويفك ختمه السبعة رؤ ٥ : ٥ وسيأتي اليوم القريب
الذي نسمع فيه الهتاف الجليل « قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه
فسيملك إلى أبد الأبدن » رؤ ١١ : ١٥ .

وإنك لتلمح ذلك واضحاً في الآيات الأولى من سفر التكوين حيث
تقول ما نصه :

وقال الله لتسكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل .
وتسكون آيات وأوقات وأيام وسنين ، وتسكون أنورا في جلد السماء لتنير
على الأرض وكان كذلك . فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر
لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم . وجعلها الله في جلد
السماء لتنير على الأرض . ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور
والظلمة « تك ١ : ١٤ - ١٨ فإن كلمة « آيات » الواردة في النص
السابق قد جاءت في العبرية بمعنى « الآتى » وكلمة « أوقات » تعنى
في العبرية « أوقاتاً معينة » .

فالنص الذي معنا إذن يتحدث عن شخص سيأتي في وقت معين .
وما أن جاء حينه حتى ظهر للمجوس في المشرق نجمه فجاءوا يبحثون عن

الوليد ليسجدوا له كما أخبر بذلك متى في إنجيله .
وترجم داود قديماً بتلك القبولات الفلكية عن نزول ابن الله
ومجده إلى الأرض وتخليصه للعالم ثم عودته إلى أبيه . مز ١٩ : ١ و ٢٠ .
فإذا كانت النجوم في بروجها والأفلاك في مداراتها تتحدث عن
المسيح ، وداود يترجم بذلك في مزاميره فكيف يكون المسيح إذاً مجرد
إنسان ، إنه الله الابن المسيطر على السكون « حامل كل الأشياء بكلمة
قدرته » عب ١ : ٣ ، على أساس اعلانات الفلك والنجوم عن المسيح
أمناً بأنه الله ، إذ الفلك لم يتحدث قط بهذه الصورة الرائعة عن كائن
من بنى الإنسان .

سادساً : ما امتاز به المسيح من القدرات الخارقة على فعل المعجزات
التي لم يجر مثلها على يد الأنبياء من قبله يجعل كل انسان يؤمن بإيماناً
عميقاً بأن المسيح هو الله ، ولا يقال كانت للأنبياء السابقين معجزات
أجراها الله على أيديهم تصديقاً لهم في دعوى النبوة ولم يصيروا بها آلهة
فما بال عيسى قد صيرته معجزاته إلهاً ، لا يقال هذا لأن الفرق بين
معجزات الأنبياء ومعجزات عيسى كبير ، فمعجزات الأنبياء لم تأتهم
بقدرتهم الشخصية ، وإنما أتتهم من الله .

أما عيسى فإنه لما كان إلهاً كانت كل معجزاته — من اسكانه
البحر والرياح إلى شفائه المرضى والعميان — نابعة من قدرته الشخصية
الإلهية ، لهذا قلنا إن قدرة عيسى على المعجزات هي إحدى الأسس التي
يبني عليها الإيمان بأن عيسى هو الله .

سابعاً : ما صرحت به الأناجيل من أن المسيح هو الله وهو ابن الله الحبيب يدل دلالة قاطعة على أنه لا فرق بين الآب والابن وأن المسيح هو الله لا محالة الأمر الذي يجعل الإيمان بمثل ذلك أمراً حتمياً لا شك فيه .

من تلك النصوص ما جاء في انجيل متى عن الله من قوله هذا هو ابني الحبيب به سررت (٣ : ١٧) .

وما جاء في انجيل يوحنا من قوله في وصف المسيح « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .. والكلمة صار جسداً ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدداً » (١ ، ١٤ ، ٣ ، ١٤) .

وما جاء في يوحنا أيضاً من قوله : « أنا هو القيامة والحياة : من آمن بي ولو مات فسيحياً وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » (١١ : ٢٥)

وفي يوحنا كذلك : أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب الابن (١٤ : ٦) .

إلى آخر ما جاء في الأناجيل صراحة عن كون المسيح هو الله وابنه الحبيب فكيف يحيد أحد عن الإيمان بألوهية المسيح ويقول بغير ذلك .^(١)

(١) كذا ذكره القس لبب ميخائيل في كتابه هل المسيح هو الله ط المطبعة التجارية الحديثة الطبعة الثانية من ص ٥٢ : ٢١٠ .

تلك خلاصة وافية فيما نرى لعقيدة التثليث وألوهية المسيح كما هي عند أربابها .

ونستأذن القارئ الكريم في أن نزن هذه العقيدة بميزان العقل السليم ثم نعرضها على القرآن الحكيم ، لأنه الكتاب السماوى الوحيد الذى تضافرت سائر الأدلة على ثبوته وحقيقته كما بيناه فى الباب الاول من أبواب هذا الكتاب ، ثم نتصفح من جديد الكتاب المقدس بمهديه القديم والجديد فى روية وأناة . لنعرف ماذا تعنى لفظة الابن والآب فيه حتى يبين الحق ويظهر ، فيهلك من هلك عن بيته ويمحى من حى عن بيته فنقول وبالله التوفيق . .

عقيدة التثليث فى ميزان العقل السليم

لما كان العقل هو نعمة الله الكبرى ، ومنجته العظمى التى وهبها لابن آدم وجعله بها محل تكريمه وتفضيله ، كما أخبر بذلك فى القرآن حيث يقول ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١) .

وموضع تكليفه بالشرائع والأحكام فلا تثريب ولا حساب على صبي ، أو نائم أو مجنون ، كما أخبر سبحانه بذلك فى كتابه الكريم أيضاً حيث يقول ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ (٢) .

وكما صرح به الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿رفع العلم عن ثلاث من النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يفيق﴾ إلى آخر ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة عن هذا الموضوع الذي لا اختلاف بين الناس فيه .

لما كان العقل من الإنسان بهذه المنزلة كان هو الميزان الدقيق الذي يوزن به كثير من الأشياء في تلك الحياة ، ولا سيما ما يقوم منها على الأدلة والبراهين كالمعتقدات والأفكار .

لذا فقد رأينا أن نبدأ في مناقشة قضية التثليث بمرضاها على العقل السليم حتى يقول فيها كلمته .

تأملات في وظائف الثالث :

وأول ما يطالعنا في هذه القضية الهامة هو ما يقوله دعاة الثالث من أن هناك ثلاثة أقانيم إلهية أزلية ، يقوم كل منها بعمل معين لا يتمداه إلى غيره ، وهما يتساوى العقل ماذا يحدث لو أن أحد الأقانيم كآلآب مثلاً قام بعمله المنوط به وهو العدل في طائفة ما من خلقه ، وجاء الأقنوم الثانى الابن فأصدر حكمه على نفس تلك الطائفة بالعفو والرحمة ، إن أنفذ الأول حكمه وحجب الثانى بقدرته كان هو الإله دون الثانى ، وإن حدث العكس كان الثانى هو الإله لا الأول ، وإن اتفقا على أن ينفذا العدل والرحمة معاً في تلك الطائفة أدى ذلك إلى حدوث التناقض ، ولا سيما إذا كان العدل يقضى بالقسوة والعفو يقضى

برفع تلك القسوة ، وكان وقوع هذين الأمرين على ذات واحدة في آن واحد ومن جهة واحدة ، وإن اتفقا فيما بينهما على اختصاص كل واحد منهما بطائفة من الخلق ينفذ فيها حكمه دون الآخر أدى ذلك إلى تحديد قدرة كل منهما من ناحية ، وحرمان ما اختص به الأول من الرحمة وما اختص به الثاني من العدل من ناحية أخرى ، وهذا أمر لا يقبله منطق ولا يقره عقل .

ثم ماذا عن السكون كله ؟ هل اتفقت أقانيمهم الثلاثة على خلقه ؟ أم اختلفت فيه ؟

إن افترضنا الأول فإن ذلك سيؤدي بالضرورة إلى احتياج كل منها إلى الآخر ، لأن أيا من تلك الأقانيم لن يكون مستقلا بالخلق دون الآخر ، بل يساعد بعضهم بعضا في أداء تلك المهمة الشاقة ، وهذا بدوره يفضي إلى العجز ، والعجز نقص ، والنقص على الله تعالى محال .

وإن افترضنا أنهم تقاسموا هذا العمل فيما بينهم فاختص الله الآب مثلا بخلق السماوات والسيطرة عليها ، واختص الله الإبن بخلق الأرض والبهائم والنحكم فيها ، واختص الله الروح القدس بخلق بقية السكون وتسيير دفته ، فإن ذلك سيؤدي بالضرورة أيضا إلى عجز كل أقنوم أو إله منها عن فعل ما يفعله الآخر . وقصر سلطانه على ما اختص به دون سواه فيصدق على أحد هذه الأقانيم ما لا يصدق على الآخر ، وبقدر أحدها على ما لا يقدر عليه الآخر ، وهذا يتعارض أيضا مع صفات الألوهية التي من مستلزماتها أن تكون سلطة الله وقدرته غير محدودة .

وإن افترضنا أن الأقانيم الثلاثة قد اتفقت فيما بينها على أن يتولى أحدها خلق العالم دون الأقبومين الآخرين ، فيقوم الآب مثلاً بهذا العمل وحده ، فإن ذلك سيؤدى بالضرورة إلى تعطيل الأقبومين الآخرين ، وحينئذ يصبحان لا فائدة فيهما ولا قيمة لأى منهما ، وعليه فلا داعى لوجودهما ولا للقول بألوهيتهما ، لأنهما لا يضيفان جديداً إلى الحقيقة الإلهية .

وإن افترضنا اختلاف الأقانيم الثلاثة ، أو الآلهة الثلاثة في خلق الكون وتنظيمه أدى ذلك إلى الطامة الكبرى لأن أحدهم سيخلق والآخر سيعدم ، وأحدهم سيفنى والآخر سيفقر ، إلى آخر ما يفضى إليه هذا الصراع الرهيب من خلل في هذا الكون ونقض لنظامه ، فصدق الله العظيم حين قال في محكم كتابه : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ^(١) ﴾ .

ومن عجب أن أصحاب الثالوث قد أقروا بالتخالف والتعارض بين أقانيمهم الإلهية في مسألة غفران خطيئة آدم ، فزعموا أن الله الآب [الحاكم القاضى] قد أصدر حكمه بالموت والهلاك ، والشقاء على آدم ونسله من البشر وذلك لعصيانه ربه وأكله من الشجرة المحرمة ، ولكن الله الابن [المخلص الفادى] لم يوافق على هذا الحكم فقام بإلغائه وأمر بتخليص البشرية وغفران خطاياهم ، أما الله الروح القدس

(١) المؤمنون : ٩١ .

(للقدس المحي) فيبدو أنه انحاز إلى جانب الله الابن في معارضة حكم الله الأب فقام بتقديس وإحياء الخطاة الآثمين ، كل هذا رغم إرادة الأب بإبطالكم القاضى .

ونسى هؤلاء أو تفاشوا ما تجرّه هذه الاختلافات التى أقروا بوقوعها بين آلهتهم من المصائب العظمى ، والطوام الكبرى على الكون كله ، إن أى تغير أو انحراف فى مسار الكواكب أو المجرات أو النجوم ليفضى إلى القضاء على الوجود كله ، فكيف بصراع الآلهة الذين يملكون الإيجاد والإعدام ، والتمهير والتدمير ... ومن ياترى تكون له الغلبة منهم ؟ ومن هم مؤيدو كل إله فى نزاعه مع زملائه ؟ ومن هم ضحايا هذا النزاع من المخلوقات ... ؟

إلى آخر تلك الأسئلة الكثيرة التى يسألها العقل عندما تعرض عليه فكرة تعدد الآلهة فى الكون لأن تعدد الآلهة فى الحقيقة مدعاة للتناحر والتخالف المفضى إلى فساد الكون وتدميره قال تعالى موضحاً هذا الأمر بأجلى بيان ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ^(١) ﴾ .

يقول الأستاذ محمد مجدى مرجان الذى كان مسيحياً فأسلم حول هذا الموضوع ما نصه :

« نعم إن تعدد الآلهة يؤدى إلى انقسامها وتنازعها ، وإلى تنازرها وتناحرها وفى خضم هذا الصراع تفسد السماوات والأرض وتنفى الموجودات ويحل بالكون الدمار .

إن كل هيئة أو منظمة أو مؤسسة في الوجود ليس لها سوى رئيس أو قائد واحد ، فالدولة رئيسها واحد ، والطائرة قائدها واحد ، والسفينة إذا قادها اثنان غرقت ، والوحداية هي طبيعة النظام فلا يقبل العقل أن يتحكم في الكون أكثر من قوة واحدة فإذا أمعنا النظر فيما يحيط بنا ولا حظنا الكائنات والموجودات المتجانسة ، وتأملنا الأرض التي خدش فوقها وكنية دورانها حول نفسها ودورانها في نفس الوقت حول الشمس في دقة وإحكام ، ثم تماقب الفصول في دورية وثبات ، وحرركات الكواكب والنجوم والمجرات ، تدور في نظام محكم حول بعضها وحول نفسها بسرعة فائقة فلا تنحرف ولا تقصدم ، وإذا تنحصنا ما ركب نحي جسم الإنسان والحيوان والحشرة والنبات من أجهزة ممقدة وخلايا وذرات متعددة تعمل في نظام وتمحرك في إحكام ، إذا تأملنا بعضا من ذلك وغيره كثير لأيقنا أن هذا الكون العظيم خاضع لمبدأ واحد استنه مدبر واحد فلو تعدد خالق الكون ومدبره لوجد التناقض وعدم الاتفاق ولحلت الفوضى محل النظام ، ولتنازع الآلهة والأقنانم وفسدت الأرض والسموات ، ولهلكت الكائنات والموجودات ، ولتلاشى الكون والوجود « ١ » .

البراهين العقلية على بطلان الجمع بين التثليث والتوحيد :

ولكن قد يقول حماة الثالوث ودعائه ، نحن لا تؤمن بثلاثة آلهة

(١) الله واحد أم ثلوث الاستاذ محمد مجدى مرجان ج ١ دار الهنا ص ٦٦ وما بعدها .

كما يقال ، بل نؤمن بالله واحد له ثلاثة أقانيم هي الآب ، والابن والروح القدس ، وهذا الإله الواحد بأقانيمه الثلاثة هو الذى يدبر السكون ويديره وعليه فلا تعدد ولا فساد كما زعم الزاعمون .

ولو حاولنا إقناع عقولنا بهذا المنطق الغريب ما استطعنا إلى ذلك سبيلا لما يأتى :

أولا : إن القول باتصاف شىء بالوحدة والتعدد معاً فى وقت واحد وزمن واحد أمر بدهى البطالان لأن التوحيد وحدة ، والتثليث كثرة ، والكثرة ووحدة نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . فلا يمكن أن يكون الشىء واحداً وكثيراً فى زمن واحد ، وفى مكان واحد ومن جهة واحدة ، ولا يمكن أن يكون ذلك الشىء غير واحد وغير كثير فى زمن واحد وفى مكان واحد ومن جهة واحدة ، بل لا بد أن يتصف بأحد هذين الوصفين الوحدة أو الكثرة ، فوصف الله بالتوحيد الحقيقى والتثليث الحقيقى معاً فى زمن واحد ، ومن جهة واحدة أمر بدهى البطالان لا يقهر العقل ولا يقبله ، والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وإن كانا ضدّين فى غير الواجب لـكنهما غير ذلك فى الواجب هو من السفسطة المحضة لأنه إذا ثبت التناقض بين التعدد والوحدة امتنع اجتماعهما فى أمر ما فى زمن واحد ومن جهة واحدة وفى مكان واحد ، واجبا كان هذا الأمر أو غير واجب ، لأنهما لو اجتمعا فى أمر ما واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب لا أدى ذلك إلى كون الجزء كلا ، والكل جزءاً ، إذ الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح وليس

مجموع آحاد رأسا ، وإما هو ثلث الثلاثة والثلاثة مجموع آحاد فيكون الواحد بناء على ذلك جزء الثلاثة ، فإذا اجتمع الواحد والثلاثة معا في أمر ما أدى ذلك إلى كون الجزء وهو - الواحد - كلا والثلاثة وهي مجموع الآحاد جزءا ، وهذا ما لا يمكن قبوله أو تصوره . ثم إن وصف الله سبحانه بالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي معا من جهة واحدة وفي زمن واحد يستلزم كونه تعالى مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل وهو الثلاثة :

والجزء - وهو الواحد - على نحو ما بيناه سلفا ، والكل مركب من أجزاء ، وكل جزء من هذه الأجزاء مركب من الأجزاء التي تكون ذات هذا الجزء وهكذا دواليك وكون الشيء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً ، ويستلزم أيضاً كون الواحد ثلث نفسه وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها ، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة وهذا واضح البطلان .

فإذا قالوا إن مرادنا من وصف الله بالتوحيد والتثليث هو أنه سبحانه واحد مكون من ثلاثة أجزاء أو عناصر رئيسية قلنا : إن هذه الأجزاء أو العناصر التي تكون الله منها في زعمهم إما أن يكون كل جزء منها محتاجاً إلى الآخر ومفتقراً إليه أو لا ، فإن كان الأول لزم احتياج الله إلى غيره وذلك الغير هو أجزاءه التي تتركب منها ذاته إذ الجزء غير الكل والاحتياج نقص ، والنقص على الله تعالى محال .

وإن كان الثاني فلا جدوى من تكونه من هذه الأجزاء مادام

كل واحد منها مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الجزء الآخر ، اذما الفائدة مثلا من وضع إنسان بجوار حجر ، أو حيوان بجوار حجر دون ماعلاقة بين هذا وذلك هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الشيء المركب من أجزاء أو عناصر لا يتركب من هذه الأجزاء إلا بعد وجودها أولا ومعلوم أن وجود الله أبدى أزلى غير مسبوق بوجود شيء قبله ، فكيف يتأتى تركيبه سبحانه من أجزاء أو عناصر ، ثم أين كانت هذه الأجزاء قبل أن يركب منها الإله جل في علاه ومن ذا الذي ركبها منها وكونه حتى صار بالصفة التي وصفوه بها ، لأن الأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون أحد يقول هذا الضم وذلك التركيب والله سبحانه غير محتاج إلى من يكونه ويركبه بل هو موجود بذاته أزلا لم يسبق وجوده وجود ولم يلحقه عدم .

﴿ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ (١)
وكذلك فإن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها فهو محدود بمحدود الأجزاء التي ركب منها ، وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديدته فهو يتميز بمكان وحيز معين ، والله جل سناه ، وعز في علاه غير محدود ولا متناه ، فلا يحده مكان أو زمان ولم يره أحد ؟ فهو غير مركب بل هو واحد وحدانية مطلقة .

ثانياً : ما يصفون به الأقانم من صفات مقدسة إما أن يكون على سبيل السكالم المطلق لسكل واحد منها أولا ، فإن كان الأول لزم تعدد

الموصوف بالكمال المطلق وهو محال لأن تساوى الثلاثة في الوصف بالكمال المطلق يفضى إلى استقلال كل منها عن الآخر وعدم احتياجه إليه فيكون كل منها إلها كاملاً كمالاً مطلقاً له الحكم والأمر دون ما سواه ، وهذا غير ممكن لأن من هو كامل كمالاً مطلقاً في نهيه وأمره ، وخلق وحكمه ، وسائر صفات الكمال سيصير بالضرورة مربوباً لمن يمثله في النهى والأمر والخلق والحكم ، وما إلى ذلك من سائر صفات الكمال ، وإلا فكيف يكون كاملاً وهناك من لا يخضع لسلطانه ، ولا يرضخ لحكمه ، لذا قلنا إن وصف التعدد بالكمال المطلق في كل شيء محال فلا كامل إلا الواحد القهار .

وإن كان الثانى - وهو وصف الأقانيم بما وصفوها به من القداسة لاعلى سبيل الكمال ، لزم أن قلون غير نزهة عن النقص ، والفقص على الله تعالى محال فامتنع أن يكون الإله ثلاثة بل هو سبحانه الواحد المتعال .
فالثالث : لو كان كل واحد من الأقانيم الثلاثة منازجاً بصفات معينة لوجب أن يكون المائز له شيئاً غير الوجوب الذاتى ، لأن الوجوب الذاتى في زعمهم هو الأمر المشترك بين هذه الأقانيم ، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، وحينئذ يكون كل أقنوم مركباً من جزأين أحدهما الوجوب الذاتى - وهو الأمر المشترك بين الثلاثة

وثانيهما : المائز له بما تماز به عن غيره وكل مركب ممكن لذاته فيلزم أن يكون كل واحد من تلك الأقانيم ممكناً لذاته ، وهذا مالا يجوز وصف الله تعالى به أبداً .

رابعا : إذا كان الاتحاد بين الجهر واللاهوتى والناسوتى حقيقيا
كما يقولون ، كان أقنوم الابن محدودا متناهايا ، وما كان كذلك كان
تقابلا للزيادة والنقصان ، وكان اختصاصه بالمقدار المعين والزمن المعين
الذى عاشه على الأرض ناسوتا ناشئا عن تخصيص مخصص وتقدير
مقدر آخر ، وكل ما كان كذلك كان حادثا فيلزم أن يكون الابن
حادثا ، وهذا يستلزم بالضرورة حدوث الله — تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا .

نهاية هذه الابحاث :

وبعد . . . فهذه كلمة العقل — الذى هو معيار متفق عليه عند سائر
الناس — يقولها بوضوح فى عقيدة التثليث بعد ما بحثها من جميع زواياها ،
وقلبها على شتى وجوهها ، وافترض لمحاولة تقبلها والاعتناع بها شتى
الافتراضات . فإذا يقول دعاة الثالوث ردا على هذا المنطق السليم ؟
إنهم لم يقولوا قديما وحديثا فى نهاية مثل هذه الابحاث إلا كلمة واحدة
تارة يلففونها بأغلفة مصطنعة من العبارات الرقيقة والجلل الأنيفة ،
وتارة يعلنونها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، تلك الكلمة
هى أن عقيدة التثليث تعلم ولا تفهم ، وأن على معتقديها أن يتجرعوها
كما هى وإن لم تسكن مستساغة فى عقولهم ولا مقبولة .

يروى الشيخ رحمة الله الهنذى فى هذا الصدد ما نصه :

نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد
الضرورية سيما عقيدة التثليث ، وكانوا فى خدمته فجاء محب من أحياء

هذا القسيس وسأله عن تنصر ؟ فقال ثلاثة أشخاص تنصروا ، فسأل هذا الحب هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية : فقال نعم ، وطلب واحداً منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة الثلثية ، فقال إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء ، والثاني تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة فغضب القسيس وطرده ، وقال هذا مجهول ، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة للاولين وحريصاً في حفظ العقائد فسأله فقال بامولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بنضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد .

ثم يقول رحمه الله تلميحاً على هذه القصة : لانقصير للمسئولين فإن هذه العقيدة يحبط فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماءهم ، ويعترفون بأننا نعتقد بولا نفهم ، ويمجزون عن تصويرها وبيانها .^(١)

وقال لي أستاذي الدكتور محمد الالافي شرعان لما اعزمت الكتابة عن عقيدة الثلثية اتصلت بكثير من القساوسة لأستوضح منهم هذه العقيدة فأخبرني المخلصون لي منهم بأنها عقيدة غامضة مستعصية على الأفهام ، تعرف ولا تناقش .

(١) إظهار الحق للشيوخ رحمه الله الهندي ط دار التراث العربي ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

ويقول الأستاذ محمد مجدى مرجان فى هذا الموضوع مانصه :
ولقد أدرك هذه الحقيقة أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحيار
وفلاسفة المسيحية ، فهم رغم اضطراؤهم بحكم الظروف إلى الدفاع عن
عقيدة الثالوث ومحاولة تبريرها للعامة والبسطاء ، فإنهم يشعرون فى
أعماقهم بمجافاتهما للعقل والمنطق ، ويبعدنها عن الحق والصواب ، وإننا
نجد هؤلاء الأحيار والفلاسفة كثيراً ما يعترفون بهذا الواقع رغم كافة
الظروف ، بعضهم يعترف فى صراحة والبعض يقرر فى وجل ، مستجيبين
لصرخات عقولهم التى فطرت على التوحيد فلم تستطع هضم التثليث .
يقول القس توفيق جيد « إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه ،
وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه
الحيط كلها فى كفه . . . »

ويقول القمص باسيليوس إسحق فى كتابه الحق « أجل إن هذا
التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله . . »
أما الأستاذ يسى منصور فإنه بعد شرحه المستفيض لعقيدة
التثليث — يقرر « أن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر
بعقولنا القاصرة » .

ثم يأتى الأستاذ عوض سيمان فيقول أيضاً فى صراحة « إننا لا ننكر
أن التثليث يفوق العقل والإدراك واسكنه يتوافق مع كمال الله كل
التوافق » . ويستطرد الأستاذ عوض قائلاً « لقد حاول كثيرون من رجال
الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله ، أو بالحرى

عن ثالث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها . . . »

والأمر يدعو للحيرة ، ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم هذا الثالث فمن ياترى يستطيع فهمه ؟ وما هو موقف البسطاء والدعاة إذا ما حاولوا الفهم ، وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينية بعقولنا وأفهامنا فماذا ياترى يمكننا إدراكها ؟

هل يطلب منا دعاة الثالث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالث وإذا كننا جميعاً نحن وهم ، لاندرك هذا الثالث ، فكيف يمكن لأى منا أن يتبعه أو يسير عليه ؟

يقول القس بوطر صاحب رسالة الأصول والفروع بعد أن استعرض عقيدة التثليث وشعر بمبلغ ما هو عليه من غوض وإيهام « قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر جلاءً في المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض ، وأما في الوقت الحاضر فنفي القدر الذي فهمناه الكفاية »

والقس بوطر يربط رغبته في تفهم عقيدة الثالث برجاء مستحيل التحقيق وهو أن يعطيه الله معرفة كافة أسرار ومكنونات السماوات والأرض وهو العلم اللامتناهي الذي يختص به الله وحده ، وشتان بين فهم أسرار السماوات والأرض ، وبين فهم عقيدة دينية يطلب من الناس اعتناقها والسير عليها في حياتهم ، شتان بين الواجب والمستحيل شتان بين العقائد الدينية التي أوجب الله على الناس فهمها بعقولهم

ليتمكنوا من اتباعها والسير عليها وبين أسرار وخفايا اختص الله بها نفسه وحجبها عن البشر ، والربط بين هذا وذاك جعل الاثنين في حكم المستحيل ، فكأن النفس بقول إنه لسكونه لا يستطيع فهم أسرار السماوات والأرض فهو لا يفهم سر الثالث الإلهي ، أما قوله إنه قد فهم الثالث على قدر طاقة عقله رغبة منه في اتهام عقله بالضعف والقصور لعدم إمكانية فهم الثالث ، فلا شك أنه اتهم بحاف لا نرضاه للسكائب كما لا تؤيده حقائق الأمور .

يقول المرحوم الدكتور عبد الله دراز « إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع بالمعجل الذي يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر السكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر وإله للحرب وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم تصرف جميع الشئون ، فهي لا ترضى بأحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين وتستشرف إلى الميدان التي جمعت تلك القوانين ونسقتها . . . »

هكذا يبين لنا مدى مجافاة عقيدة الثالث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب ، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب ، ولقد بحث^(١) بنفسى بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين في مدى فهمهم

(١) الضمير في هذه العبارة راجع إلى الأستاذ محمد مجدى مرجان .

وتقبلهم لهذه العقيدة ، تارة حين كنت محسوبا في الجماعة المسيحية وتارة بعد انساخى عنها ، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولونى ثقتهم ويصدقونى الحديث فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنهه الثالث المقدس وأن كثيرين منهم يعيشون فى صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم ، وحين تناقشت فى ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الإيمان بالثالث دون أى تمحيص أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالثى تسليما مطلقا أى تسليما أعمى فعلى المسيحى أن يؤمن ويعتقد أولا فى الثالث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقد فإذا لم يفلح فى ذلك فإنه خير له أن يلقى عقله ولا يلقى عقائد الآباء وتراث الأجداد ، وتعاليم القساوسة .

والحقيقة أن هذا الذى يدعو إليه آباؤنا الكهنة ويبغون قسمرنا عليه شىء عجيب ، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلقى عقله الذى لا يعيش إلا بهديه والذى يفضل على العيش نفسه ، إن الأح المسيحى فى محاولته فهم عقيدة الثالث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق وفى خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد ، وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلا للأسف المرير ، ففي مقالة للدكتور وولتر أوسكار لنديرج يقول فيها « إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان بدلا من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتندرب على استخدام

«الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تتسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أى منطق مقبول .

وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات للتوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنقد فكرة الله كلية ... » .

إن العالم الأمريكى يقرر هنا أن تمثيل رجال الدين الله والإنسان ، مكوناً من ثلاثة عناصر أو أجزاء ذات نطق وحياة .

هذه الصورة الغريبة التى تخالف كل فكر وطبع والى يسعى رجال الدين جاهدين فى دعوة الناس إلى تقبلها ، تجعل المسيحي المثقف فى صراع دائم بين هذه الأفكار وبين مقتضيات عقله ومنطقه ، وفى دوامة هذا الصراع إما أن يصل إلى الحقيقة ويحمر بها مملنا التوحيد وإما أن يفضل السلامة فيكتفى بالإلحاد .

وهذا الذى يدعونا إليه آباؤنا السكينة من إلغاء العقول وتقبل النقول دون فكر أو روية إنما يخالف الدين الذى يرتدون زيه بل ويخالف كافة الأديان السماوية التى ما نزلت إلا لذوى العقول فالعقل هو المخاطب دائماً برسالات السماء ، وكل من يطالع تلك الرسائل يجد الحض فيها دائماً على التفكير وإعمال العقل .

فالتوراة تدعو الناس إلى استعمال عقولهم ، والله فى التوراة يخاطب للإنسان فى حنو وترفق « أقبل علينا ودهنا نفسك معا » والأناجيل

أيضاً تدعو إلى أعمال العقل . ولقد كان السيد المسيح عيسى عليه السلام حريصاً في كافة عظاته للناس على أن يقرنها بالأمثلة العقلية التي تدفعهم إلى التفكير والتدبر .

أما القرآن الكريم خاتم الرسالات السماوية فإنه يخاطب العقل في كافة آياته ويعمل التفكير والتدبر أعلى درجات العبادة ، ويضع العقلاء والعلماء في أقرب المراتب وأدناها إلى الله يقول سبحانه وتعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ (سورة الزمر) آية ٩ . ولأولى الألباب نزلات الأديان ، وتفضل الله بمخاطبة الإنسان ، أما غير أولى الألباب فهم الأحجار والدراب ، وهؤلاء لا دين لهم ولا عقيدة يقول محمد خاتم المرسلين : « الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « فقيه واحد خير عند ربه من ألف عابد » .

ومع ذلك فإنه يبدو أن أصحاب الثالث لا يؤمنون بالعقل ولا برسالات السماء ولا بأقوال الأنبياء ، وإلما أصرخوا على اعتقادهم رغم مناقضة لكل ذلك « ١ » هـ^(١) .

على هذا المنهج من التعمية والغموض والإيمان بالمتناقضات التي يصيب التفكير فيها الروس بالدوار الشديد ، سار دعاة الثالث وحلة

(١) الله واحد أم ثالث للاستاذ محمد مجدى مرجان ط دار الهنا ص ٧٠ وما بعده .

لوائه ، وحاولوا جهدهم أن يحملوا الناس على نبذ عقولهم وإلغاء أفهامهم ، ليؤمنوا بشالوهم إيماناً أعمى لا يعرف التفكير ولا الإقناع ، بل ينقادون وراء الثالوثيين كما تنقاد البهائم خلف أصحابها . فيا لله للإنسان ، كيف يستسيح ظلم أخيه الإنسان وإضلاله بهذا الضلال الكبير ؟

مناقشات عقلية لأسس تأليه المسيح عند دعاة الثالوث:

إن الناظر فيما ارتضاه الثالوثيون واقتنعوا به كأساس بنوا عليه قولهم بألوهية المسيح يجد أنه لا يخرج في جملته وتفصيله عن أوهام خلقها ونماها ما يتمخض عنه الغلو عادة من خيال مريض .

فـكون عيسى عليه السلام قد ولد من غير أب وعاش حياته على الأرض طاهراً مبرئاً من الخطأ والزلل ، بعيداً عن الدنايا والردائل وسناسف الأمور ، وقال من الكلمات أو فعل من الأفاعيل ما يدل على أنه من الصفوة المختارة للنبوّة والرسالة لا من عامة الناس .

كون عيسى عليه السلام منصفاً بهذا كله أو أكثر منه لا يجعله إلهاً كما قال الثالوثيون لأن الله — عز وجل — قادر على أن يخلق من يشاء بالكيفية التي يختارها ويرضاها على ما سنبينه قريباً إن شاء الله ، ولأن الطهر والعفاف والبراءة من الميوب والأخطاء لا ترقى باليشر إلى مرتبة الألوهية إلا في نظر المغالين الذين أسر الخيال عقولهم وكمّلها بسكتير من الخرافات والأوهام .

وما زعموه من أن الأفلاك قد أعلنت منذ أمد طويل عن بنوة عيسى

لله ، ومجيئه من العذراء الأرض مخلصا وفاديا ، وموته على الصليب ودفنه ، ثم قيامته وصعوده بعد ذلك وجلسه عن يمين أبيه وبرهنوا على صحته بأسماء الأبراج فبرج العذراء قد سمي بهذا الاسم لأنه يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ، و برج الميزان يرينا أن البشر قد وزنوا فوجدوا ناقصين ، و برج العقرب أو الحية يرينا الحية القديمة التي سميت حياة الإنسان بالخطيئة . . . إلى آخر ما قالوه في هذا العدد وأفاضوا فيه .

ما زعموه من هذا كله وبرهنوا عليه في نظرهم هو فيما نرى زعم غير صحيح ، لأن ما أعلنته هذه الأفلاك كما قالوا لم يدر إلا بخلدهم ، ولم يجر إلا على ألسنتهم فما أنزل الله به من سلطان ولا أخبر به نبي من أنبياء الله ورسله حتى نصدقه ونعترف به ، وما ساقوه من دلائل على ذلك إنما هو محض الهوى والافتراء .

إذ من يقول إن تسمية برج ما باسم العذراء أو الميزان ، أو الأسد أو الثور ، أو العقرب أو السرطان ، يدل على أن عيسى إله وإبن للاله ، إن هذا لون من الاستهتار بالعقول والاستخفاف بالإنكار ، لا يفعله إلا من استمرأ إلغاء عقول الناس والاستهانة بها تحت شعار الدين ، والدين من هذا براء .

عقيدة التثليث في ميزان القرآن الحكيم

بعد ما ناقشنا عقيدة التثليث بمنطق العقل السليم ، نبدأ في مناقشتها بمنطق القرآن الحكيم الذي أثبتت الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة والحجج البالغة صدقه وحقيقته على ما بيناه في الباب الأول من هذا الكتاب فقول وبالله التوفيق :

إن القرآن الكريم قد أبرز في جل سورة قضية الألوهية وأولاهها باهتمامه وعنايته فما أن يفتح الإنسان المصحف الشريف حتى يبدو لناظريه بسم الله الرحمن الرحيم ، الذي ينبغى أن تترن به كل بداية ونهاية فبسم الله نقرأ ونسكتب ، وبسم الله نأتى ونذهب ، وبسم الله نأكل ونشرب ، وبسم الله نعد ونحسب ، وبسم الله ننام ونستيقظ ، وبسم الله نحيا ونموت .

بسم الله يحدث كل شيء في الحياة . لا بسم الآب والابن والروح القدس ، ولا بسم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا بسم الشمس والقمر والزهرة والشعري ، ولا بسم النار والإنسان والحيوان .

باسمه وحده يحدث كل شيء في الوجود لأنه سبحانه خالق الوجود ومالك أمره فبحال أن يحدث شيء فيه أو يقيم إلا باسمه تعالى وبإذنه وأمره .

وما يسكاد الإنسان يجاوز هذه الآية [بسم الله الرحمن الرحيم] حتى يطالع الثناء العطر على الله سبحانه ، بما هو أهل له من الحمد الكامل على نعمائه الواسعة الكثيرة ، وكيف لا يكون أهلاً لذلك

وهو الذى ربي العالمين ومنهم الحياة ، وعهم برحمته وفضله ورضاه ،
وملك يوم الحساب والجزاء فعدل فيه ووفاه .

ولم يذكر هذا الثناء بصيغة الأمر الملزم ، بل سيق بصيغة الخبر
حتى يقبل عليه فاعله عن يقين وإذعان ، وحب وإخلاص ، لا عن
أمر وتكليف ، وإجبار وإلزام ، ومن منطلق هذا الايمان اليقيني الذى
يحدث للنفس بعد استكناه أسرار السكون واستجلاء الحقائق بما يملك
الانسان من وسائل .

من منطلق هذا الإيمان اليقيني الراسخ بوجود الله وسلطانه على
خلقه ورحمته بهم رحمة واسعة علم الله عباده الذين رسخ اليقين به في
قلوبهم أن يفردوه وحده بالعبادة والاستعانة مجريا القول على ألسنتهم
فيقولون [إياك نعبد وإياك نستعين] .

كل هذا يجده الباحث عن الله عز وجل في فاتحة ذلك الكتاب
المعجز الخالد ، فأين من هذا البيان الرائع ، وذلك الهدى البارع ،
ما يقوله دعاة الثالوث في مفقحة صلاتهم الربانية حيث يقولون .

« أبانا ، الذى فى السماوات ايمقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ،
التيك مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفانا أعطنا
اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر أيضاً للمذنبين إيتنا ، ولا تدخلنا فى
تجربة ، ولكن نجنا من الشرير آمين ^(١) » .

وهنا بين هذا وذاك لأن تلك الصيغة ليس فيها من الثناء على الله

(١) انجيل متى اصحاح ٦٠ فقرات ٩ : ١٣

تعالى ما في فاتحة القرآن ولا بعضه ، بل قولهم « أبانا الذي في السماوات
وصف الله بالأبوة التي قد تستلزم البنوة الحقيقية كما نادى بها دعاة
الثالوث وأربابه .

وهذا ليس ثناء على الله عز وجل ولا مدحاله ، بل هو انقصاص
لقدر الله سبحانه ، اذ محال أن يكون له ولد فتعالى الله عما يقولون
علواً كبيراً .

وطلبهم تقديس اسم الآب وإنيان ملكوته بقولهم ليطقدس
اسمك ، ليأت ملكوتك تحصيل للحاصل ، فهو لفظ لا يليق بما قل ،
وذكره بصيغة الأمر ينافي الأدب مع الله سبحانه ويخافيه ، وأبعد من
ذلك عن اللياقة والأدب مع الله عز وجل طلب كون مشيئته على
الأرض كمشيئته في السماء ، وكونها بصيغة الأمر يضاً لأن مشيئته
تعالى نافذة في جميع خلقه من سمائه وأرضه بالضرورة فلا معنى لطلبها ،
وطلب المساواة بين السماء والأرض في المشيئة الإلهية إن أراد به
من كل وجه فهو تحكم لا يخفى ما يترتب عليه .

أين هذا ونظائره من حديث الفاتحة عن الله عز وجل ؟ .

وما أن ينتهي الإنسان من فاتحة القرآن حتى يجد نفسه أمام هذا
الكتاب العزيز وقد انساب في رقة وعذوبة بعاليج موضوعات شتى
وقضايا متنوعة ، ينظمها كلها خط واحد هو خط الألوهية الحاكمة
القادرة المنزهة عن الحوادث والأشباه والفظائر ، فالله هو الذي
نزل هذا الكتاب وهو الذي هدى المؤمنين ، وختم على قلوب الكافرين

وهو الذي يستهزئ بالمنافقين كما استهزؤا برسوله ويمدحهم في طفولتهم
يممهمون ، وهو المسيطر على الكل لا يخرج أحد عن مشيئته وقدرته
لأنه على كل شيء قدير ، وهو الذي ينبغى أن يعبدته الناس لأنه خلقهم
وخلق من قبلهم ، وجعل لهم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم فلا ينبغى أن يجعلوا له أندادا
وهم يعلمون أنه الفرد الواحد الذي لا ندله ولا نظير ، وكيف يكفرون به
وهو الذي أحياهم من العدم ، وسيعيدهم إليه مرة أخرى ثم يبعثهم بعد
ذلك إلى حياة أبدية لا موت فيها ولا فناء ، وهو الذي خلق للناس
ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو
بكل شيء عليم ، وهو صاحب المنة على البشر كلهم بخلق أصلهم من
من طين ، ونفخه الروح فيه وتكريمه بأمر الملائكة أن يقعوا له
ساجدين .

خط واحد ينتظم سائر القضايا والموضوعات المبثوثة في القرآن كله
غير أن بعض هذه القضايا متصل بالألوهية اتصالا مباشرا يناقش
القرآن فيها مقالات الناس عن الله وفكرهم فيه ، ويرد حججهم
وبراهينهم على صحة ما ذهبوا إليه بأدلة قوية صحيحة تبطل فساد المفسدين
وزيف الزائنين .

من هذه القضايا قضية الثعليث التي اختلفها فلاسفة المسيحية فيما مضى
من الزمان .

وقد أنزل الله عز وجل في كتابه المحكم آيات كثيرة ، يناقش

فيها دعوى الثلاث عند المثلثين وأتباعهم من النصارى ، وبديل على
بطلانها بأقوى الحجج وأوضح البراهين ، من هذه الآيات ما يلي :

آيات الحجاج في سورة البقرة :

بعد ما توعد الحق سبحانه من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه
وسعى في خرابها بالخوف والحزى في الدنيا ، والعذاب العظيم في الآخرة
وبين أنه سبحانه ينبغي أن يعبد في كل مكان ، عاد إلى تعداد مخازي
أهل الكتاب والمشركين فقال عز اسمه [وقالوا اتخذ الله ولداً ^(١)] فهو
معطوف على قوله تعالى [وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً
أو نصارى] وقوله سبحانه - [وقالت اليهود ليست النصارى على شيء]
إلى آخره .

وهذا يعني أن اليهود والنصارى والمشركين قد اشتروا جميعاً في
تلك المقالة المنكرة ، وهو حق بينه الله تعالى في كتابه الكريم غير
مرة فقال عن اليهود والنصارى [وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله] ^(٢) .

وقال عن المشركين (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور
مبين) ^(٣) ثم رد على كل من ادعوا له ولداً بقوله سبحانه ﴿ بل له
ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ .

نزه الحق تعالى نفسه بكلمة (سبحانه) التي تفيد التنزيه مع التعجب
مما يتنافيه ، فإن الذي يعرفه جل ذكره لا يصح أن يصدر عنه مثل هذا

(١) البقرة ، ١١٦ ، ١١٧ (٢) التوبة : ٣٠ (٣) الزخرف : ١٥

القول المشعر بأن له تعالى جنسا يماثله ، لأن من يقول مثل هذا الكلام ليس على علم بالله تعالى بل هو زاعم فيه المزاعم الباطلة ، وظان به الظنون الجاهلة والمعنى تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد كما زعم هؤلاء الجاهلون الظانون بالله غير الحق ، فانه لا جنس له حتى يكون له ولد منه ، وعلى هذا فالولد الذي نسبوه له تعالى إما أن يكون من العالم العلوى وهو السماء أو من العالم السفلى وهو الأرض ولا يصلح شئ منهما لمشايقه سبحانه لأن هذين العالمين وجميع ما فيهما مقهور لله تعالى خاضع لسلطانه (بل له ما فى السماوات والأرض كل له قانتون) فكيف يكون فيهما أو فى أحدهما ما يجانسه . وإذا لم يكن لله جنس يتخذ لنفسه منه ولدا ، ولم يكن فى السماوات والأرض ما يصلح أن يكون له ولدا فمن أين جاء بهذا الولد الذى نسبوه إليه ؟ (إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً)^(١) .

نعم إن له سبحانه أن يختص من عباده من شاء بما شاء كما اختص الأنبياء بالوحى والرسالة ، ولكن هذا التخصيص لا يرقى بالخلق أبداً إلى مرتبة الخالق ، ولا يرتفع بالموجود الممكن إلى درجة واجب الوجود وإنما يودع سبحانه فى فطرة من شاء من خلقه ما يؤهله لما شاء له (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)^(٢) وعبر به - (ما) فى قوله (بل له ما فى السماوات والأرض) وهى لما لا يعقل ويجمع العقلاء فى قوله (قانتون) لأن المراد بتسخير السماوات

(١) مريم : ٩٣ .

(٢) طه : ٤٩ ، ٥٠ .

والأرض وما فيهما له سبحانه التسخير الطبيعي الذي لا يشترط فيه الاختيار ، لا التسخير الشرعي للمعبر عنه بالتكليف الذي يفعله السكاسب باختياره ، ويستوى في هذا التسخير الطبيعي العقلاء وغير العقلاء ، ولكنه في غير العقلاء أظهر .

أما القنوت فإنه لما كان بالعقلاء أليق غلب فيه ما يعقل على ما لا يعقل ، وإن كان لغير العاقل قنوته الخاص به .

قال صاحب المنار : — وجملته القول : أن الآية ناطقة بأن ما في السماوات والأرض ملك لله — تعالى — ومسخر لإرادته ومشيقته لافرق بين العاقل وغيره ، فقد حكم على الجميع بالملكية وبالقنوت الذي يراد به التسخير وقبول تعلق الإرادة والقدرة ، ولكنه عند ذكر الملك عبر عنه بالكلمة التي تستعمل غالباً في غير العاقل وهي كلمة (ما) لأن المهود في ذوق اللغة وعرف أهلها أن الملك يتعلق بما لا يعقل ، وعقد ذكر القنوت عبر عنه بضمير العقلاء لأنه من أعمالهم ، وبما يعهد منهم ويسند إليهم لغة وعرفاً ، وهذا كما ترى من أدق التعبير والطفه ، وأعلى البيان وأشرفه اهـ / (١) .

ثم أكد سبحانه الحكيم السالفين وهما تنزيهه عن اتخاذ الولد وملكيته لما في السماوات وما في الأرض وخضوع الكل له بقوله تعالى (بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) .

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا طهية المصيرية العامة للكتاب ١/ ٣٦٠ .

فأما قوله (بديع السماوات والأرض) فمعناه أنه سبحانه هو الخالق للسماوات والأرض لا على مثال سبق ، لأن الإبداع كما قالوا هو إيجاد الشيء على غير مثال ، وإذا كان هو المبدع للسماوات والأرض والموجد لجميع ما فيهما فكيف يصح أن ينسب إليه شيء منهما على أنه شبيه له ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأما قوله (وإذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون) فمعناه أنه سبحانه إذا أراد إيجاد شيء وإحداثه أمره أن يكون موجودا فيكون موجودا كما أمره ، وهذا ضرب من التمثيل أي أن تعلق إرادته تعالى بإيجاد الشيء يعقبه وجوده ، كأمر يصدر فيعقبه التنفيذ ، فليس بعد الإرادة إلا حصول المراد فإحاطة بعد ذلك إلى اتحاد الولد كما يقول المفكرون ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ولم يورد الحق هذه الدعوى الباطلة والرد عليها في سورة البقرة فحسب بل ذكرها ورد عليها بما يبطلها ويفحم أصحابها في غير ما سورة من سور القرآن الكريم .

فقال في سورة النساء (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) : ١٧ .

وقال تعالى في سورة الأنعام (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا لهم بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل

شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك
الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٠ : ١٠٣ .

وقال سبحانه في سورة التوبة (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل قاتلهم الله أئى يؤفكون) ٣٠ .

وقال في في يونس (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما في
السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله
مالا تعلمون) ٦٨ ، وقال في سورة الكهف (وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولداً) ٤ .

وقال عز اسمه في سورة مريم (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم
شيئاً إذا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال
هذا أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل
من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم
عداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) ٨٨ : ٩٥ .

وقال في سورة الانبياء (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد
مكرمون) ٢٦ .

وقال جل ذكره في سورة المؤمنون (ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه
الله عما يصفون) ٩١ : ٩٢ .

وقال في سورة الصافات (ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله

ولهم لـكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون
أفلا تذكرون (٤ : ٦ .

وقال في سورة الزمر (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق
ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) ٤ .

وقال في الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور
مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، وإذا بشر أحدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) ١٥ : ١٧ .

وقال سبحانه فيها أيضاً : (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول
العابدين سبحانه رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون) ٨١ : ٨٢
وقال تعالى في سورة الجن (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا) ٣ .

وقال تعالى في سورة الإخلاص (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد) ٣ ، ٤ .

هذه طائفة من الآيات القرآنية المنزلة في بيان دعوى الولادة لله ،
مناقشة أربابها بالأدلة المقنعة والحجج المفحمة التي تبطل دعواهم وتنقضها
من أساسها ، والباحث في تلك الآيات الميثوقة في سور القرآن يجد أن
أساليبها في مناقشة هذه القضية متنوعة ومتعددة .

ففي سورة الأنعام يبطل — الله — هذه الدعوى بأدلة مقنعة غاية
الإقناع منها :

أنه سبحانه هو الخالق للسموات والأرض لأعلى مثال سابق ،
وأنه خلق كل شيء وهر بكل شيء عليم ، وأنه لا تدركه الأبصار وهو

يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فكيف يكون مثل هذا محتاجاً إلى ولد؟
ومنها أن الولد يتولد عادة من بين والد ووالدة فإذا كان الله كما
يزعمون والد هذا الولد فمن والدته؟ وأين هي؟ .

ومن تلك التي لها من الصفات ما يؤهلها لصحبة الله عز وجل
(سبحانه وتعالى عما يصفون) (أنى يكون له ولد ولم تسكن له صاحبة
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) .

وفي سورة التوبة يذكر الحق أن مقالة اليهود والنصارى عن
عزير والمسيح بأنهما ابنا لله ليس صادراً عن علم حقيقه ، ولا عن دين
إلهي تعلموه ، وإنما هو قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من
قبل ، كالمجنون الذين قالوا قديماً عن كرشنة إنه ابن الله ، والصينيين
الذين قالوا عن بوذا إنه ابن الله ، والمشركيين الذين قالوا عن الملائكة
إنهم بنات الله .

وبيان تلك الحقيقة التي أثبتها العلماء بعد البحث العميق والدرس الطويل ،
بهذا الأسلوب الموجز ، ضرب من ضروب الإعجاز القرآني في مناقشته
لأمثال تلك القضايا الهامة التي يجهل الناس منها أكثر مما يعرفون .

وفي سورة الكهف : يوجه الملك سبحانه إنذاراً شديداً للذين
قالوا اتخذ الله ولداً لأنهم ما قالوا هذه المقالة عن علم لهم ولا لأبائهم وإنما
هي كلمة كبيرة أخرجوها من أفواههم دون اكتراث بعظم إثمها
وفداحة جرمها لأنها كذب صراح واقتراء بين ، ووصف لله سبحانه
بما لا يليق به (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) .
وفي سورة مريم يذكر الله تعالى أن أصحاب هذه الفرية الباطلة قد

أحدثوا بافتراءهم هذا شيئاً منسكراً فظيماً تسكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولداً ، لأن هذا زعم يقتنافي مع ما ينهى الله عز وجل من التقديس والإكبار ، والتعظيم والإجلال وكيف لا يكون أهلاً لذلك وهو الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحكم وإليه المآب ، إلى آخر ما هو مبثوث في سور القرآن حول تلك القضية الخطيرة من صمغ مختلفة ، وأساليب متنوعة مؤداها كلها أن من ينسبون لله تعالى ولداً في القديم والحديث وثنيين كانوا أو يهوداً أو نصارى كاذبون في دعواهم تلك ، لأن ولادة هذا الولد الزعوم لله - وعز وجل - إن كانت عن طريق التقائه سبحانه بزوجه له ، فهو غير صحيح ، لأنه تعالى منزه عن ذلك [أنى يكون له ولد ولم تسكن له صاحبة] [ما اتخذ صاحبة ولا ولداً] وإن كانت عن طريق الخلق والإبداع فهو سبحانه مبدع السماوات والأرض وخالق كل شيء فلماذا التخصيص بولد واحد دون سائر المخلوقات ؟

وإن كانت عن طريق التولد والصدور الذى قالت به الأفلاطونية الحديثة ، وفلاسفة المسيحية فهو غير صحيح أيضاً ؛ لأنه سبحانه لم يلد أى لم يسبق له أن ولد مولوداً لا عن طريق التزاوج ، ولا عن طريق التولد والصدور [ألا إنهم من إفسكهم ليقولون ولداً لله وإنهم لكاذبون] [لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد] .

آيات الحجاج في سورة آل عمران :

بعد ما ناقش الحق - تعالى - في سورة البقرة وغيرها من القرآن الكريم جميع الذين قالوا اتخذ الله ولداً ، وأبطل زعمهم هذا

بالبراهين القاطعة والحجج المقنعة ، أخذ سبحانه في سورة آل عمران
يناقش النصارى بصفة خاصة في موقفهم من المسيح عيسى عليه السلام ،
وقضية الألوهية والرسالة بشكل عام .

حديث السورة عن قضية الألوهية :

فقرر في الحديث عن الألوهية بادية ذى بدء أنه سبحانه هو الحى
الذى لا يعترى حياته فناء القيوم الذى تخضع لقيوميته وهيمنته الأرض
والسماء ، وما أوجد فيهما من سائر الأشياء ، وأنه هو الذى نزل القرآن
ماتقربا بالحق على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأنزل التوراة والانجيل
على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل هدى لكل من التزم بما جاء
فيهما من تعاليم الله الصحيحة ، وأحكامه السليمة التى لم يشبها
تحريف ولا تبديل .

وأنزل مايفرق به بين الحق والباطل فى كل زمان ومكان من
تعاليمه الصحيحة التى أودعها كلها فى كتابه الخالد الذى تسكفل بحفظه
على مر العصور والأزمان ونشره فى كل بقاع الأرض .
وبين أن للكافرين بهذه الآيات المنزلة من عنده تعالى العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون .

وأنه عز فى علاه لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء .
وأنه هو الذى بصور الناس فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو
العزیز الحكيم .
وأنه هو الذى جعل فى القرآن المحكم والنشابه ليميز بذلك الخبيث

من الطيب (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنه وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون
آمننا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) :

ذكر الرازي عن ابن اسحاق أن النصارى قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم يا محمد ألت تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه ، قال بلى :
قالوا فحسبنا فأنزل الله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه) الآية (١) .

وأنه تعالى جعل من دلالاته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر
عليها غيره وبما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد
في القرآن ومن إقرار الملائكة وأولى العلم له بالوحدانية شاهدا على أنه
الإله الواحد الذي لا إله غيره ولا شريك له في ملكه ، وأنه وحده
هو الذي يقوم بالعدل بين الناس (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

قال ابن جرير : وإنما عني جل ثناؤه - هذه الآية نفى ما أضافت
النصارى الذين حاجوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عيسى من
البنوة ، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا ، واتخاذهم
دونه أربابا ، فأخبرهم الله عن نفسه ، أنه الخالق لكل ماسواه ، وأنه
رب كل ما اتخذوه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وأن ذلك مما يشهد به
هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه . فبدأ - جل ثناؤه - بنفسه

تعظيمه لنفسه ، وتنزيهه لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها ، كما سنلعباده أن يبدؤا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك اه (١).

وقرر سبحانه أنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ويولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، والميت من الحي ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، فكيف يقول النصراني بعد ذلك إن عيسى ابن الله - أو هو - الله - إلى آخر هذه المزاعم الباطلة التي زعموها في حق عيسى عليه السلام (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله مالك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله كل شيء قدير) (١).

وبين سبحانه أنه يعلم ما في الصدور ، والضمائر أبداه أصحابها أم أخفوه ، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض علم إحاطة وشمول ، فكيف يستعجزون لأنفسهم أن ينسبوا إلى الله جل ثناؤه ما لا علم لهم به زورا وبهتانا ؟

كل هذا وغيره مما قرره الله عن قضية الألوهية بحججه القارىء لسورة آل عمران من مفتتحها إلى قوله تعالى : (وما يذكر إلا أولوا الألباب) ١ : ٧ .

(١) تفسير الطبري ط الحلبي ٣ ص ٢١٠ .

(٢) المائدة ١٧ .

ويجده كذلك في قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ١٨ .
وفي قوله سبحانه (قل اللهم مالك الملك) إلى قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) ٢٦، ٢٧ .

وفي قوله عز اسمه (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير) ٢٩ .

حديث السورة عن الرسالة :

وقرر تعالى في حديثه عن الرسالة في هذه السورة الكريمة أنه اصطفى بعض خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يعرفون مهمتهم التي كلفهم بها وهي دعوة الخلق إلى الحق ، وأن هؤلاء الرسل أعدل وأحكم من أن يقولوا للناس - وقد آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة - إلا ما طلب الله منهم أن يقولوه ، وأنه قد أخذ عليهم جميعاً العهد والميثاق أن يصدق بعضهم بعضاً في الحق ودعوة الناس إليه (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعملون الكتاب وبما كنتم تدرسون) ، (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا منكم من الشاهدين) ٧٩ و ٨١ .

وهذا هو العهد الذي حفظه عيسى كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة

(١٣ - السبع)

والسلام ، وسوف يموت عليه بعد نزوله إلى الأرض إن شاء الله تعالى
ويجيب به ربه يوم القيامة ، إقرءوا إن شئتم قوله تعالى في سورة المائدة
[وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله قال سبحانك] إلى قوله [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن
تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم] ١١٦ : ١١٨ .

وأن جوهر ما أرسل الله به رسله واحد لا اختلاف بينهم فيه ،
ولا محيص لأحدهم عن دعوة الناس إليه (إن الدين عند الله الإسلام
وما اختلاف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت
وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمة أسلمتم فإن
أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)
١٩ : ٢٠ .

(أغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا
وكرها وإليه يرجعون ، قل ءامننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ،
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)
٨٣ : ٨٥ .

ذلكم هو جوهر رسالات الله إلى الناس وكتبها فمن صدق
بما جاء به رسول دون آخر فقد كفر ، ومن كفر فعليه كفره ، ومن
أسلم فأولئك تحروا رشدًا .

القول الفصل في عيسى المسيح :

هذا ما كان من الحجاج في قضية الألوهية والرسالة بشكل عام ،
أما ما يتعلق بمناقشة النصارى في موقفهم من المسيح عليه السلام فقد
حسم الله الأمر في هذا الموضوع حسماً لا تقوم معه فيما نرى حجة
للمجادل ، لا من النجراتين الذين جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا من غيرهم ، حيث ذكر سبحانه أطوار قصة عيسى من
أصولها الأولى إلى أن خرج إلى الحياة بشراً سوياً ، ودافع عن أمه
ولما يزل بقعد في المهدي صبياً .

فبين لنا في سورة آل عمران بإيجاز رائع ، وأسلوب بارع ، أنه
اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، سلسلة كلها
مصطفاة لمداية الإنسانية إلى الصراط المستقيم .

فمن آدم الذي اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدهاء يخرج نوح عليه السلام
الذي مكث يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل وبصدهم عن
عبادة الأصنام ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ومن أبي البشر الثاني يخرج
خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي احتفل في سبيل نشر عقيدة
التوحيد الأهوال الجسام ومن أبي الأنبياء يخرج فرعان : أحدهما
إسماعيل ، الذي اصطفى الله منه خاتم الأنبياء محمداً صلى الله عليه وسلم ،
وثانيهما : إسحاق الذي اصطفى الله منه يعقوب ويوسف وداود
وسليمان وموسى وهارون ثم آل عمران الذين كان منهم عيسى عليه
السلام آخر رسل الله وأنبيائه إلى بني إسرائيل (ذرية بعضها من بعض
والله سميع عليم) .

وتنمضي القصة الرائعة بعد ذكر شيء عن السلسلة التي خرج منها عيسى عليه السلام ، فتبين لنا أن امرأة عمران لما أحست بعلامات الحمل وكانت تواقفة إلى الولد — نذرت لخدمة بيت الله وليدها ، فقالت رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً ، فلما وضعت حملها وتأكدت أنه أنثى اعتذرت لربها عن نذرها بقولها ، رب إنني وضعتها أنثى ، وما يستطيعه الذكر من القيام بهذا العمل لا يستطيعه الأنثى .

ثم تعلن حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وزوج جده عمران أنها سمت ابنتها مريم وأنها تعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم ، ويستجيب الله من فوق سبع سماوات ، فيقبل الوليدة بالقبول الحسن وينبتها نباتاً حسناً ويعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم :

روى البخاري بسنده « عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ا.هـ^(١) ويكفل مريم بعد أبيها — بأمر الله — زوج أختها زكريا عليه السلام ، وكان كلما دخل عليها المحراب^(٢) وجد عندها من الرزق ما يثير العجب والاستغراب فيسألها من أين لك هذا ؟ [قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب] .

قال بعض العلماء كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

هكذا عاشت مريم في محرابها ، تتزود بالرزق الطيب يأتيها من عند ربها ، وكلما رأت من العجائب شيئا زادت في صلاحها وتقائها ، لأنها كانت تعلم علم اليقين أن ما يأتيها من العجائب إنما هو بقدرة الله آتائها ، وظلت كذلك حتى بشرتها الملائكة بأغرب بشارة (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة مفه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكملاً ومن الصالحين) .

وبزينا الله توضيحاً لهذه البشارة في سورة مريم حيث يقول (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) قال صاحب صفوة البيان ما خلاصته (انتبذت) أى اعتزلت وانفردت للتخلي للعبادة مبتعدة عن الناس في مكان بلى شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها متخذة من دونهم ساتراً (فأرسلنا إليها روحنا) أى جبريل عليه السلام ليمسرها بالكلام ولينبئ فيها فتجمل به ، والإضافة للتشريف كبيت الله - (فتمثل لها بشراً سوياً) أى في صورة إنسان معتدل المخلقة كامل البنية ، لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ، ولوبدا لها في الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مكالمته .

(إن كنت تقيا) أى إن كان يرجى منك تقوى الله فإن عائذة

(١) المهراب هو غرفة في بيت المقدس ، لا يصعد إليها إلا بلم ، أو ذو مسجد . وكانت مـاجدم تسمى المحارب ، وسمى محراباً لأنه محل محاربة الشيطان والهوى .

به منك وهو كقول القائل : إن كنت مؤمناً فلا تظلمني اه (١)

وتعجب مريم من تلك البشارة ، فتسأل ربها كيف يكون لي ولد
ولست ذات زوج . ولم أك بغياً ، ويأتيها الجواب من قبل الله مزيلاً
تعجبها واستغرابها ﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما
يقول له كن فيكون ﴾ ﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية
للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ وبينما كانت مريم تستقبل البشارة
بميسى عليه السلام وهي في غاية العجب والاستنكار كان كافلها زكريا
الذي كانت امرأته عاقراً وقد بلغ من الكبر عتياً يستقبل هو الآخر
البشارة ببيحي مصداقاً بكلمة من الله أى بميسى عليه السلام سيداً وحسوراً
ونبيك من الصالحين ، وبأمر الله — وحده — حملت مريم بميسى
من نعمة الملك وبأمر الله وحده حملت أختها الماقر (٢) ببيحي من
زكريا الذى بلغ سنناً لا ينجب فيها عادة أمثاله .

بنفس قدرة الخالق الذى أبدع السماوات والأرض دونما مثال
وخلق آدم من الطين ونفخ فيه من روحه فصار أباً لمن على الأرض من
نساء ورجال .

بنفس تلك القدرة حملت مريم بميسى دون ما أب ، وحملت أختها
بيحي رغم الكبر والعقم ، فسبحان من له الخلق والأمر وهو على كل
شئ قدير . ويكمل الله قصة حمل عيسى وميلاده في سورة مريم فيذكر

(١) صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسين مخلوف ج ٢ دار الكتاب العربي بعصر

(٢) هذا جرياً على الرأى القائل بأن أم يحيى أخت مريم ، وأن يحيى وعيسى ابنه
الحالة وهو ما قالت به السنة الشريفة في حديث الإسماء .

أنها لما حملته اعتزلت به في مكان بعيد خلف الجبل ، وظلت في هذا المكان حتى حات لحظة الميلاد فأجأها الخاض إلى جذع نخلة كان في هذا المكان . فاستندت إليه ووضعت — بأمر الله — وليدها وهي في غاية الحزن والألم مما ستقاسيه من ألسنة الناس ﴿ قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ .

عندئذ ناداها ابنها عيسى من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحمك جدولاً بالماء رقراقاً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيماً^(١) فكل واشربي واطمئني غاية الاطمئنان فسيبرى الله ساحتك من كل إفك وبهتان ، ولا تكفي نفسك عناء الحديث مع الناس في هذا الأمر وليمكن حديثك قاصراً على مناجاة الله والملائكة ، وقولي بالإشارة لمن يريد الحديث معك من البشر إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً .

فلما أحست بالطمأنينة تمسلاً نفسها وعرفت أنه من الممكن أن يدافع عنها وليدها وهو في مهده كما كلمها قبلاً محققاً بذلك بشارة الملائكة لها خرجت به على الناس ، فقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريباً ، يا أخت هارون في الصلاح والعبادة كيف فعلت هذا المنكر الفظيع ؟ وأبوك ما كان امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ، فأشارت إلى ابنها أن أسأله ولم تقل شيئاً ، قالوا كيف تكلم من كان في المهـ صبيـاً ؟ هـندئذ أنطق

(١) قال بعض العلماء روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فبرزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخصوا ورطباً وهذا يدل على براءة ساحتها لأن مثله لا يحدث في فواحش ، وعلى قدرة الله أن يجعلها تحمل بدون حمل .

الله الوليد في مهده مرة أخرى فوصف نفسه بثماني صفات أولها العبودية لله سبحانه وآخرها تأمين الله له في أخوف المقامات ، وكل واحدة منها تقتضي تبرئة ساحة أمه من الفواحش والمنكرات ، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى [فحملته فانتبذت به مكانا قصيا] إلى قوله سبحانه (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) ٢٢ : ٣٣ .

ولما كان كلامه في المهد وما أجرى على يديه بعد الرسالة من معجزات قد يوقع بعض الناس في الوهم والالتباس ، فيظنون أنه إله ، أو ابن إله بين الحق سبحانه في سورتي آل عمران والمائدة أنه مستمد ذلك كله من ربه عز وجل ، فهو الذي علمه الكتابة والحكمة والتوراة والإنجيل ، وهو الذي أرسله إلى بني إسرائيل ، وهو الذي جعله يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .

ويبريء الأكمة والأبرص ، ويحيى الموتى باذن الله ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وهو الذي كف عنه بني سرائيل حين أرادوا أن يصلبوه .

هذا ما بشر الله به مريم عن وليدها قبل خروجه إلى الحياة ، وما مكن الله منه عيسى بعد أن صار نبيا يدعو الناس إلى عبادة الله ، فلا مجال إذن لمغالاة المغالين بقولهم عن عيسى إنه إله أو ابن إله .

(إن في ذلك لآية لـكم إن كنتم مؤمنين)

وكيف يستجيز أحد لنفسه أن يرفع عيسى إلى مرتبة الألوهية بعد أن يعرف أنه قال عن نفسه ما سجله الله عنه في القرآن من قوله في سورة

آل همران ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأهل لکم بمعض الذي حرم علیکم وجئتکم بأية من ربکم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربی وربکم فاعبدوه هذا صراط مستقیم﴾ (٥٠، ٥١)

وقوله فی سورة المائدة ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربی وربکم وکنت علیهم شهيداً ما دمت فیهم فلما توفيتني کنت أنت الرقيب علیهم وأنت علی کل شیء شهيد﴾ (١١٧)

وقوله فی سورة الصف ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليکم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾

هذا ما كان من شأن عيسى وأمه وأصوله الأولى فی بعض الأطوار أما ما كان من أمره مع بني إسرائيل بعد ما أرسله إليهم فإنه علیه السلام لما أحس منهم الکفر قال من أنصاري إلى الله فأعلن الحواريون مناصرتهم لله ولرسوله وقالوا ربنا آمنا بما أنزلت وانبعنا الرسول فاکتبنا مع الشاهدين ، وأعلن أعداؤه محاربتهم فکادوا له وتآمروا علیه ولكن الله أبطل كيدهم ومکرمهم ، ورفعهم إليه وتركهم فی ضلالهم بعمهون .

﴿وما قتلوه یقیناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزیزاً حکیماً﴾ .

هذه قصة عيسى علیه السلام منذ كانت أمه حملاً فی بطن أمها إلى أن رفعه الله إليه ونجاه من الخطاة الآثمين ، أوحاها إلى نبيه محمد

صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين آية من سورة آل عمران ^(١) وفي نحو من ثمانى عشرة آية من سورة مريم ^(٢) حاسما بها القول في أمر عيسى عليه السلام لمن جادلوه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ .

﴿ ذلك نغلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ .

فما زاد عيسى في الخلق عن آدم ، هذا من تراب كان بكلمة الله بشرا سويا ، وهذا من نفخة الملك كان بكلمة الله بشرا سويا .

﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ هذا يا محمد هو القول الفصل في عيسى ﴿ فن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم ﴾ .

أى فمن جادلك يا محمد في شأن عيسى . من بعد ما جاءك من العلم بأنه بشر لا يستحق الألوهية ، كما هو شأن آدم الذى هو أعجب منه خلقا ، فترك مجادلتهم فهم مقلدون معاندون معرضون عن الحق بعد وضوحه ، وأخفهم فقل لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم يبهل كل منا إلى الله تعالى

(٢) الآيات من ١٦ : ٣٣

(١) الآيات من ٣٣ : ٦٣

ويدعوه أن يجعل لعنته على الكاذبين منا ، وسوف يحقق بهم العذاب إن هم ياهلوا لأن ما قصصنا عليك من أمر عيسى لهو القصص الحق الذي لا زيف فيه ، والصدق الذي لا كذب فيه ، المطابق للواقع الذي لا يصح العدول عنه إلى ما عليه النصارى في شأن عيسى من أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، والحق أنه ما من إله إلا الله فلا شريك له في ملكه ، بأى وجه من الوجوه ، ولا معبود بحق سواه وإن الله لهو الغالب الذي يقهر ولا يقهر المتقن لما يصنعه ويدبره .

وقد حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخبر وفد نجران بها ودعاهم إلى الغدو في اليوم التالي ومعهم نساؤهم وأبنائهم . وحضر الرسول في الموعد ، ومعه الحسن والحسين ، وفاطمة وعلى فلم يجدهم ، فقد تشاوروا فيما بينهم ، فقالوا للعاقب وكان صاحب رأيهم يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرقتم أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أبيتهم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم : قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك وأن نرجع على ديننا ، ولسكن أبعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا : يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا ، فأمر أبا عبيدة أن يخرج معهم ، ويقضى بينهم

بالحق فيما اختلفوا فيه^(١) .

وروى البخارى عن حذيفة قال جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناهما قال فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قال إنا نعطيك ما سألتنا وابتعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة اه^(٢) . ثم أمر - الله - تعالى نبيه بعد ذلك أن يدعو أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى عبادة الله وحده فقال سبحانه .

« قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » اه^(٣) .

وبعد فقد طوفنا بك أيها القارئ الكريم في إحدى حدائق الفرقان ، في نيف وثمانين آية أنزلها الحق سبحانه في صدر سورة آل عمران ، رداً على من جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى من

(١) كذا ذكره الرازى في تفسيره ج ٢ ط المطبعة الحسينية بصرى ص ٣٨٨ ، وجاء نقلاً عن القرطابى في التفسير الوسيط للجنة من العلماء ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ج ٣ ص ٥٨٥ .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ط المطبعة الأميرية ص ١٧٢ .

(٣) آل عمران آية ٦٤

نجران ، وبرهانا على بطلان دعوى تألية المسيح وبنوته لله عز وجل
في كل زمان ومكان .

آيات الحجاج في سورة النساء :

لا يسكاد القارئ ينتهي من قراءة ما جاء عن عيسى عليه السلام
في سور آل عمران وما شابهها في ذلك من سور القرآن ، حتى تطالع
سورة النساء بمدة نداءات إلهية هي في مجموعها أشبه ما تكون بقوانين
كلية ، يستنبط منها الدارسون للقرآن ما تحتاج إليه الأمم من وسائل
تنظيمها في أهم شئونها أسرية كانت ، أو اجتماعية ، دينية كانت أو
سياسية إلى غير ذلك من تلك الشئون الكثيرة التي عفت سورة النساء
برسم المنهج القويم لها ، والنظام الحكيم لإدارتها وتديرها

من تلك النداءات ما خص الله به اليهود والنصارى ، تارة بقوله
(يا أيها الذين أتوا الكتاب) وأخرى بقوله (يا أهل الكتاب)
وفد ناداهم الحق بهذا الوصف مرتين ، لبيان أن للمنادين به صلة وثيقة
بالوحي السماوي ، والهداية الإلهية عن طريق الكتاب الذي أوتوه
وصاروا أهلا له ، وفيه تقرير الحق في الألوهية ، وما لله من أوصاف
الجلال والجمال ، التي تأبى الحلول والاتحاد ، كما تأبى البنوة التي
زعموها لبعض رسله الكرام ، وفيه الآيات الواضحات على أن رسولا
يأتى بعد التوراة والانجيل ، مصدقا لما فيهما من أصول الدين وأركان
الهداية ، وإذن يسكون إعراضهم عن رسالة هذا الرسول الذي جاء
مصدق لما معهم وغلوهم في رسولهم ، وقد دعاهم إلى توحيد — الله —

وتنزيهه عن الوالد والولد يكون هذا وذاك غير ملائم لاتصافهم بذلك الوصف وهو أنهم أهل الكتاب ، ويكون موقفهم من الرسول ورأيهم في الألوهية مما لا يتفق ونسبتهم إلى الكتاب فهو يسجل عليهم بالذراء المذكور هذا الانحراف ، كما يسجل عليهم به عدم أهليتهم لهذا الانتساب ويبرزهم في صورة عجيبة ، يدعون أنهم أهل كتاب أو هم أهل كتاب ، ثم ينكرون ما يقرره ذلك الكتاب .

تناقض يثير العجب ، ويرد عقلاءهم إلى تدبر شأنهم حتى يصححوا موقفهم في نظر أنفسهم ، وفي نظر العقلاء جميعاً أ . هـ (١) بتصرف .
دعوة اليهود إلى الإيمان الصحيح :

فأما اليهود فقد دعاهم الحق سبحانه ، إلى الإيمان الصحيح بقوله ﴿ يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلغنها كما لغنا أصحاب السيت وكان أمر الله مفعولاً ﴾ (٢) .

إرشاد النصارى إلى العلاج السليم :

وأما النصارى فقد أرشدتهم العليم الحكيم إلى الدواء الناجع والعلاج السليم ، لما أصاب عقيدتهم من التحريف والتزييف ، فقال سبحانه ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ حقاً إن غلو المسيحيين في شأن المسيح عليه السلام لما عرفوا عنه من خوارق العادات في ميلاده ، ونشأته

(١) أنظر تفسير العشرة أجزاء الأولى للشيخ شلتوت ط دار القلم ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

(٢) النساء : ٤٧

وما أجرى الله على يديه من معجزات ولما قرءوا في كتبهم الأولى من العبارات الموهمة كآلاب ، والإين ، وما إلى ذلك هو الذى دفعهم فى الحقيقة إلى الاعتقاد بأن عيسى ابن الله - وبأنه إله مع الله إلى آخر ما جاء فى عقيدتهم الثالوثية التى أسست قواعدها فى نحو القرن الثالث الميلادى ، فلا علاج إذن لهذا الداء الوبيل إلا بترك المغالاة فى أمر عيسى عليه السلام ، والعودة إلى تأمل ما لله فى كونه من إبداع وإحكام ، بدءاً بآدم عليه السلام الذى خلقه الله من تراب دون ما أب ولا أم ، وانتهاء بعيسى الذى أوجده الله من أم دون ما أب ، وبهذا تكون القدرة الإلهية قد احتوت جميع القسمة العقلية لخلق البشر ، لأن الإنسان إما أن يكون قد خلق بلا أب ولا أم ، وهذا ينطبق على آدم عليه السلام ، وإما أن يكون قد خلق من أب دون أم وهذا ينطبق على حواء كما جاء فى سفر التكوين ، وإما أن يكون قد خلق من أب وأم وهذا ينطبق على سائر البشر ، وإما أن يكون قد خلق من أم دون أب وهذا ينطبق على عيسى عليه السلام .

فن الغلو فى الدين أن يلم المسيحيون بالثلاثة الأول ، ولا يسلّموا بالقسم الرابع مع أنه ليس بمعزيز على قدرة الله وسلطانه .
ومن الغلو فى الدين أيضاً أن يؤولوا ما جاء فى العهدين القديم والجديد ، من وصف غير عيسى بالبنوة لله بالعبودية ، ويحملوا هذا الوصف لعيسى على ظاهره فيقولوا هو ابن الله حقاً .

قال القاسمى :

والذى أوقعهم ﴿ يعنى المسيحيين ﴾ فى هذه المهلكة الوخيمة ،

والورطة الجسيمة ، ما ورد موها من ألفاظ الإنجيل كالآب والإبن ، فلم يحملوها على ما أريد منها ، وحملوها على ظاهرها ، فضلوا وأضلوا .

وفى « منية الأذكياء » ما نصه : وأما ما ورد فى الإنجيل للوجود الآن ، من إطلاق ابن الله على عيسى عليه السلام ، فهو لما لم يكن مما حرف يكون مجازا ، بمعنى ابن الحبة ، كما يقال : فلان من أبناء الدنيا ، ونظير ذلك قول عيسى عليه السلام لليهود ، حين ادعوا أن لهم أباً واحداً هو الله : ﴿ لو كان الله أباً لكم لكنتم تحبوننى ﴾ ثم قال لهم ﴿ أنتم من أب هو إبليس : وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ﴾ ادعت اليهود أن الله تعالى أبوهم أى أنهم مطيعون له ، ولا يخفى أن الابن والآب هنا مجازان ، وقد كثر إطلاق اسم الآب على الله تعالى ، واسم الابن على العبد الصالح ، فى الكتب السالفة فهو إما من الخلط فى الترجمة ، وإما مؤول بما ذكرنا ، فلا تغفل لئلا تترك منع من هذا الإطلاق فى الملة المحمدية بالكلية ، تحرزا من الإيهام والوقوع فى شرك الأوهام اهـ (١) .

ولما كان الغلو فى الدين آفة الآفات فقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على وقاية المسلمين منه فقال :
« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله » اهـ (٢)

(١) تفسير القاسمى ط عيسى الحلبي ج ٥ ص ١٧٦٨

(٢) صحيح البخارى ج ١ ط المطبعة الأميرية ص ١٦٧ .

وقال تعليقا على قول من قال له عليه الصلاة والسلام يا محمد ياسيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا .

(يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا همد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلى — الله — عز وجل) ١ . هـ (١) .

ولما كان الغلو في الدين كذلك يفضى بأصحابه إلى وصف الله تعالى بالباطل ، قرن سبحانه النهى عنه بقوله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أى لا تغلوا في دينكم فترفعوا عيسى فوق منزلته ، ولا تنزلوا بالله عن قدره فتصنفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ صاحبة والولد بل نزوه عن جميع ذلك .

حقيقة عيسى عليه السلام

ثم بين لهم الحقيقة التي اختلفوا فيها أمداً طويلا ، وأعمام الغلو عن معرفتها وتفهم كتبها .

فقال : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) أى ما المسيح ابن مريم إلا عبد الله ورسوله تكون في بطن مريم العذراء وخرج من رحمها طفلا كسائر الأطفال بكلمة الله التي هي كن (وروح منه) أى بتخليقه وتكوينه كسائر الأرواح المخلوقة ، وإنما أضافه سبحانه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كبيت الله ، وناقة الله . وقيل : الروح هو نفخ جبريل عليه السلام

(١) كذا ذكره بن كثير في تفسيره ج ٢ ط الشهاب ص ٤٣٠ نقلا عن مسند الامام أحمد (١٤ - المسيح)

في جيب درع مريم ، فحملت باذن الله وسمى النفخ روحا لأنه ربح
تخرج من الروح ، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه وجد ابتداء بأمره تعالى
وإذنه ، وقبل غير ذلك مما بيناه بالتفصيل في الباب الأول من هذا
الكتاب (١)

دعوة النصارى إلى الإيمان الصحيح

ثم دعاهم الحق تعالى إلى الإيمان بالله ورسله الذين منهم عيسى
عليه السلام وإفراد الله بالوحدانية ، وعدم القول بالثلاث والولدية
له سبحانه فقال (فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة) انتهى خيرا
لحكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له مافي السموات
ومافي الأرض وكفى بالله وكبيلا) أى فصدقوا بالله وخصوه بالألوهية
وآمنوا بجميع رسله ولا تخرجوا بعضهم عن سلك الرسالة إلى مرتبة
الألوهية ولا تقولوا إن الله واحد بالجواهر ، ثلاثة بالأقانيم فتسفهوا
أنفسكم بترك التوحيد الخالص الذى هو ملة إبراهيم وسائر الأنبياء
عليهم السلام ، والقول بالثلاث الذى هو عقيدة الوثنيين الطغاة ثم تدعوا
الجمع بين الثلاث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وهو تناقض تحيله العقول
ولا تقبله الأفهام .

قال الرازى : واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً والذى يتحصل
منه أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة إلا أنهم وإن سموها
صفات ، فهى فى الحقيقة ذاتا بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول فى عيسى

(١) واجمع المثال الخامس من الشبهة الرابعة ص ١١٠ ، ١١٦ ط مطبعة الأمانة

وفى مريم بأنفسها ، وإلا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يشبّهون ذوات متعددة ، قائمة بأنفسها وذلك محض الكفر ، فلهذا المعنى قال تعالى ولا تقولوا ثلاثة ١ هـ (١)

أو ولا تقولوا الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ، فقد حكى ذلك عن فرقة قديمة منهم يقال لها (كولى رى دينس) وأمل هذا كان مكتوباً في نسخهم ، وقد كذبهم الله في هذا الزعم أيضاً بقوله سبحانه (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه) وسيأتى لهذا الموضوع مزيد بيان إن شاء الله - عند مناقشتنا للبابا شنودة في محاضراته عن الثلث والتوحيد .

وسواء أكان المراد من الآية هذا أم ذاك فإن القول بالثلث يفضى إلى الكفر الصراح ، لذا قال الله عز وجل لدعاة الثالوث جميعاً كيفما كانت آراءهم في الثلث (انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد) أى انتهوا عن الثلث واقصدوا خيراً منه وهو التوحيد إنما الله عز وجل إله واحد بالذات ، لا تعدد فيه بوجه ما .

ثم نزه الحق نفسه بقوله (سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا)

أى تنزه الله سبحانه وتقدس عن أن يكون له ولد وهو المالك للسموات والأرض وما فيهما والمالك لهذا كله مالك بالضرورة لعيسى

(١) تفسير الفخرى الرازى ج ٣ ط المطبعة الحسينية : مصر ص ٣٨٤

وأمه لأنهما مما فى الأرض ، فمن العبث أن يوصف عيسى وهو المملوك
لله سبحانه بأنه ابن الله أو إله مع الله — تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً .

ومن عجب أن يؤله المسيحيون عيسى عليه السلام ويدعوا بنوته
للحق سبحانه مع أن عيسى نفسه لا يستمكنف أن يكون عبداً لله لا هو
ولا الملائكة المقربون (لن يستمكنف المسيح أن يكون عبداً لله
ولا الملائكة المقربون ومن يستمكنف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه
جميعاً) .

آيات الحجاج فى سورة المائدة :

وتختتم سورة المائدة هذا الحجاج المتمتع الرائع الذى وردفيا قبلها
من سور القرآن .

أخبار عن أهل الكتاب تؤكدها سورة المائدة :

فقد ما جاء فى البقرة وآل عمران ، والنساء من أن أهل الكتاب
قد نقضوا موافيقهم وحرقوا الكلام عن مواضعه ، وتضيف أنهم نسوا
حظاً مما ذكروا به وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن
ابن عباس وغيره فجزاهم الله على ذلك بطرد اليهود من رحمته سبحانه
وتقسية قلوبهم وإغراء العداوة والبغضاء بين النصارى إلى قيام الساعة
وأخبر بأنه سبحانه سوف ينيبهم بما كانوا يصنعون (فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظاً مما
ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم

واصفح إن الله يحب المحسنين ، ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون^(١)

النداءات الإلهية في أهل الكتاب في السورة :

وتصدر السورة الكريمة خمس نداءات إلهية لأهل الكتاب ، نخيرهم في أولها وثانيتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاءهم ببين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب الذي أخذ الله عليهم الميثاق ببيانه للناس وعدم كتمانهم^(٢) كالإشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل وغير ذلك ويعفو عن كثير مما أخفوه فلا يفضحهم ببيانه وبأن هذا النبي العربي الأُمى الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل قد جاءهم ببين لهم على انقطاع من الرسل ، وطول عهد بغياب الوحي جميع ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ، وما يصلح به أمر دنياهم من العقائد الحقّة التي أفسدتها عليهم نزعات الوثنية ، والأخلاق والآداب الصحيحة التي أفسدها عليهم الإفراط والتفريط في الأمور المادية والروحية ، والعبادات والأحكام التي تصلح بها أمورهم الشخصية والاجتماعية .

جاء يبين لهم هذا وذلك مما تقاصرت عن معرفته همم أحبارهم

(١) المائدة : ١٣ ، ١٤

(٢) اقرأوا في ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لنبيينه للناس ولأنكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يعثرون) ١٠٧

ورهبانهم قطعاً لمذرتهم ، ومنعاً لقولهم يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءهم البشير النذير بما عرفوه وما لم يعرفوه مع أنه أُمى لا يقرأ ولا يكتب .

الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على أنه نبي الله حقاً ورسوله صدقاً ، والله على كل شيء قدير ، فلا يعجزه أن يرهبهم صدق نبيه يفصر دعوته وإعلاء كلمته عليهم فى الدنيا ، ليقبسوا على ذلك إن عقلوا ما يكون من الأمر فى الدار الأخرى .

[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين]^(١) .

[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير]^(٢)

وتنعى السورة الكريمة على أهل الكتاب فى ثالث هذه النداءات أنهم عابوا على المسلمين وأنكروا عليهم إيمانهم الصادق بالله وتوحيده وتنزيهه وإثبات صفات الكمال له ، وإيمانهم الكامل بما أنزله إليهم من القرآن الكريم وبما أنزله من قبل على رسله من الكتب الأخرى ، مبيناً أن السبب فى ذلك هو فسق أكثرهم وانحرافهم عن الصراط

(١) المائدة : ١٥

(٢) المائدة : ١٥ .

للسقيم (قل يا أهل الكتاب هل تفعمون منا إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون)^(١)

وتبين لهم في النداء الرابع أنهم ليسوا على شيء يعتقد به من أمر الدين ، ولا ينفعهم انتسابهم لعيسى وموسى والنبيين ما لم يقيموا التوراة والإنجيل الحقيقيين فيما دعيا إليه من التوحيد الخالص والعمل الصالح ، وفيما بشرأ به من بعثة النبي الذي يحيى من ولد إسماعيل ، والذي عبر عنه المسيح عليه السلام بروح الحق وبالبارقليط ، وما أنزل إليهم وإلى سائر الناس من الله تعالى على لسان نبيه محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القرآن المجيد ، لأنه هو الذي كمل به دين الأنبياء والرسالين .

(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم)^(٢) .

وتؤكد في نداءها الخامس ما جاء في سورة النساء من نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين إلا أنها لا تتبع هذا النهى يفهمهم عن قول الباطل في حق الله سبحانه كما سبق في النساء بل تتبعه بنهيمهم عن إنباع أهواء ذوي الأهواء ، من أرباب الديانات الباطلة ، والمذاهب الفاسدة حتى لا يضلوا كما ضلوا .

(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء

(١) المائدة : ٥٩ .

(٢) المائدة : ٦٨ .

قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل^(١)
أخبار عن عيسى عليه السلام تؤكد سورة المائدة :

ثم تؤكد السورة الكريمة بعد ذلك ما جاء في سورة البقرة من أن
الله عز وجل قد أيد عيسى عليه السلام بروح القدس ، وروح القدس
هو ملك الوحي الذي يؤيد الله به الرسل بالتعليم الإلهي والتمثيت في
المواطن التي من شأن البشر أن يضعفوا فيها ، قال تعالى في شأن القرآن
(قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى
وبشرى للمسلمين)^(٢) .

فالروح جبريل ، والقدس هو الله عز وجل وأضافه لنفسه تعظيماً له
أو المراد بروح القدس ما خص الله به عيسى من الروح الطاهرة النيرة ،
الطيبة الخيرة ، وهذه الروح العلوية الذكية هي التي أيد الله بها المؤمنين
كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان
وأيدهم بروح منه)^(٣)

وكما أكدت هذا المعنى فقد أكدت ما جاء في سورة آل عمران
من وصف عيسى عليه السلام حين بشر الله به أمه بأنه سيكلم الناس في
المهد وكهلاً إلى آخر ما وصفه الله به من الصفات الطيبة العجيبة التي هي
من خوارق العادات .

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) المائدة : ٧٧ .

(٣) النحل : ١٠٢ .

دلالة قصة المائدة على عبودية عيسى لله تعالى :

ثم تنفرد السورة الكريمة بذكر قصة المائدة فتبرز ما دار بشأنها من حوار بين الحواريين وعيسى عليه السلام ، يدرك المتأمل فيه أن عيسى مرئوب لله سبحانه وأن أنصاره كانوا يعرفون ذلك وإن بدا البون بينه وبينهم شاسعاً في أغراض كل منهما من طلب المائدة وسؤالها .

فأما الحواريون فقد قدموا الأغراض الدنيوية حيث قالوا (نريد أن نأكل منها) وأخروا الأغراض الدينية حيث قالوا (وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا ونكون عاينها من الشاهدين)

وأما عيسى عليه السلام فقد قدم الأغراض الدينية واهتم بها حيث قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك)

وأخر الأغراض الدنيوية حيث قال (وارزقنا) ولم يقف عند هذا الغرض الدنيوي بل سرعان ما انتقل من الرزق إلى الرازق حيث قال (وأنت خير الرازقين) .

« فقوله ربنا » ابتداء منه يذكر الحق سبحانه وتعالى ، وقوله أنزل علينا انتقال من الذات إلى الصفات ، وقوله تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها صادرة عن النعم ، وقوله وآية منك إشارة إلى كون هذه المائدة دليلاً لأصحاب النظر والاستدلال ، وقوله وارزقنا إشارة إلى حصص النفس وكل ذلك نزول من حضرة الجلال فانظر كيف

ابتدأ بالأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأدون فالأدون ثم قال وأنت خير الرازقين ، وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق ومن غير الله إلى الله ومن الأخس إلى الأشرف .

وعند ذلك تلوح لك سمة من كيفية عروج الأرواح المشرقة النورانية الإلهية ونزولها اللهم اجعلنا من أهله « ١٠ هـ ^(١) .

ما سيكون من أمر عيسى يوم القيامة :

ولم يقف القرآن الكريم بالباحثين فيه عند هذا الحد من أمر عيسى عليه السلام ، بل جاوزه إلى الحديث عما سيكون من أمره عليه السلام حين يوقف بين يدي الله يوم القيامة فيسأله ربه عز وجل « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » ويخبر الله عز وجل في القرآن خبر الصدق الذي لاشك فيه بأن عيسى عندما يسئل من ربه هذا السؤال سيجيب ربه قائلاً :

« سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أدلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » إلى أن يقول « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

ويعقب الحق بقوله سبحانه « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداء رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » .

ويؤكد ما ذكره في القرآن مراراً من أنه مالك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير .

حكم الله على المغالين في عيسى عليه السلام :

من منطلق ما ذكره الله - عز وجل - لأهل الكتاب في سور القرآن المختلفة من إرشاد وتعليم ، وتوجيه وبيان ، وإبراز لقدرة الله سبحانه بما يسموا به عن اتخاذ الولد من صاحبة أو من غير صاحبة ، وعن مشاركة أى من المخلوقات له في الملك ، بل هو الواحد الذى لا شريك له وهو على كل شيء قدير ، يخلق ما يشاء بواسطة وبغير واسطة ، لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

من منطلق هذا كله جاء حكم الله قاطعاً في ثلاثة مواضع من سورة المائدة بكفر المغالين في أمر عيسى عليه السلام .

فقال تعالى في موضعين منها :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »^(١) .

وقال في الموضع الثالث « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث

ثلاثة »^(٢) .

والتأمل في نصوص ذلك الحكم يجد أنها قد صدرت بلام القسم الدالة على التأكيد ، وبقد الدالة على التحقيق ، فكفر أرباب هذه العقيدة وحملوا ثنائها أمر مؤكد محقق لا شك فيه .

وقد استقصى الحق سبحانه في هذه الآيات كل أبعاد عقيدة التثالوث

والوهية المسيح على اختلاف أصحابها فيها ، فالذين قالوا قديماً إن أقنوم
الكلمة اتحد بعيسى فصار عيسى بهذا الاتحاد إلهاً ، أو إن مريم ولدت
إلهاً على معنى حلول الله في ذات عيسى واتحاده به عليه السلام كاليومقونية
وأمثالها كافرون لأنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .

والذين يقولون حديثاً إن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية
الجوهر : الله الآب ، والله الابن ، والابن عندهم هو عيسى دون
ما جدال والله الروح القدس ، كافرون أيضاً لأنهم قالوا إن الله هو
المسيح ابن مريم .

ولما كانت طبيعة الله كما زعموا عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية
الجوهر ، يطلقون على كل واحد منها اسم الله ، وكان هذا يعنى بالضرورة
أن كل أقنوم منها إنما هو واحد من الأقانيم الثلاثة حكم الله
بكفرهم من هذه الزاوية أيضاً فقال « لقد كفر الذين قالوا إن الله
ثالث ثلاثة » أى كفر القائلون بأن الله واحد من ثلاثة سواء أكان
الثلاثة هم الآب ، والابن والروح القدس كما يقول المسيحيون في عصرنا
هذا ، أم كانوا الله وعيسى ، وأمه كما قاله قديماً فرقة كولى رى دينس
وأمثالها ممن بين الله مذهبهم هذا في قوله (وإذ قال الله يا عيسى ابن
مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك)
وكذا يتدرج في هذا الحكم أرباب التثليث الوثني الذين أخذت
عنهم فكرة التثليث المسيحي .

وبهذا يكون الحكم في الآية الكريمة قد شمل جميع المثليين
وثنيين كانوا أم مسيحيين ، قدامى كانوا أم محدثين .

تعليمات مسيحية على الآية الكريمة وردھا :

قال البابا شنودة في محاضرة له حول التثليث والتوحيد ، ردا على من سأله عن معنى قول الله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

نحن لم نقل : إن الله ثالث ثلاثة ، ومن يقل بمثل هذا فهو كافر نحن لا نقول بثلاثة آله ، الله واحد منهم ، ولكن نقول : هو إله واحد له ثلاثة أقانيم ا . هـ . (١)

ونحن نقول ردا على صاحب هذا الكلام وأمثاله إنكم أطلقتم على كل أقنوم من تلك الأقانيم الثلاثة اسم الله فعندكم الله الآب ، والله الإبن والله الروح القدس ، وعلى هذا فالله الآب ثالث ثلاثة هم الآب ، والإبن والروح القدس ، والله الإبن ثالث هذه الثلاثة أيضاً ؛ وكذلك الله الروح القدس لأن أى واحد من ثلاثة هو ثالث لهذه الثلاثة سواء أكان هذا الواحد فى أول الثلاثة أم فى وسطها ، أم فى آخرها ، فأى أقنوم عندكم هو الله ، وهو ثالث ثلاثة أى واحد من الأقانيم الثلاثة .

فكيف يستعجز المحاضر لنفسه أن يجيب سائله بمثل هذا الكلام؟ .

هذا وقد ذكر الحق سبحانه من الأدلة المقنعة ، والبراهين الساطعة

عقب كل نص من نصوص ذلك الحكم وما يقطع به معارضة المعارضين فيه ، فبين إثر النص الأول (٢) أنه المالك للسموات والأرض وما بينهما والقادر على أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ، وعلى

(١) التثليث والتوحيد محاضرة للبابا شنودة مسجلة بصوته ومحفوظه عند المؤلف .

(٢) المراد بالنص الأول آية ١٧ من سورة المائدة .

أن يخلق ما يشاء كيفما شاء لأنه على كل شيء قدير ، فكيف يتأتى لأحد أن يجترأ على الجلال الإلهي ، فيضفي صفة الله سبحانه على واحد من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

اقرأوا إن شئتم قوله سبحانه « قل فمن يملك من الله شيئاً » إلى قوله « والله على كل شيء قدير » .

وبين عقب النص الثاني ^(١) أنهم بينما يقولون إن الله هو المسيح ابن مريم يقول المسيح عن نفسه لمن أرسله الله إليهم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، فأنا مريوب لارب ، وأنا عابد لا معبود « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

وبين بعد النص الثالث ^(٢) أن الحق الذي تشهد به الآثار ، وينطق بصدقه تعاقب الليل والنهار ، وتدل عليه سائر الأخبار أنه ما من إله إلا إله واحد ، وأن دعاة التثليث في القديم والحديث آمنون في دعواهم تلك ، وإن كثر عددهم وبسط عيشهم وإن لم ينهوا عن إثمهم هذا ليسنهم من الله العذاب الأليم ، أفلا يتقون إلى الله من هذا الكفر الصراح ، ويستغفرونه من هذا الإثم العظيم ، إنهم إن فعلوا ذلك وجدوا الله غفوراً رحيماً .

ثم يبين الحق سبحانه أن المسيح الذي جعلوه إلهاً وثالث ثلاثة أقانيم اختلقوها ، أو آلهة زعموها ليس إلا رسولا قد خلت من قبله

(١) المراد بالنص الثاني آية ٧٢ من سورة المائدة

(٢) المراد بهذا النص آية ٧٣ من سورة المائدة .

الرسول وأمه صديقة صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ولم يخرجها في شأنهما كله عن سائر الناس فهما يأكلان الطعام كما يأكل الناس ويحدثان الحدث كما يحدث الناس وينامان كما ينام الناس ، وبسقيظان كما بسقيظ الناس .

والذات الإلهية منزهة عن ذلك كله — فالله يرزق ولا يرزق (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)^(١) وهو يطعم ولا يطعم (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)^(٢) وهو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)^(٣)

فكيف يستبيح عاقل لنفسه أن يصف من يستيقظ وينام وبأكل الطعام بصفة من هو منزّه عن هذا كله ، أليس في تصديق مثل ذلك إهانة للعقول والافهام (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون) وبعد ... فهذا بعض ما أنزل الله فى حجج المصالح من القرآن (يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

(فن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وها هو الرسول قد جاء فأكل الله به الدين وأنتم به النعمة وارتضى سبحانه

(٢) الأنعام ١٤

(١) الداريات ٦٨

(٣) البقرة ٢٥٥

للعالم كله الإسلام ديناً ، وانقطعت ببعثته صلى الله عليه وسلم سائر
المعاذير فلا عذر لمن لم يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب
والنبيين من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء
 والمرسلين .

دعوى مسيحية :

رغم وضوح القرآن الكريم في إثبات عقيدة التوحيد ، ونفي
الشرك والتثليث وضوحاً يقطع نقاش كل مناقش ، وجدال كل مجادل
ورغم غموض عقيدة التثليث والتوائها في عقول أربابها ومعتقديها .
رغم هذا وذلك ، فإننا نجد من المسيحيين من يدعون في تهاون
واستخفاف ، أن الإسلام وكتابه مشتملان في جملتهما وتفصيلهما على
عقيدة التثليث ، فأما القرآن فمركز الثالوث فيه كما زعموا قول الله
تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله عندهم هو الآب ، والرحمن هو الابن
والرحيم هو الروح القدس .

وأما الإسلام فيمكن التثليث فيه كما ذكرنا ما يأتي :

أولاً : تأكيد القسم ليمينه بقوله : أقسم — بالله — ثلاثاً ، أو
يذكر نص اليمين ثلاث مرات ، لأنه حينئذ يسكون قد بلغ بيمينه الحد
الذي لا يتجاوز وهو الثالوث الأقدس .

ثانياً : كون المطلق لا تبين زوجه البينونة الكبرى إلا إذا
طلقها ثلاثاً ، لأنه ليس فوق الثالوث شيء يبقنى .

ثالثاً : قول المؤذن خمس مرات في كل يوم — الله أكبر — أى

أكبر مما يماثله في الألوهية ، وهو اقنوم الآب الذي هو أعظم من اقنوم الابن .

رابعا : تسمية الإسلام — الله — بالعمو الغفور ، والجبار المنتقم ، لأنه لا يصح أن يسمى بهذه الأسماء المتضادة ، المتناقضة إلا من كانت طبيعته ثالوثية ، فالله الآب يتسم بالجبروت والانتقام ، والله الابن يتصف بالعمو والغفران ، والله الروح القدس يتسم بالقدسية وبعث الحياة في الأنام ، أما أن يتصف واحد فقط بالجبروت والرحمة والعمو والغفرة معا فذلك ما لا يتصوره عقل^(١)

نقض هذه الدعاوى وإبطالها :

هكذا ادعى بعض المسيحيين على الإسلام وكتابه المبين ونسب هؤلاء وأولئك ما يأتي :

أولا : إذا كان قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم) قد اشتمل على ثلاثة أوصاف — الله — زهوها ثالوثهم المقدس فإن قوله تعالى في أول سورة غافر (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) إلى قوله (لا إله إلا هو إليه المصير^(٢)) .

قد اشتمل على سبعة أوصاف — الله . وقوله في سورة الحشر (هو

(١) انظر ما جاء عن ذلك مفصلا في كتاب الله واحد أم ثالث للاستاذ محمد مجدى

مرجان ط دار الهناص ٥٣ : ٦١

(٢) الآيات ١ : ٣ .

(١٥ - المسيح)

الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة^(١)) إلى آخر السورة قد اشتمل على سبع عشرة صفة — لله — أيضاً .

أفلا يأخذون من هذا وسابقه أن الآلهة أربعة وعشرون إلها كما أخذوا من البسملة أن الآلهة ثلاثة ؟ إن هذا هو الإلـك للبهين .

ثانياً : لست أدري من أين أتوا بالعلاقة بين العقيدة في الإسلام وبين ما تعارف عليه الناس من تأكيد أيمانهم بالثلاث ، أو الأربع ، أو نحو ذلك ، مما لا مدخل له في إثبات العقائد أو نفيها على الإطلاق ، وإلا فلو جاز لنا أن نقول إن من يقسم بالله ثلاثاً هو ثالوثي العقيدة ، لجاز لنا أن نقول أيضاً إن من يقسم — بالله — خمساً فذلك لأنه يجد عقيدة التخميس في دينه ، وكون السماوات سبعاً ، والأرض سبعاً ، وأيام الأسبوع سبعاً إشارة إلى عقيدة التسبيع بدلا من عقيدتي الثنـلـيث والتخميس .

وهكذا كلما رأينا عددا معيناً مضطرباً في شيء تعارف عليه الناس ، أو استقرت عليه الطبيعة الكونية جعلنا علاقة بينه وبين العقيدة الإسلامية متجاهلين ما قرره أئمة الإسلام ، من أن العقيدة لا تثبت بخبر الواحد ولو كان صحيحاً ، بل لا بد في إثباتها من أن يكون الخبر بها المنقول إلينا عن النبي ﷺ متواتراً أو كالمقواتر ، ننسى ذلك كله ونتجاهله ونحتكم في إثبات العقائد كما رأى المنصاري إلى الحلانين فنقول لمن يقسم بالله ثلاثاً أنت ثالوثي العقيدة ، ولمن يقسم بالله مرتين

أنت ثنائى العقيدة ، إلى آخر تلك الأمور التى لا يقول بها إلا مجنون مافون .

ثالثاً : بدلا من أن يقر هؤلاء المدعون بما فى تشريع الطلاق من رحمة — الله — الكبرى بمعباده ، وبما جره عليهم منع الطلاق عندهم من مفسد وموبقات وما قد يكون من هجر بعضهم للمسيحية بالكلية بغية التخلّص من زوجه التى فرضت عليه فرضاً ، بدلا من أن يقولوا بهذا ويزعنوا له واحوا يستخرجون من كون البيئونة الكبرى لا تقع إلا بالطلقة الثالثة دليلا على وجود عقيدة التثليث فى الإسلام .

— فالله — فى العقيدة الإسلامية — كما زعموا — ثلاثة لأن الطلاق فى التشريعات الإسلامية ثلاثة .

ونحن إذا سائرنا هذا المنطق العجيب كان لنا أن نقول إن — الله — فى العقيدة الإسلامية خمسة ، لأن الصلوات فى الشريعة الإسلامية خمسة ، بل لبعض الناس إذن أن يقول إن — الله — فى العقيدة الإسلامية ثلاثون ، لأن الصيام فى التشريعات الإسلامية ثلاثون يوماً إلى آخر هذه الترهات التى لا يقول بها إلا أبله معتوه .

رابعاً : قول المؤذن كل يوم — الله أكبر — لا يعنى أن أقنوم الآب أعظم من أقنوم الإبن ، والروح القدس كما قالوا ، بل يعنى أنه سبحانه أكبر من أن يتخذ ولدا من صاحبة أو من غير صاحبة ، وأكبر وأعظم من أن يكون له فى ملكه شريك ، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

خامساً : قولهم إن في تسمية — الله — بالجبار المنتقم ، والعفو الرحيم دلالة على ثالوثيته غير صحيح لأن — الله — الواحد عليم حكيم ، فبمقتضى علمه وحكمته يكون جبروته أو رحمته ، فإذا رحم أحداً فلا أنه في علمه سبحانه يستحق الرحمة وإذا انتقم من أحد فلا أنه في علمه عز وجل يستحق الانتقام ، وكون الواحد لا يكون جباراً رحماً أمر لا يقره الواقع العملي . فنحن نرى الجندی في الميدان أسداً هصوراً ، وفي بيته ومع أولاده رحماً عطوفاً ، وهو إنسان واحد ، بل أبعد من ذلك نرى الأسد ينقض على فريسته فينهب لحمها وينقت عظامها ويحنو على أولاده فيدنيههم منه ويحملهم فوق ظهره وهو هو أسد واحد .

فكيف لا يكون الواحد جامعاً بين الجبروت والقسوة ، والمطف والرحمة ، تلك بدهيات لا ينكرها إلا متعصب مغرور .

مناقشات هادئة مع البابا شنودة الثالث

في محاضراته عن التثليث والتوحيد

قد استعمنا إلى تسجيل المحاضرة ألقاها البابا أمام جماعة الشباب الفاسكوني تحت عنوان التثليث والتوحيد خلاصتها :

أن المسيحيين على اختلاف طوائفهم لا يؤمنون بثلاثة آلهة ، كما يقول بعض الفلاس ، بل يؤمنون بإله واحد له ثلاثة أقانيم هي الأب والابن والروح القدس ، وليس هذا فحسب ، بل يرون أن عدم الإيمان بإله واحد أمر يتنزه عنه حتى الشياطين كما جاء في رسالة يعقوب الرسول

من قوله : (أنت تؤمن بإله واحد ، حسنا تفعل ، والشياطين أيضا يؤمنون ويقشعرون) .

وقد ساق المحاضر تدليلا على صدق هذه القضية وصحتها شواهد عدة من مصادر متنوعة فاستشهد من الكتاب المقدس بما يأتي :

١ — قوله في بداية المحاضرة : باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

٢ — قول المسيح عيسى لتلاميذه حين أرسلهم للتبشير كما جاء في متى ٢٨ : ١٩ « فاذهبوا وتلذزوا بجميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » ، ثم قال بعدما أورد هذا الشاهد لا حظوا أنه قال (باسم) ولم يقل (بأسماء) .

٣ — ما جاء في رسالة يوحنا الرسول ٥ : ٧ ما إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة ، الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد .

٤ — قولهم في أول قانون الإيمان المسيحي الذي يؤمن به جميع المسيحيين بالحقيقة نؤمن بإله واحد .

٥ — استشهد على أن فكرة التثليث قديمة بما جاء في الكتاب المقدس من قول المسيح (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) وبقولهم عن المسيح في قانون الإيمان السالف الذكر (المولود من الأب قبل كل الدهور) وبما جاء في يوحنا ١٧ من قول المسيح (الآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاك بالجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم) ،

وبما جاء في الكتاب أيضا من قوله : شيء به (كل كان ، ولم يكن بغيره شيء مما كان) .

٦ — استشهد على أن كلمة (الله) تطلق على الآب والابن والروح القدس بما جاء في الكتاب المقدس من قوله : (الله روح والذين يسجدون له فبالروح يبنون له أن يسجدوا) .

٧ — استدل على اتحاد المسيح والله بما جاء في يوحنا ١٠ : ٣٠ من قول المسيح : أنا والآب واحد .

٨ — استدل على أن المسيح عقل الله بما جاء في أمثال سليمان (الابن صنو الحكمة) واستشهد من القرآن الكريم على أن المسيحيين موحدين لا مشركون ، وعلى أن التثليث الذي يحاربه الإسلام إنما هو التثليث الوثني ، لا التثليث المسيحي بما يأتي :

١ — ما جاء في سورة العنكبوت آية ٤٦ من قوله تعالى :
(وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد) ثم كرر الفقرة الأخيرة مرتين .

٢ — ما جاء في سورة آل عمران آية ١١٣ من قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يقولون آيات) الكتاب — كما قال (أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر) ثم علق قائلا : قال (يؤمنون بالله) ولم يقل يا إلهة ، أو بثلاثة آلهة .

٣ — ما جاء في سورة المائدة آية ٨٢ من قول الله سبحانه (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن

منهم قسيسين ورهبانا) وهم لا يستكثرون - كما قال - ثم علق قائلا
فقد تحدث القرآن عن ثلاث طوائف اليهود والذين أشركوا في جانب ،
والنصارى وحدهم في جانب آخر ، فلو كان النصارى من المشركين
ما فرق بينهم وبين من سبقهم .

٤ - قوله في سورة البقرة آية : ٦٢ وتشبهها آية المائدة : ٦٩
« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم » ولا خوف عليهم
- كما قال - « ولا هم يحزنون » ثم علق قائلا : لو كان النصارى
من الذين أشركوا لكان عليهم الخوف ولكانوا يحزنون ولـكان
مأرام الفار وبئس القرار ، ولكنهم لما لم يكونوا من المشركين كانوا
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٥ - قوله تعالى في سورة الحج آية : ١٧ « إن الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم
يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد » ثم علق قائلا : يفصل بينهم أى يحوّل
بينهم فاصلا ، فلو كان النصارى من المشركين لما فصل بينهم وبين المشركين .
٦ - قوله تعالى في سورة الأنعام : (بدع السماوات والأرض أنى
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » ثم علق قائلا : نحن لم نقل بأن له صاحبة ،
ولمّا الذين يقولون بهذا هم الوثنيون ، فالسالمون يحاربون الوثنيين
الوثنى ، ونحن نحاربه أيضا .

٧ - قوله تعالى في سورة الجن آية : ٦٣ « ولأنه - كما قال - « تعالى

جد » ربنا - كما ذكر - « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » .

٨ - قوله تعالى في سورة المائدة آية : ١١٧ « ولما قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » قال « حاشا » - كما قال - ثم علق بقوله : نحن لم نقل إن مريم إلهة من دون الله ، ولا كذلك المسيح أيضاً ، لما هو ليس إلهاً من دون الله ، وإنما هو الله .

واستشهد من الفقه الإسلامي على تفريق الإسلام بين المشركين والمسيحيين بما يأتي :

١ - لا يبيح الإسلام الزوج من المشركين ولا تزويجهم ، ويبيح الزوج من المسيحيات .

٢ - يهدر الإسلام دم للمشركين ، ولا يأمر بقتل النصارى ، وإنما فرض عليهم الجزية .

ثم أفاض في تحقيق تلك القضية ، وبيان كيف يسكون الثلاثة واحداً ، ومعنى كلمتي ابن وروح قدس ، وكيفية ولادة الابن من الأب بضرب الأمثلة والتشبيهات العقلية ، فشبه الأب بذات الإنسان ، أو بجرم الشمس والنار ، وشبه الابن بمقل الإنسان ، أو بنور الشمس والنار ، وشبه الروح القدس بروح الإنسان ، أو بحرارة الشمس والنار ، يجماع أن المشبه والمشبه به في تلك الأدوار يتسكون من ثلاثة أشياء ، ومع ذلك فهو شيء واحد ، فكما أنه لا تنفصل ذات الإنسان عن عقله وروحه ، ولا ينفصل جرم الشمس والنار عن نورها وحرارتها ، فكذلك لا ينفصل الأب عن الابن والروح القدس .

وبين أن ولادة الأب ليست من قبيل الولادة التناسلية لأن الولادة التناسلية يترتب عليها انفصال المولود عن والده ، وإنما هي من قبيل الولادة الذاتية الروحية ، تماماً كولادة العقل للفكر ، فالمولود على هذا خارج عن الوالد داخل فيه ، كالفكرة التي يلدها العقل فهي خارجة منه وفي الوقت ذاته كائنة فيه .

وأن كلام الأقانيم الثلاثة قد خالق العالم ، وضرب لذلك مثلاً بشخص حل مسألة رياضية بعقله ، فهو قد حل هذه المسألة وعقله قد حل هذه المسألة وهو وعقله كائن واحد ، وأن لفظ (الله) يطلق على الأب وعلى الابن والروح القدس ، فنقول الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، ثم فرق بين تثليث الوثنيين وتثليث المسيحيين بأن في الأول امرأة إلهة ، وليس ذلك في الثاني ، وبأن في الأول اختلافاً زمنياً إذ الأب أكبر من الأم وكلاهما بالضرورة أكبر من الابن وليس ذلك في الثاني ، لأن أحد الثلاثة ليس أقدم من الآخر ، وبين أن فكرة التثليث قديمة وليست وليدة المسيحية ، وأن أكبر دليل على ذلك قول المسيح السالف (مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم) ، ثم وعد مستمعيه بمحاضرة أخرى في موضوع التجسيد والصلب لأهميته وسعة أطرافه .

هذا ماخص واف - فيما نرى - لما فهمناه من تلك المحاضرة .
ولو أن قائلها اكتفى في إجابات ما جاء فيها بما تحت يده من النصوص المسيحية في الكتاب المقدس وغيره لما رددنا عليه وناقشناه ، لكنه حمد

إلى تأويل آيات من القرآن الكريم على غير وجهها الصحيح ، حتى يتخذ منها أدلة على صدق قوله وصحة ادعائه ، ثم ادعى أن القرآن الكريم قد اتهم المسيحيين كذباً وزوراً بما ليس فيهم ، الأمر الذي دفعنا للرد على هذه المحاضرة ومناقشة صاحبها إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل ولو كره الكافرون .

ونستأذن البابا في مناقشة نيافته حول هذا الموضوع بأسلوب طلبه في محاضراته وارتضاه ، وهو الأسلوب الهادي الذي يرتفع عن مستوى الغضب والسب والتجريح . فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : مفهوم ما ذكرتموه من كون الآب والإبن والروح القدس إلهاً واحداً هو أن هذه الأقانيم الثلاثة أجزاء لكل واحد هو الإله ، بدليل أنكم شبهتم الآب بذات الإنسان والإبن بعقله ، والروح القدس بروحه ، فكما أن هذه أجزاء لكل واحد هو الإنسان ، فتلك بالقياس أجزاء لكل واحد هو الإله .

وهذا - فيما نرى - لا يمكن قبوله أو تصوره ، لأن الواحد - كما نفهمه - هو الفرد الذي لا يتجزأ ، ولما كان الواحد بهذا المعنى لا ينطبق على أي مما يقبل الوجود والعدم كان بالضرورة منطبقاً على من وجوده لذاته من ذاته لا من غيره ، أي الواجب الوجود الذي يمنح سائر الكائنات وجودها وعدمها ، ولا يستمد هو وجوده من كائن آخر ، وهو الله - عز وجل ، إذ لو تركب من أجزاء لسكان ناقصاً ، لأنه يحتاج في خلق العالم إلى تلك الأجزاء أو إلى بعضها - كما ذكرتم -

— من أن الأب بالإبن خلق العالم — والاحتياج نقص ، والنقص على الله محال .

وليس من قبيل الأجزاء ما جاء في سورة الفتح من قوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ١٠ وما جاء في سورة القمر من قوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ ١٤ وما جاء في سورة الرحمن من قوله عز اسمه : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ٢٧ لأن معنى اليد في الآية الأولى : القدرة ، ومعنى الأعين في الآية الثانية : الرعاية والحفظ والعناية ، ومعنى الوجه في الآية الثالثة : الذات .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذه الأشياء ، بمعانيها السالفة هي صفات كمال الله تصف بها ، وليست مولودة منه ، ولا هو والد لها .
ثانياً : مفهوم قولكم بالنص (مثلما يولد الفكر من العقل هكذا ولادة المسيح من الآب) أن الأب قد ولد المسيح ، إلا أنها ليست ولادة تناسلية ولا خلقية ، بل هي ولادة روحية ذاتية كولادة الفكر من العقل سواء بسواء .

ومعلوم أن الوالد سابق في الوجود على المولود — تناسلية كانت ولادته له أم غير تناسلية فالعقل — مثلاً — لا بد أن يكون موجوداً قبل الفكرة التي يلدها .

وقد قررتم في نفس المحاضرة أن الأب والإبن والروح القدس متساوون في الوجود تساويًا كاملاً ، بحيث لم يسبق أحد الثلاثة في هذا الوجود أحداً أبداً فكيف يتأتى هذا التساوى مع كون أحد الثلاثة — باعتباركم — قد ولد الآخر .

ثالثاً : قررتم في محاضرتكم أن الابن عين الآب ، والآب عين الابن ، وعليه فما يعلمه أحدهما يكون بالضرورة معلوماً للآخر ، إذ لا انفصال بينهما في أى شيء من الأشياء ، وقد جاء في إنجيل مرقس ١٣ - ٣٢ عن يوم القيامة مانصه :

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب) فكيف يكون الابن عين الآب وهو بنص الانجيل يحفل بأشياء يعلمها أبوه ؟؟ .. نبشونا بعلم إن كنتم صادقين ؟
رابعاً : ما استشهدتم به على صحة عقيدة الثالوث من قول عيسى - عليه السلام - الوارد في إنجيل متى ٢٨ : ١٩ (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) وبما جاء في رسالة يوحنا الرسول من قوله في ٥ : ٧ (إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد) .

إلى غير ذلك من الشواهد التي استشهدتم بها من الكتاب المقدس على صحة عقيدة الثالوث منقوض - فيما نرى - بما جاء عن عيسى نفسه - عليه السلام - من قوله في إنجيل يوحنا ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) إذ قد بين عيسى سلام الله عليه في هذا النص أن الله واحد لا شريك له ، وأنه هو عبد الله ورسوله ، وليس ابناً له كما جاء في النصين السالفين ، فأى القوانين نصدق ؟ وبأيهما نأخذ ؟ .

خامساً : ما استشهدتم به من القرآن الكريم على أن المسيحيين

موضحون لا مشركون غير صحيح من الناحيتين اللفظية والمعنوية .
فأما من حيث نصوص الآيات فقد وقعت عند ذكرها في أخطاء نرجو
أن تأذن لنا بتصحيحها قبل أن ندخل في مناقشة ما أوردت من معان
لهذه الآيات فنقول :

قولك في سورة آل عمران آية : ١١٣ يقولون آيات الكتاب خطأ .
صوابه ﴿ يقولون آيات الله ﴾ .

قولك في سورة المائدة آية : ٨٢ وهم لا يستكبرون خطأ . صوابه
﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ .

قولك في نفس السورة أيضاً آية ١١٦ قال حاشا خطأ . صوابه
﴿ قال سبحانك ﴾ .

قولك في سورة البقرة آية : ٦٢ ولا خوف ، خطأ . صوابه
﴿ ولا خوف ﴾ .

قولك في سورة الجن آية : ٣ وإلهنا تعالى جد ربنا ، خطأ . صوابه
﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ .

هذا من الناحية اللفظية .

وأما من الناحية المعنوية فإن قوله - تعالى - في الآية السادسة
والأربعين من سورة المنكحوت ﴿ وإلهنا وإلهكم واحد ﴾ هو بيان
للحقيقة التي أرسل الله عز وجل بها جميع أنبيائه ورسله من آدم عليه
السلام - إلى محمد ﷺ - بما فيهم عيسى ابن مريم - عليه السلام .
وقد طلب منا الحق سبحانه وتعالى أن نؤمن بهذه الحقيقة إيماناً
راسخاً ، ونهى كل من حرفوها فأنحرفوا بها إلى عقيدة التثليث بقوله

سبحانه في سورة النساء ١٧١ ، ١٧٢ ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ١٧١ ، ﴿ أَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ ١٧٢

فكل من قال بأن الله واحد لا ثلاثة هم واحد هو الموحد الذي لا يوسم بسمه الشرك ، أما القائلون بالثلاث فأيسوا موحدين ولا هم يؤمنون بالله واحد ، كما استشهدتم على ذلك بآية العنكبوت وغيرها من الآيات .
وقوله تعالى — في سورة آل عمران آية : ١١٣ (من أهل الكتاب أمة قائمة) ... الخ الآية هو بيان لحال طائفة من أهل الكتاب استمسكت بالحق واعتصمت به ، واحتفظت بعقيدتها نقيصة سليمة من التحريف والتزييف حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم — فدخل من بقي من هذه الطائفة في دين الله سبحانه لما عرفوه من كتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كونه نبي آخر الزمان الذي أمرت السكتب السماوية كل من أدركه باتباعه والإيمان به .

وقد جاء هذا البيان بعد بيان — الله — سبحانه في الآيات السابقة لما عليه طوائف أخرى من أهل الكتاب من الفسق والفجور والمعيان الذي استحقوا بسببه ماضربه الله عليهم من الذلة والمسكنة والهوان .

فدل هذا على أن حكم الله عز وجل في أهل الكتاب كان حكماً

عدلا ، يقضى لكل طائفة منهم بما لها وما عليها ، فهم في ميزان العدل الإلهي ليسوا سواء .

هذا هو معنى الآية التي استشهد بها الأستاذ المحاضر على أن المسيحيين يؤمنون بإله واحد ، ولعله يكون قد تبين — بعد إيراد هذا المعنى — أن الآية الكريمة ليست شاهدا لما ذكره الأستاذ المحاضر على الإطلاق .

واستشهاده على أن الله فرق بين النصارى والمشركين في قوله تعالى من سورة الحج آية : ١٧ (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) أى يجعل فاصلا بين المسيحيين والمشركين ليس في موضعه ، لأن معنى الآية الكريمة أن هذه الطوائف كلها سوف تقف بين يدي الله يوم القيامة وأنه سيحكم بينها فيما اختلفت فيه ، فالفصل هنا بمعنى الحكم ، لا بالمعنى الذى أراده المحاضر .

وكذا ما استشهد به الأستاذ المحاضر على التفريق بين المشركين والنصارى من قول الله تعالى في سورة المائدة آية ٨٢ (لتجدن أشد الناس عداوة) .. إلى قوله تعالى (وأنهم لا يستكبرون) وقوله سبحانه في سورة البقرة آية : ٦٢ (إن الذين آمنوا والذين هادوا) ... إلى قوله تعالى (ولا هم يحزنون) ليس شاهدا له لأن التفريق الواقع في سورة المائدة إنما هو بين الوثنيين واليهود من جانب ، والنصارى من جانب آخر .
فالأولون كانوا في عصر صدر الإسلام أشد الناس عداوة للمؤمنين وإعراضا عن الدخول في هذا الدين ، والآخرون كانوا في هذا العصر

أقربهم مودة للمؤمنين في القول والمعاملة وأبعدهم عن التجبر والاستكبار ولم يقل أحد بأن النصارى كانوا وثنيين حتى تجعل هذه الآية شاهداً على التفريق بين النصارى والمشركين ولأن وعد الله عز وجل الوارد في آية البقرة بالأجر العظيم وعدم الخوف والحزن إنما هو لمن آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصائبين وزائفي الإيمان وعمل صالحاً ، فكيف يقال إن هذا الوعد للنصارى لأنهم ليسوا مشركين على حين أن النص صريح في كون هذا الوعد إنما هو للمؤمنين الحقيقيين وليس لليهود ولا للنصارى ولا للصائبين ولا لزائفي الإيمان . فالقول بكون هذا الوعد للنصارى مخالف لمنطوق النص الكريم ومفهومه ، فهو إذن غير مقبول ولا معقول ، واستدلال الأستاذ الحاضر بما جاء في سورة الأنعام من قول الله سبحانه (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) ١٠١ وبما جاء في سورة الجن من قوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) (٣) استدلال بقيادته بهاتين الآيتين على أن الإسلام لا يحارب التثليث المسيحي ، وإنما يحارب التثليث الوثني - وهو كما قال إله ذكر يتزوج من إلهة أنثى فينجبان إلهاطفلاً - أمر غير مستساغ ، لأن الإسلام قد حارب التثليث أياً كان نوعه ودعا إلى التوحيد الخالص في نحو قوله سبحانه (بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فالله سبحانه قد أخبر عن نفسه في تلك السورة الكريمة بأنه لم يلد أحداً لا من صاحبة ، ولا من غير صاحبة ، كـ فكرة الولادة الروحية المشابهة لولادة الفكر من العقل التي تقولون بها .

وعلى هذا فلا استفهام الوارد في سورة الأنعام إنما هو لبيان أن منشأ الوالدية إذا كان من اتصال ذكر بأنثى ، فكيف يكون لله ولد ونيسة له صاحبة ، وإذا كان بالخلق ، فكيف يكون له ولد واحد وهو خالق السماوات والأرض ومن فيهما من الإنس والجن والملائكة ، بل خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم .

والنفي الوارد في سورة الجن إنما هو لبيان أن الله لم يتخذ صاحبة حتى يقال إنه أنجب منها ولدا ، ولم يكن له ولد بدون هذه صاحبة حتى يقال إنه صدر عنه ولد كما نسمع به الآن .

وإذا كانوا يفسرون ولادة الله للمسيح بأنها ولادة روحية كولدادة الفكر من العقل ، فماذا يقولون عن خروجه من رحم امرأة طفلا كسائر الأطفال .

ومن عجب أن الأستاذ المحاضر الذي استشهد بالقرآن الكريم على صدق ما أورده في محاضراته من أفكار قد اعتبر قول الله تعالى في سورة المائدة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لَأَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ اتهاما كاذبا للمسيحيين بما لم يقولوه ولم يؤمنوا به ، حيث قد فسر الآية السخرية بأن المسيح إله ومريم المذراء إلهة ، فتكون هي صاحبة والله هو الأب والمسيح هو الابن ، ثم قال معقبا « نحن لانوافق على هذا الكلام ولا نؤمن به إطلاقا فن قال إن مريم إلهة هو إنسان كافر ، وأما المسيح فليس إلها من دون الله وإنما هو الله .

هذا ما فسر به الآية الكريمة ، والذي نراه أن اتخاذ إله من دون الله يراد به عبادة غير الله تعالى سواء أكانت تلك العبادة الخاصة لهذا الغير أم شركة بين الله وبينه ، وهذا ينطبق على المسيحيين كل الانطباق ، أما اتخاذهم المسيح إلهاً فظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وأما أمه عليها السلام فقد كانت عبادتها متفقا عليها في الكنائس الشرقية العربية بعد قسطنطين ، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التي ظهرت بعد الإسلام بعدة قرون .

ومن تلك العبادة التي توجه بها المسيحيون القدامى إلى مريم — عليها السلام — صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة ، واستشفاع بها ، ومنها صيام ينسب إليها ويسمى باسمها ، وكل ذلك مقرون بالخضوع والخشوع لذكورها ولصورها وتمائمها ، واعتقاد السلطة الغيبية لها التي يمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها ، أو بواسطة ابنها .

وقد صرحوا بوجوب العبادة لها ، وإن لم يطلق عليها اسم الإله عندهم — فيما نعلم بل يطلقون عليها اسم والدة الإله .
لذا كان القرآن دقيقاً عندما قال هنا أنهم اتخذوها وابنها المين ، بينما يقول سبحانه في الحديث عن عقيدة النصارى في المسيح (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) (المائدة : ١٧) ، لأن اتخاذ غير التسمية ، فهو يصدق بالعبادة ، وهي واقعة قطعاً ^(١) فكيف يستجيب

(١) أنظر في ذلك تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ٧

الأستاذ المحاضر لنفسه أن يكذب القرآن في أمر قد وقع، وأظنه لا يجهله لما نعرف عنه من كثرة القراءة وسعة الإطلاع.

سادساً : ما استشهد به المحاضر من الفقه الإسلامي على التفريق بين النصارى والمشركين ليس صحيحاً فيما نرى لأن الأحكام الفقهية، الواردة بمنع تزويج المسلمين من المشركات، وتزويج المشركين من المسلمات، وإهدار دم المشركين إنما هي للذين يعبدون الأصنام .

أما أهل المكياج ومنهم المسيحيون ، فإن شرهم جاء من كونهم اعتقدوا الوهدية لله وأن الله ثلاثة أقانيم إلى غير ذلك من معتقداتهم التي انحرفوا بها عن الخط الصحيح الذي كانت عليه كتبهم السماوية قبل التغيير والتبديل .

لذا اقتضت حكمة الله العادل أن يعاملهم معاملة تختلف عن معاملة الوثنيين ، فأباح التزوج منهم وفرض عليهم الجزية، ولم يهدر دمهم احتراماً لكتبهم الصحيحة قبل تحريفها ، وتقديراً لما كان عليه أسلافهم من دين صحيح .

فهل بعد هذا عدل ؟ وهل فوق هذا فضل ؟
« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

الفصل الثاني

مناقشة القرآن للمسيحيين في صلب المسيح

موقف اليهود من صلب المسيح :

لم يكتب اليهود في تواريتهم القديمة دينية كانت أم غير دينية شيئاً ما عن عيسى المسيح عليه السلام فضلاً عن كونهم عذبوه أو صلبوه . ولعل من أبرز الدلائل على ذلك أن يوسف (يوسفوس) المؤرخ اليهودي قد أغفل هذا الموضوع تماماً حينما كان يكتب تاريخه المشهور أمام « طيطوس » سنة إحدى وسبعين بعد الميلاد ، رغم قرب زمفه من زمن المسيح عليه السلام ، بل تسكاد تكون نهاية المسيح قد تمت وهو حي يرزق صغيراً أو كبيراً ، ولا يمكن أن يكون إغفال الكتابة عما كان بين المسيح واليهود شيئاً غير متعمد من يوسف هذا لأن قرب عهده بالمسيح واشتهار أمره بين الناس من ناحية ، واعتناء يوسفوس بالتأريخ لأحوال اليهود وما حدث بينهم وبين خصومهم من ناحية أخرى ، يؤكد أن إغفال (يوسفوس) أمر المسيح كان شيئاً متعمداً مقصوداً حتى لا يجر على اليهود مزيداً من القلاقل والمشاكل .

وما قد يري في بعض نسخ هذا الكتاب من ذكر للمسيح فإنما هو من إلحاق بعض المسيحيين المتأخرين بغية أن يشبهوا لليهود اعتراف بعض مؤرخيهم بما فعل أسلافهم بالمسيح .

ولم يكن هذا الإغفال قاصراً على تواريتهم فقط بل بلغ بهم الأمر أن يحوا من القلود ما كان فيه من أخبار المسيح كما قرره بعض علمائهم .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار :

أخبرني الدكتور « إسرائيل ولفنون » أن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في « القلود » ولكن اليهود أخرجوها منه حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التي يقيم بينها اليهود فيكون ذلك مصدر قلق ، وأخبرني أيضاً أن المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين فأغرى الحكام الرومانيون اليهود ليشككوا عليه فعملوا وأمر الحاكم الروماني بقتله هكذا يقول اليهود . أ . ه .^(١)

وما حملهم على إيفالهم هذا في إنكار ما فعل أسلافهم بالمسيح إلا خوفهم من الوقوع في مزيد من القلاقل والمشاكل كما قلنا آنفاً ، هذا موقف اليهود من مسألة صلب المسيح .

وأما النصارى فإن لهم موقفاً آخر من هذه المسألة يختلف من موقف اليهود كل الاختلاف فصدق الله حيث يقول :

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾^(٢) .

(١) قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار ط . مؤسسة الحلبي وشركاه ص ٤٣

(٢) البقرة : ١١٣

الإصحاح السادس والعشرون

قصة صلب المسيح وقيامته عند النصارى هتلا ونقلنا :

يعتقد المسيحيون اعتقاداً جازماً بأن عيسى عليه السلام قد صلب ومات على الصليب ، وأنه قام من قبره بعد ما دفن فيه ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

وقد استدلوا على صحة عقيدتهم تلك بأدلة عقلية وعقلية :

ثبوت القصة عندهم من جهة النقل :

فأما من جهة النقل فقد ذكرت جميع أناجيلهم قصة صلب المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء بالشرح والتفصيل وما أورده متى في إنجيله حيث قال ما نصه :

« ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه ، تعلمون أنه بعد يومين سيكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب ، حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدهى قيافا وتشاوروا الكهنة يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب .

ثبوت قصة الصلب عند النصارى من جهة العقل :

هذا من جهة النقل هو نص ما ورد في أناجيلهم عن صلب المسيح وقيامته ، وأما من جهة العقل فقد استدل المسيحيون على صحة هذه المسألة بالأدلة العقلية التالية :

١ — مسألة الصلب متواترة على مدى العصور ، تواترا يفيد العلم القطعي الذي يقطع شك كل شاك ، وريب كل مرتاب ، إذ إنها لو لم تكن متواترة متفقاً عليها لوجد منا من أنكرها ، ولكن بالتقصي لم يثبت أن أحدا خالف في هذه المسألة أو جحدھا . فدل هذا على تواترها تواترا يفيد العلم اليقيني الذي لا شك فيه .

٢ — في اتفاق الأناجيل الأربعة المعصومة من الخطأ على قصة صلب المسيح وقيامته بعد ذلك من قبره وإطلاعه تلاميذه والنساء اللواتي كن معه على أثر المسامير في جسده دلالة قاطعة على صحة تلك القصة وصدقها ووقوعها المسيح عيسى لا لغيره .

هذه قصة الصلب كما وردت عند النصاري عقلا ونقلا وسنناقشها مناقشة هادئة بالعقل السليم والفعل الحكيم بعد ما نورد ما ذكره من أسباب لهذا الحدث الرهيب ومقارنته بفظائره في الأديان القديمة .

لماذا صلب المسيح :

إن القارئ لقصة صلب المسيح عليه السلام في أى من مصادرها المسيحية لا يكاد يفرغ من قراءتها حتى يلح عليه سؤال هام .
لماذا حدث كل هذا للمسيح عيسى وهو ابن الله كما يزعمون ؟
أليس الوالد مكلفاً بالدفاع عن ولده ؟ ألم يكن الله قادرا على حفظ ابنه ووحيدته من كل هذا العذاب ؟

والجواب الوحيد عند المسيحيين على هذا السؤال هو :
ان معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ،

قد دنست سائر أبنائه من البشر جيلاً بعد جيل ، وأصبحت لعنة تطاردهم حينما كانوا ، لا مهروب لهم منها ولا محيص لهم عنها ، فكان على الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه ، وطرد بها من الجنة واستحق من أجلها هو وأبناؤه البعد عن الله تعالى - ، وكان على الله - بمقتضى صفة الرحمة - أن يغفر سيئات للبشر . ولما لم يكن هناك من سبيل للجمع بين ما تقتضيه صفة العدل من عقاب البشر ، وما تستلزمه صفة الرحمة من الغفران لهم إلا بتوسط ابن الله ووحيدده ، وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس ، ثم يصلب ظمناً للتكفير عن خطيئة البشر ، أرسل الله ابنه ووحيدده إلى الأرض ماراً برحم أنى كى تضى عليه صفة البشرية ، ليكون كسائر البشر ثم هيئته لتحمل أقسى ألوان الفسكال وأمر أنواع المذاب ، بدءاً من الضرب والسجل والتعذيب ، وانتهاء برفعه أمام الفاس ظمناً على الصليب .

فقد ورد في العهد الجديد ما خلاصته أن المخلص الوحيد للعالم من خطيئة أبيهم آدم ووسيلة قربهم من الله بعد بعدهم عنه بسبب تلك الخطيئة إنما هو يسوع المسيح ابن الله الذى جعله أبوه فداء للبشر ، يحمل عنهم خطيئتهم بتحملة للصلب والتعذيب ظمناً وعدواناً ، إلى آخر ما هو مبثوث في العهد الجديد وكتب للمسيحيين من تلك المقولات وأمثالها^(١) .

(١) أنظر العهد الجديد عنتر أنجيل مرقس ص ١٠ فقرة ٤٤ وما بعدها ، وأنجيل يوحنا ص ٣ فقرة ١٦ ، ورسالة بولس إلى أهل رومية ص ٣ فقرة ٢٣ ، وما بعدها والإصحاح السادس كله ، وانظر أيضاً كتاب بوع المصلوب للقس منسى يوحنا ط مطبعة الحبة الأرثوذكسية بالقاهرة .

ويذكر الأستاذ الدكتور أحمد شلبي عن بعض الكتاب المسيحيين ما مفاده ، أن نظرية الفدية هذه إنما هي فكرة بولس حيث يقول :
ويعيد الأب بولس الياس الخورى الحق إلى نصابه حينما يعلن في
جراحة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب
لوقا لواء الدعاية لها وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحى :

ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملاكت على بولس
مشاعره فعبّر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر ،
وهذا الرفق بهم هو ما حمّله على إقاتلهم من عشارهم ، فأرسل إليهم ابنه
الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس للموسى
إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على الإنجيل
لوقا (١) .

وسواء أكانت هذه فكرة بولس ابتدعها من عند نفسه أم لا
فإن قصة الصلب وما عللها النصارى به لا تخلو فى جملتها وتفصيلها من
بحث ومناقشة .

قصة الصلب بين المسيحية والديانات القديمة :

حوت بعض الديانات القديمة ضمن طقوسها أفكارا ، لا تكاد
تخرج فى جملتها وتفصيلها عن الفكر المسيحى حول ابن الإله الخالص
الفادى الذى قبل أن ينزل إلى الأرض ويصلب ظلما ، لتطهير البشر من
خطيئة أبيهم الأول .

(١) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبي ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة

فبوذا عند البوذيين هو ابن الإله المخلص الفادى ، وكذلك كرسنة
هند الهنود وأندرا عند أهل التبت إلى آخر ما جاء فى هذه الديانات من
قصص ابن الإله المخلص الفادى التى تركزت كلها بعد ذلك حول عيسى
عليه السلام ، وقد وقعت لحسن الحظ على نسخة خطية فى هذا الموضوع
لواحد من القساوسة السكبار هدته أبحاثه العميقة ودراساته الجادة إلى
ما حواه الفكر المسيحى من أساطير الأولين ، وخرافات الأقدمين ،
ومدى ما لها من التأثيرات الضارة على العقيدة المسيحية التى كانت
صحيحة خالية من الخرافات والأوهام ، فأبى إلا أن يحترم عقله ويربأ به
عن العقائد المعروفة والأفكار المزيفة ، فأعلن إسلامه — لله رب العالمين
وتصديقه بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ،
والسنة المطهرة ، وسائر شرائع الإسلام ، وهذا الرجل هو الأستاذ
إبراهيم خليل أحمد الذى كتب فى نسخته تلك ما نصه : —

جدول للمقارنة بين المسيحية والديانات الأخرى في قصة الصلب

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
بوذا ابن الله	كرشنة ابن الله	المسيح ابن الله
وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس	وأول الآيات والعجائب عملها كرشنه شفاء الأبرص	وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص . متى ٨ : ١ - ٤
	وأوق إلى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وزباد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباقي على رأسه	وبينما كان يسوع في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ . متى ٢٦ : ٦ - ١٣ ، لوقا ١٢ : ٧
صلب ومات على الصليب	كرشنة صلب ومات على الصليب	يسوع صلب ومات على الصليب يو ١٩ : ١٦ - ١٨
حدث بموته أهوال ومصائب وشر عظيم	لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء أظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء نارا ورماذا وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض وشاهد الناس ألوف من الأرواح في جو السماء يتحاربون صباحا ومساء وكان ظهورها في كل مكان	لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وأنشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثير من القديسين وخرجوا من قبورهم متى ٢٧ : ٥١ - ٥٣ ، لوقا ٢٣ : ٤٤ - ٤٥

أقوال الصينيين	أقوال الهنود	أقوال المسيحيين
	ونقب جنب كرشنة بحرية	ونقب جنب يسوع بحرية لو ١٩ : ٣٤
	وقال كرشنة للصيد الذي رماه بالنبله وهو مصلوب اذهب أيها الصيد مخفوا برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة .	وقال يسوع لأحد اللصين الذين صلبا معه د الحق أقول إنك اليوم تكون معي في الفردوس ، لو ٢٣ . ٤٣
مات وفتح الباب بقوة عنايمة وصعد إلى السماء بمجده	ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات لو ٢٤ ، ٦٠٥
	ونزل كرشنة إلى الجحيم	ونزل يسوع إلى الجحيم
	وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهده صاعدا .	وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا أعمال الرسل ١ : ٩
سيأتي للأرض ثانية ليعيد السلام والبركة	ولسوف يأتي كرشنة إلى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء	ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح راكب على جواد أشهب عند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء . أعمال الرسل ١ : ١١ بط ٢ : ١ ١٣ .

أقوال المسيحيين	أقوال الهنود	أقوال الصينيين
يدين يسوع الاموات في اليوم الاخير يوحنا ٥: ٢٤ — ٣٠	وهو (أى كرشنه) يدين الاموات في اليوم الاخير	سيدن بوذا الاموات
ويقولون عن يسوع أنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الابدى .	ويقولون عن كرشنه أنه الخالق لكل شيء مما كان فهو الصانع الابدى .	لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذى صار تجسدا لما حل على العذراء ماريًا .
يسوع الالف والياء البداية والنهاية الاول والآخر	كرشنه الالف والياء وهو الاول والوسط وآخر كل شيء .	بوذا هو الالف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزل .
لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالخطر التي كانت مكتنفة تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجايب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والآخرس والأعمى والمريض . وينصر الضعيف عل القوى والمظلوم على الظالم وكان الناس يزدحمون عليه ويعبدونه إلها كان يسوع يحب تلميذه يوحنا ١٩ : ٢٦ ، ٢٧ يو ٢١ : ٧ يو ٢١ : ٢٠ — ٢٣	لما كان كرشنه على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالخطر التي كانت مكتنفة إياه ونشر تعاليمه بعمل العجايب والآيات كإحياء الاموات وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما كان أولا ، ونصره الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعبدونه إلها كان كرشنه يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير	حارب الأرواح الشريرة ونشر تعاليمه لعمل العجايب والمعجزات

أقوال المسيحيين	أقوال الهنود	أقوال الصينيين
وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال متفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت سحابة بيضاء كالنور وفيها هو يتكلم إذ سحابة نيرة ظللهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا مت ١٧ : ١ - ٨	في حضور أرجونا بدلت هيئته وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع في إله الآلهة فآخذ رأسه تذللوا ومهابة وتكثف تواضعا وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وأنى أرجو رحمتك يارب الأرباب	في آخر أيامه بدلت هيئته على جبل د بنداقا ، في سيلان ونزل عليه بغثة نور أحاط برأسه على شكل أكاليل ويقولون أن جسده أضاء منه نور عظيم ، وصار كتمثال من ذهب براق مضى كالشمس أو القمر وحينما رأى الحاضرون ذلك قالوا ما هذا بشر إن هو إلا إله عظيم
كان يسوع خير الناس خلقا وعلم باخلاص غيره ، وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو السكاهل العظيم القادر ظهر لنا .	وكان كرسنة خير الناس خلقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البراهمين وهو السكاهل العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا .	
يو ١٣ : ٣ - ١٤		

ويقول المؤلف النابغة السير آرثر كونان دويل^(١) « ولم يدر بخلد أية قبيلة من القبائل الوثنية هذه الفكرة المضحكة التي تزعم بأن الإنسان ولد ملوثاً بتلك الوصمة الموروثية التي تدعى الخطيئة الأصلية ، وأن الخالق جل وعلا أظطر أن يضحي بدم ابنه البريء لمحو كل أثر لهذه اللعنة الخطيئة » ثم يورد السير آرثر فندلاي في كتابه صخرة الحق ذكر ستة عشر إلهاً مخلصاً عرفوا قبل مجيء المسيح ، والفروض أنهم ماتوا لأجل خطايا العالم ، سعى كل واحد من هؤلاء مخلصاً ، وأعطى لقب المسيح وها هي أسماءهم واكتفى ببعض منهم .

رقم	المسيح المخلص	الموطن	التاريخ ق.م
١	أوزيريس	مصر	١٧٠٠
٢	بعل	بابل	١٢٠٠
٣	أنيس	فرجيا	١١٧٠
٤	ناموس	سوريا	١١٦٠
٥	ديوس فيوس	اليونان	١١٠٠
٦	كرشنا	الهند	١٠٠٠
٧	أندرا	التبت	٧٢٥
٨	بوذا جوتاما	الصين	٥٦٠
٩	برومثيوس	اليونان	٥٤٧
١٠	مذرا	الفرس	٤٠٠

(١) كتاب المثل الأعلى في الأنبياء مؤلفه خ . كمال الدين

ويقول السير أرثر فندلاى فى كتابه السكون المنشور إن أول مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذى ظهر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد . وكان أمير مصلحاً فظن الشعب أنه إله لأن الآلهة كما كانوا يعتقدون تلبس لبوس ذوى الشرف الرفيع ، ولما ظهر شبّحه بعد الممات ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى رفعت عنه غضبها ولعنتمها التى اكتسبت عليه بسبب ذنوبه وبهذا كان ظهور الضحية بعد الموت معناه أنها قهرت الموت ، وفتحت أبواب السماء للمؤمنين .

وبذلك عمل أوزوريس على « أن يتواضع ويسير مطيعاً حتى للموت كما قال بولس عن المسيح عيسى ابن مريم بعد ذلك بألف وسبعمئة عام ، ومعنى ذلك أن أوزوريس أصبح مخلعاً فاذاً وسيطاً يتقبل كل الحب والتقدير من عابديه ويقول السير أرثر فندلاى فى كتابه صخرة الحق إنه اكتشف لوحة أثرية ، فى بابل تثبت أن إلههم بعلى كان يتصف بنفس الصفات التى ألحقت بعيسى وأن هذه اللوحة كتبت قبل العصر المسيحى بمئات السنين حوالى (٢٠٠٠ سنة ق . م) ثم قارن على ضوءها المبادئ البابلية والمسيحية .

المبادئ البابلية	المبادئ المسيحية
أخذ بعل أسيرا	أخذ عيسى أسيرا مت ٢٦ : ٥
	لو ٢٢ : ٥٤ يو ٨ : ١٢
حوكم بعل في قاعة المحكمة	حوكم عيسى في قاعة بيلاطس مت
	٢٧ : ٢ لو ٢٣ - ١ يو ٨ : ٢٨
ضرب بعل	جلد عيسى مت ٢٧ : ٢٦
أخذ بعل إلى الجبل	أخذ عيسى إلى الجبل مت ٢٧ : ٢٣
	لو ٢٣ : ٢٣ يو ١٩ : ١٧
أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما	أخذ مع عيسى مجرمان أطلق سراح
	براباس مت ٢٧ : ٣٨، لو ٢٣ : ٢٥ يو ١٩ : ١
بعد أخذ بعل تهدمت المدينة	بعد موت عيسى تحطم الهيكل وخرج
	الموتى ودخلوا المدينة مت ٢٧ : ٥١، ٥٤
أخذت ملابس بعل	اقتسم الجنود ملابس المسيح
	مت ٢٧ : ٣٥
ذهب بعل إلى الجبل واختفى من الحياة	خرج عيسى من القبر وذهب إلى عالم
	الأموات
ذهبت امرأة تبكى عند القبر	ذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر
	عيسى يو ٢٠ : ١١ - ١٨
عاد بعل إلى الحياة ثانية	ارتفع عيسى من القبر حيا لو ٢٤ :
	٣٥ : ٣٦

ثم يستأنف قائلا :

وتماثما مثل ما كان المصريون يرددون : لما كان أوزوريس يحيا
حقا فسوف أحيأ ، لما كان أوزوريس لن يموت فلن أموت ، ردد
المسيحيون الأوائل نفس الألفاظ مستخدمين اسم المسيح بدلا من
أوزوريس ، ولما أضيف اسم عيسى إلى قائمة الآلهة المخلصين أصبحت
كل القصص التي قيلت عن الآلهة المخلصين السابقين أصبحت تقال
بالمثل على عيسى .

ومن تلك قصه الولادة من العذراء والقيامة بالجسد والقصة المسيحية
عن المحاكمة والموت والقيامة والصعود التي تقص عن عيسى ما هي إلا
نفس للأساطير التي كانت تتكرر في المعابد القديمة ، صيغت في ألفاظ
وركزت حول عيسى بدلا من أوزوريس وبعل وبرمئيوس أو واحد
من الآلهة الآخرين . هـ

هذا ما كتبه الأستاذ إبراهيم خليل أحمد من المقارنات بين المسيحية
الحالية وما سبقها من الديانات القديمة ، كالبودية وغيرها ، فيما ذكره
من قصة صلب المخلص القادى ابن الإله الذى قبل أن ينزل إلى الأرض
ويصلب ظمأ لتطهير البشر من الخطيئة الأولى ، نقلا عن عدد غير قليل
من الكتابات والبحثين العالميين .

وإلى هذا كله يشير القرآن الكريم بقوله : (وقالت اليهود عزيز
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم

يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون» (١)
فما أعظم هذا الكتاب العزيز الذى يطرح القضية أمام الناس فيختلفون
فيها جد الاختلاف ، ثم يعود المفسرون منهم بعد ما يبذلون قصارى
الجهد والطاقة فى البحث والتنقيب إلى حكم القرآن لأنه الحق الذى
لا زيف فيه والصدق الذى لا شك فيه ، وكيف لا وهو كتاب أنزله
الذى يعلم السر فى السموات والأرض وهو بعباده خبير بصير .

قصة الصلب عند النصارى وأسبابها

فى ميزان العقل السليم

نظرة عقلية فى أسباب الصلب عند النصارى :

الناظر المتفحص فيما أجاب به المسيحيون عن سبب صلب المسيح يجد
أنه فى جملته وتفصيله غير صحيح لما يأتى :

أولا : ما قالوه من أن خطيئة آدم قد دنست جميع أبنائه من البشر
جيلا بعد جيل حتى جاء المخلص منقوض بما جاء فى الكتاب المقدس من
قوله لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان
بخطيته يقتل .

وقوله لا تشقى عيفك ، نفس بنفس ، عيف بعين ، سن بسن ، يد
بيد ، رجل برجل (٢)

ثانيا : ما زعموه من تعليق المسيح على الصليب دون ذنب ولا إثم
بتنافى مع ما جاء فى الكتاب المقدس أيضا من قوله « وإذا كان على

(١) التوبة ٣٠

(٢) انظر العهد القديم سفر القضاة اصحاح ١٩ فقرة ٢١ واصحاح ١٦: ٢٤

إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقتة على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً^(١) .

لأن عيسى عليه السلام لم يرتكب باعتراف بيلاطس وغيره كما ورد في الأناجيل من الأخطاء ما يجعله ملعوناً من الله مستحقاً للتعليق على الصليب .

الثالث : لا يستطيع عاقل أن يقول إن تعذيب إنسان غير مذهب للتكفير عن الآخرين المذنبين هو منطق العدل والرحمة ، بل مقتضى العدل أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومقتضى الرحمة أن يتجاوز الرحيم عن أخطاء الخطئين دون أن يعرض البراءة للقتل والصلب والتعذيب . ولو قالوا إن المسيح هو الذي قبل ذلك بمحض اختياره ورضاه ، قلنا لهم إن من يعذب نفسه بقطع يده أو إبلام جسده أو إمزهاق روحه ، يكون مذبذباً أليماً ولو أراد ذلك وارتضاه .

رابعاً : ما زعموه من كون الله ملزماً بمقتضى العدل أن يعاقب البشر ، وبمقتضى الرحمة أن يغفر لهم إلى آخره ، يتناقض مع ما هو ثابت لله عز وجل من كونه لا يشئ عما يفعل إذ من ذا الذي أوجب عليه ما زعموه ؟ وهل كان سبحانه في حاجة إلى التوفيق بين مقتضى العدل ومقتضى الرحمة ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

خامساً : هذا التعليل الذي علل به النصارى صلب المسيح يلزمهم

(١) سفر التثنية لإصحاح ٢١ ، فقرة ٢٢ : ٢٣ .

بحب من فعلوا ذلك به عليه السلام إذ قد قدموا بهذا العمل هدية للبشر وهي تخليصهم من خطيئة دنسهم أمدًا طويلًا من الزمان ، وكانت مستظل دنسهم إلى آخر الدهر فلماذا نرى النصارى يكرهون اليهود ويمتدرونهم آثمين مذنبين في حق المسيح عليه السلام ؟

سادساً : لم يخلص الناس من الخطيئة — في زعم المسيحيين إلا بعد ما جاء المسيح وصلب وعلى هذا فإن كل من كانوا قبله مدنسون بالخطيئة بما فيهم الأنبياء عليهم السلام الذين هم محل عناية الله واصطفائه ، ومريم ابنة عمران التي هي أم المسيح نفسه مما يترتب عليه أن يكون المسيح عليه السلام هو الآخر مدنسًا بالخطيئة من جهة أمه ، فكيف يكون المخلص غير طاهر من الخطيئة ؟ ولو قالوا قد طهر الله مريم حتى يخرج المارث برحمها طاهرًا غير مدنس لقلنا ألم يكن الذي طهر مريم من خطيئة أبيها الأول كما تزعمون قادرًا على تطهير سائر الناس من تلك الخطيئة دون ما تعريض لشخص بلا ذنب للسجل والضرب ، والتعذيب والصلب ؟

ثم أين كان عدل الله ورحمته منذ خطيئة آدم حتى صلب المسيح ؟ أكان سبحانه طوال تلك الفترة حائرًا بين العدل والرحمة حتى قبل المسيح منذ ألفي عام تقريبًا أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم وبنيه ؟

سابعاً : ما زعمه من كون صلب المسيح كان للتكفير عن خطيئة البشر هو في جملته أمر يتنافى مع ما تقتضى به كل الشرائع من القناس بين الذنب والعقوبة ، إذ إن أكل إنسان من شجرة نهى عن الأكل منها لا تكون عقوبته قتل إنسان بعد صلبه وتعذيبه بشق أنواع العذاب

التي لا تكاد تحدث ، على حين أن الله سبحانه قد اختار بنفسه عقوبة الخطيء نفسه وجعلها حرمانه وزوجه من الجنة ونعيمها فكيف يظل سبحانه بعد هذا العقاب الذي اختاره بنفسه ووقعه على الخطيء فعلاً ، مضمراً للناس الشر والضغينة والغضب حتى يأتي المسيح عيسى فيفرغ فيه كل هذا بغية تكفير ذلك الخطأ وحده عن الناس ؟ ثم ما مصير باقي خطايا الناس وفيها ما هو أشد وأفظع ، وأنتكي وأشنع من خطيئة آدم ؟ ومن ياترى المخلص المنتظر الذي سيأتي ليكفر عن الناس باقي الخطايا ؟ وإذا كان تطهير الناس من معاصيهم والتكفير عن خطاياهم لا يكون إلا بالأهوال والآلام فهل من يتوا بعد الطوفان الذي اجتث من فوق الأرض أصول الظلم وقواعد الظالمين ما زالوا آثمين ولم يبرثوا من إنهم حتى جاء المخلص فحمل عنهم وعن غيرهم الآثام والأوزار ؟ هذا وقد حاول بعض كتّاب المسيحيين أن يرد على مثل هذه الأمور وغيرها بأن الله سبحانه لم يكن محتاجاً في التكفير عن خطايا الناس إلى تجسيد السكامة وصلبها ، واسكنه فعل ذلك مفديا البشر بأعز ما لديه ، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريراً .

وبأن الإله الابن شاء مع الإله الآب أن يعطيا للناس أمثلة من المحبة خالدة تبقى على الدهر ، وتحركهم على الندامة على ما اقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة^(١) .

ونحن نقول ليس من الحكمة في شيء أن نفتدى بدينار ما يحتاج

(١) انظر مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شاذلي ط. مطبعة النهضة المصرية

الطبعة الرابعة من ١٤٩ وما بعدها .

فى الفداء إلى درهم ولا من الحسكة فى شىء أيضاً أن نبى صروح المحبة
والوئام على أنهار من الدم والآلام بل لیس من المنطق السليم أن یضحى
أب بابنه من أجل شىء هو قادر على تنفیذه بدون تلك التضحية
المرة المؤلمة .

كانت هذه مناقشات عقلية هادئة لما علموا به صلب المسيح علیه
السلام أردنا بها إبراز مدى بطلان هذا التعلیل الذى لجئوا إليه
واعتمدوا علیه فى تبریر ما زعموه من صلب المسيح علیه السلام .
نظرة عقلية فى قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل :

أما قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل على النحو الذى أسلفنا بعضاً
منه فإن الباحث فيها بمق ودقة يجد بین كتابها من التخالف والتناقض
فى روايتها ما يؤكد للقارىء أنهم لم يشهدوها شهود معاینة ، وإن كانوا
قد شهدوها فإنهم لم يعاينوها المعاینة الدقيقة التى تتيح نقلها على وجهها
الصحيح القريب من الائتلاف والبعید عن الاختلاف بل لم تنقل إليهم
نقلاً موثقاً به حتى یتسنى لهم ذكرها ذكرًا متوافقاً لا متخالفًا ، الأمر
الذى يفقد الباحث ثقتة فى رواة تلك القصة ونقلها ويجعل التصديق بها
غير سائغ ولا مقبول .

ولو أن ما بین هذه الأناجيل من تخالف فى رواة تلك القصة كان
قليلاً لكان الأمر أو كاد ، واسكن الأناجيل الأربعة لم تختلف
فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصیل مسألة صلب المسيح وقتله
ثم قيامته فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحد هذه الأناجيل تتحدد

مع الجزئية نفسها في الإنجيل آخر .

من تلك الاختلافات ما يأتي :

١ - حدد متى ومرقس المكان الذي جاء إليه المسيح وتلاميذه بقرية جثسياني ، وجعله لوقا جبل الزيتون ، وقاربه يوحنا حيث قال لهم جاءوا عبر وادي قدرون حيث كان بستان .

٢ - اتفق متى ومرقس على أنه أخذ معه بطرس وابني زبدي وخالفهما لوقا ويوحنا حيث ذكر الأول أنه انفصل عنهم مقدار رمية حجر وصار يصلي وأسقط الثاني هذه العبارة من إنجيله .

٣ - اتفق متى ومرقس على أنه قال لمن معه نفس حزينه حتى الموت وطلب منهم أن يمسكوا في المكان الذي كان فيه وأن يسهروا معه ، ثم أخذ يصلي مناجيا الله قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه السكاس ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت ، ثم عاد إلى تلاميذه فوجدهم نياما فعاتب بطرس وأمرهم بالسهرة . ثم راج يصلي ثم جاء إلى القلاميذ فقال لهم ناموا واستريحوا وأخبرهم بأن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الآمنين - وطلب منهم أن يقوموا وينطلقوا لأن من سيسلمه قد اقترب وأما لوقا فقد زاد أمرين :

أحدهما : أن ملكا من السماء نزل إلى المسيح يقويه وهو يصلي .

ثانيهما : أنه كان يصلي بأشد الحاجة وصار عرقه كفطرات دم نازلة على الأرض . وأسقط بحقيقته إلى القلاميذ للمرة الثالثة .

وأما يوحنا وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر القلاميذ فقد أسقط ذلك كله ، وهذا دليل على أنه لم يحدث شيء من ذلك .

ولسنا نمرف إذا كان الملك قد جاءه وهم نيام فما الذى أدرام به ؟
وإذا كان قد صار عرقه كقطرات الدم وهم نيام لم يروا شيئاً فكيف
يثبتون هذا ؟

٤ — قال متى وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثنى عشر قد جاء
ومعه جمع كثير بسيف وعصى من عند رؤساء السكينة وشيوخ
الشعب ، والذى سلمه أعطاه علامة قائلاً : الذى أقبله هو —
أمسكوه ، فى الوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله ، فقال
يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على
يسوع وأمسكوه .

وافق مرقس متى فى هذا المعنى ، وقال لوقا إن المسيح قبل له :
يا يهوذا أبقية تسلم ابن الإنسان ؟ بدل قوله يا صاحب لماذا جئت وزاد
لفظ « والكتبة » قبل شيوخ الشعب ، وأستط يوحنا « الكتبة
وشيوخ الشعب » وزاد « الفريسيين » ولم يذكر أن يهوذا قبله أو دل
على ، بل قال أنه كان واقفا معهم وزاد أن المسيح خرج إليهم وقال لهم
من تطلبون ؟ قال يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو وأنه لما قال لهم
ذلك رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، ثم أعاد سؤاله وأعادوا
الجواب ثم قال فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون .

٥ — ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ثم أن بطرس استل سيفه
وضرب عبد رئيس السكينة فتقطع أذنه فأمره المسيح برد سيفه إلى مكانه .
وقال أظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر
من اثنى عشر جيشاً من الملائكة فكيف تكمل الكتبة ؟

إنه هكذا ينبغي أن يكون ثم قال : وأما هذا كله فقد كان
لكي تسكل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .
أما مرقس فقد وافقه في المعنى إلا هرب التلاميذ كلهم وزاد قوله :
وتبعه شاب لابسا إزارا على عربه ، فأمسكه الشبان فترك الأزار
وهرب عريانا — وهو يريد بذلك الشاب يوحنا ذلك الغلام الذي كان
المسيح يحبه ، وأما لوقا فلم يذكر من ذلك كله سوى أن بطرس ضرب
عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح بأن يغمد سيفه ، وانفرد
عن الجميع بأن المسيح لمس أذنه وأبرأها وأما يوحنا فلم يزد شيئا بل نقص
جلا وانفرد بذكر اسم العبد الذي قطعت أذنه أن اسمه « ماخس » .

٦ — ما قصه يوحنا بين المسيح وطالبيه من حوار وقوله لهم .
من تطلبون وقولهم يسوع الناصري ، ورجوعهم وسقوطهم ، بعد قوله
لهم أنا هو — يدل دلالة واضحة على رجوعهم عن المطلوب من جهة
ولامساكهم بغيره دون ما شك من جهة أخرى ، ولم يذكر يوحنا تقبيل
يهوذا آياه ، وتسليمه لهم ، بل المسيح هو الذي دلهم على نفسه إن كان
هو الذي قبض عليه كما زعموا .

٧ — انفرد يوحنا عن الأناجيل الثلاثة بما ذكره من : أنهم
ذهبوا للقبض عليه وجاء « يهوذا » إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح
ولعل هذا هو المعقول لأن الوقت كان ليلا وهم لا يعرفون المسيح ،
بدليل أنهم استأجروا يهوذا الإسخريوطي ليدلهم عليه ، وقد ثبت
من رواية يوحنا أن يهوذا هذا لم يدلهم عليه ولم يشر إليه وإذن فقد
أخذوا من أعلن عن نفسه أنه المسيح صادقا كان أو كاذبا ولا سبيل

لمعرفته ما دام يهوذا ساكتا والليل مسدل أستقاره .

٨ - أجمعت الأناجيل الثلاثة على أن الذين ذهبوا للقبض على يسوع هم الجند وخدام اليهود ، وانفرد لوقا وحده بأن رؤساء الكهنة كانوا قد ذهبوا للقبض عليه .

٩ - اتفق متى ومرقس ولوقا على أن الذين قبضوا على المسيح قد مضوا به إلى قيافا « رئيس الكهنة حيث اجتمع عنده الكتبة والشيوخ ، وخالفهم يوحنا ، فذكر أن الذين أوثقوه قد ذهبوا به إلى « حنان » حما « قيافا » .

١٠ - اتفق متى ومرقس ولوقا على أن بطرس وحده هو الذى تبع اليسوع من بعيد إلى دار رئيس الكهنة ، وخالفهم يوحنا حيث ذكر أن الذى تبع المسيح إلى دار رئيس الكهنة هو بطرس والتلميذ الآخر يعنى نفسه ^(١) .

فبين الأناجيل الأربعة فى روايتها لقصة صلب المسيح عليه السلام التى هى أصل عقيدتهم وأساسها كما ترى من الاختلافات الشكلية والجوهرية ما يشكك أدنى الناس نظرا فيما تقوله وترويه ، فكيف يفتأى لما قل أمام تلك الاختلافات أن يثق فى رواية تلك القصة ثقة تجعله يؤمن بها ؟ .

(١) انظر فى هذا الموضوع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ط مؤسسة الحلبي وشركاه ص ٤٣٣ ، ودعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام للاستاذ منصور حسن ، وكبيل النائب العام ط الشركة المصرية للطباعة والنشر ص ٢٤ وما بعدها ، وتفسير المنار .

نظرة في أدلة المنصاري على صحة الصاب من جهة العقل

وأما ما ذكره من الأدلة العقلية على ثبوت قصة الصاب وحقيقتها، فإنه فيما نرى غير مقبول ولا معقول لما يأتي :

أولا : ما ادعوه من تواتر مسألة الصاب تواترا يفيد العلم اليقيني القطعي مرفوض ، لأن التواتر هو إخبار جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب بشيء قد أدركته إحدى حواسهم إخبارا متفقا عليه إتفاقا كاملا بحيث لا يختلف أحد الخبرين بذلك الشيء عن صاحبه إختلافا شديدا في صلب ذلك الخبر المنقول .

هذا إن كان التواتر في الطبقة الأولى فقط ، فإن كان في الطبقات التي تليها كان ما بعد الأولى ناقلا عنها ولا بد أن يقوفا فيهم أيضا الشرط السالف الذكر وهو كونهم من السكثرة بحيث يحيل العقل تواطؤهم على الكذب واتفاقهم عليه ، وأن يقوفا فيهم شرط آخر هو أن يكون كل فرد من أفراد تلك الطبقة قد سمع ذلك الخبر الذي يرويه من فوقه وهكذا حتى يبلغوا الطبقة الأولى دون ما انقطاع في سند أي منهم ، فإن اختل شرط من هذه الشروط فلا ينعقد التواتر . وأني للمنصاري بمنزلة هذا اللون من الفقل ، والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون في مجموعهم حد التواتر من ناحية ولم يفتقروا في جل ما كتبوه من ناحية أخرى مما يدل على أنهم لم يخبروا عن مشاهدة ومن قيل عنهم إنهم شاهدوا هذه الواقعة كانوا ممن لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم كبعض النساء .

فإن مريم المجدلية التي هي أعرف الناس بالمسيح كما يقولون قد اشتهرت فيه وظنت أنه البستاني على ما ذكره يوحنا في الإنجيل ، ثم إن ما عزي إليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة إلى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيها دينهم ، وقد بينا في بداية هذا الكتاب شيئاً مما أصاب أسانيد أهل الكتاب من الانقطاع والاعضال وجرح كثير من الرواة بالكفر والنفاق ، بله الكذب والتدليس وسنزيد هذا الموضوع بحثاً عند ردتنا على شبهات المشركين حول قصة الصلب .

ثانياً : ما ذكره من كون الأناجيل الأربعة متفقة في روايتها لقصة صلب المسيح وقيامته مما يدل على صدق تلك القصة وصحتها ، هو فيما نرى شيء غير مقبول لأن أناجيلهم هذه لم تختلف في شيء اختلافها في رواية قصة الصلب على ما بيناه آنفاً فنأين لهم بدعوى الاتفاق هذه .

على أن وصفهم للأناجيل بالعصمة من الخطأ مغالطة كبيرة لأن في الأناجيل من الأخطاء والأغلاط ، والاختلاف في الروايات ما لا يكاد يحصى وقد بينا طرفاً من ذلك في بداية هذا الكتاب .

هذا بالإضافة إلى أنه لا دليل على عصمة هذه الكتب ولا على أن كتابها كانوا معصومين ، بل لا دليل على نسبتها إلى من نسبت إليهم ، لأنها غير متواترة كما تقدم ، بل هي معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا ، وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجحاً عندنا لأنهم اتبعوا

في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقة لنا بأهلها ، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا ، وممتخلفة في قصة الصلب وغيرها تخالفاً يظهر ما بينها من تعارض وتضاد . ثم هي فوق هذا كله معارضة بالقرآن العزيز ذلك الكتاب الإلهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره فقصارى تلك الكتب أنها تفيد الظن بالقرائن كما قال تعالى : (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) والزائن قطعى فوجب تقديمه لأنه يفيد العلم القطعى .

وبعد أن انتهينا من مناقشة تلك القصة وأسبابها بمنطق العقل السليم نستأذن القارئ الكريم في أن نزنها بميزان القرآن الحكيم فنقول وبالله التوفيق .

قصة الصلب وأسبابها في ميزان القرآن الحكيم

إن أدنى نظر فيما كتبه اليهود والنصارى عن مسألة صلب المسيح يهذى صاحبه إلى إدراك ما عليه الفريقان من تباين وتضاد في تلك المسألة .

فاليهود ينفضون أيديهم تماماً من كل مامس المسيح بسوء ، عظم أو حقير ، قل أو كثير ، والنصارى يحملون اليهود جرم ما حدث للمسيح من الآلام والأهوال بدءاً من الشتم والسب وانتهاء بالاعذيب والصلب وتظل الحفيظة حائرة تائهة بين المغالين في الإنكار والمغالين في الاتهام ، حتى يأتي القرآن الكريم فيكشف الغطاء عن أبعاد تلك الحقيقة وزواياها ، ويبرزها للناس واضحة كالشمس لا تعرو السحاب سماها ،

فيقرر من جهة أن اليهود كفروا بعيسى عليه السلام ورموا أمه بالبهتان العظيم وآذوه قاطمين في أذاه الشوط إلى مداه ، إذ قد تأمروا على قتله كما فعلوا بغيره من الأنبياء السابقين وخططوا لصلبه كما كان يفعل بالخطاة الآثمين لكنهم في هذه المرة لم يفلحوا ، فاقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وبين من جهة أخرى أن من اعتقدوا وقوع القتل والصلب على المسيح كانوا في معتقدهم هذا مخطئين ، إذ ما قتل اليهود عيسى يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً . بين الحق سبحانه في كتابه الحكيم هذين الأمرين بقوله في سورة آل عمران ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ (١) .

وقوله تعالى في سورة النساء (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بل قبل موته ويوم القيامة يكون

(١) آيات ٥٤ ، ٥٥ .

عليهم شهيداً^(١) .

تأويل هذه الآيات :

قال المفسرون في تأويل الآيتين السالفتين من سورة آل عمران ما خلاصته — أن اليهود الذين أحس عيسى منهم الكفر قد دبّروا المؤامرات لقتله ، واتخذوا كل الوسائل لتففيذ هذا المأرب الذميم محاربة منهم لله ولرسوله عيسى عليه السلام كما فعل أسلافهم بالأنبياء الآخرين فأبطل الله تدبيرهم ، وأحبط كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا ، بل نبى الله نبيه عيسى — عليه السلام — من شرورهم (والله خير الماكرين) أى أحكمهم تدبيراً وأنفذهم كيداً ، وأقدرهم على عقاب الآئمين من حيث لا يشعرون ، وإنجاء الشرفاء المصلحين ، بله الأنبياء والمرسلين من أيدي الطغاة المفسدين العابثين ، ولم تسكن نجاة عيسى عليه السلام من مكر أعدائه أمراً غير معلوم له بل قال له ربه عز وجل إني متوفيك ورافئك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، فأما رفعه وتطهيره من الذين كفروا فقد وقع له عليه السلام فى اللحظة التى أحاطوا فيها ببيته وظنوا أنهم قد ظفروا به عندئذ نجاه الله من بينهم ورفعهم من روزنة^(٢) ذلك البيت إلى السماء ، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده فى المنزل ، فلما دخل أولئك اعتقدوه فى ظلمة الليل عيسى عليه السلام فأخذوه وأهانوه وصلبوه ، ووضعوا على رأسه

(١) آيات ١٥٥ - ١٥٩ .

(٢) الروزنة : السكرة ، وهى خرق فى أعلى المقف ، وهى كلمة معربة .

الشوك . وكان هذا من مكر الله بهم ، فانه نجى نبيه ورفعهم من بين أظهم وتركهم في ضلالهم يعمهون .

وأما كون الذين اتبعوه قد صاروا بأمر الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة فقد وقع لكل من آمن بعيسى عليه السلام نبياً ورسولاً من الله إلى الناس وصدق بوحدانية الله عز وجل ونفذ ما جاء به رسول الله عيسى من عنده ، وكذا أولئك الذين صدقوا بشارته عيسى برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل إلى الناس فآمنوا به وصدقوه وانضوا تحت لوائه مدعين لما جاء به تاركين ما كانوا عليه من تعاليم النصرانية ما اعتدل منها وما انحرف لما علموه من أن الدين الإسلامي ناسخ لما سبقه من سائر الأديان وأن كل الناس على اختلاف عقائدهم مطالبون بالدخول في الإسلام هؤلاء وأولئك من أتباع عيسى عليه السلام قد جعلهم الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .

وأما وفاته عليه السلام فسوف تتحقق إن شاء الله بعدما ينزل إلى الأرض ويقتل الخنزير ويكسر الصليب كما أخبر بذلك الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ثم يجتمع الخلق بين يدي الخالق يوم القيامة فيحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بالقول الفصل والحكم العدل الذي يندم بعده الخطئون أشد الندم ولا ينفعهم ندم ، ويسر بعده الصالحون المخلصون أبلغ السرور ولا يصيبهم أبداً ألم .

والتفت عن الغيبة في قوله (ومكروا) إلى الخطاب في قوله (ثم إلى مرجعكم) الآية ليشمل حكمه سبحانه المسيح والمختلفين معه ، ولا اختلاف (١٨ - المسيح)

بين أتباعه والكافرين به ^(١) وقال المفسرون في تأويل ما أسلفنا من آيات سورة النساء ما خواء أن الله لعن اليهود وجعل قلوبهم قاسية بسبب ما نقضوا من اللوائح والعهود ، وما ارتكبوا من الكفر بالله سبحانه وقتل أنبيائه ، وادعائهم غاظة قلوبهم وكونها مغاة لا تقبل إلا ما أغلقت عليه وما اقترفوه من الكفر برسالة عيسى ابن مريم وقولهم على أمه بهتاناً عظيماً ، وادعائهم أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم الذي كان يقول عن نفسه إنه رسول الله .

ووصفهم هذا لعيسى بالرسالة ليس اعترافاً منهم بأنه رسول الله وإنما وصفوه بها على سبيل التهم والافتراء أى قتلنا هذا الذي كان يدعى لنفسه منصب الرسالة كقول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ^(٢)) .

وكان من خبر اليهود أنهم لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى ، وأيده بالمعجزات الباهرات كإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله وتصويره من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وإخباره من معه بما يأكلون وما يدخلون في بيوتهم إلى غير

(١) أنظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٥٧ وما بعدها .

وتفسير ابن كثير ج ٢ ط الشعب ص ٣٦ وما بعدها والمختب في تفسير القرآن الكريم تأليف لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ، طابع المجلس ص ٧٩ .
وتفسير سورة آل عمران لفيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى ط ، مطبعة السعادة ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) الحجر من الآية ٦ .

ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه ، لما بعث الله عيسى وأيده بهذا كله حسدوه على ما آتاه الله من فضله فكذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى اضطروه وأمه سلام الله عليهما إلى عدم مساكنتهم فكان يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لأنهم لم يقيموا بهذا كله فسموا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان — وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته : اليونان وأنهموا إليه أن في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا ، وكتب إلى نائبه ببيت المقدس أن يحال على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ، ويكف أذاه عن الناس فلما وصل الكتاب امتثل متولى بيت المقدس ذلك ، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثنا عشر أو ثلاثة عشر — وقيل سبعة عشر نفرا — وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصره هنالك ، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه ، أو خروجه لهم قال لأصحابه : أياكم باقى عليه شئ ، وهو رفيقى في الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكانه استصفوه عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو ، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك .

فلما رفع خرج أولئك الغفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه

عيسى ، فأخذوه في الليل وصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه ، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتيججحوا بذلك ، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ، ماعدا من كان في البيت مع المسيح فانهم شاهدوا رفعه ، وأما النباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم ، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت .

وهذا كله من امتحان الله عبادہ ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة هذا رأى ، وهناك رأى آخر يقول : إن الله — تعالى — ألقى شبه عيسى عليه السلام — على من خانه ودبر قتله وتآمر مع اليهود عليه من تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطى الذى أُرشد الجند إلى مكان عيسى وقال لهم : من أقبله أمامكم يكون هو المسيح ، فاقبضوا عليه لقتلوه ، فلما جاء إلى المكان الذى كان فيه عيسى وتلاميذه ليدل الجند عليه ليقتلوه رفع الله عيسى وألقى شبهه على ذلك المنافق الخائن فقبضوا عليه وقتلوه وهم يظنون أنه عيسى .

وقد أوضح الله الأمر وجلاله وبينه وأظهره في القرآن العظيم الذى أنزله على رسوله الكريم ، المؤيد بالمعجزات البينات والدلائل الواضحات ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين ، ورب العالمين ، والمطلع على السرائر والضمائر ، الذى يعلم السر فى السموات والأرض العالم بما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون (وما قتلوه وما صلبوه واشكن شبه لهم) أى رأوا شبهه فظنوه إياه . ولهذا قال : ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾

يعنى بذلك : من ادعى قتله من اليهود ومن سلمه من جهة النصارى كلهم فى شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ، ولهذا قال : (وما قتلوه يقيناً) أى : وما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل شاكين متوهمين (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً) أى منيع الجنب ، لا يرام جفابه ولا يضام من لاذ بهابه (حكماً) أى فى جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التى يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، والسلطان العظيم ، والأمر القديم ، ثم إنه سبحانه لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وبين أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وأنه قد نجاه منهم وجعله رغم كيدهم وحقدهم فى أجل المناصب وأعلى المراتب :

قال تعالى محققاً لما أثبتته فى الآية السالفة ، من القطع بكذبهم ومثبتاً أنهم رغم مبالغتهم فى عداوة عيسى والسكندله سيكونون فيما يستقبل من الزمان من أتباعه المصدقين بجميع أمره الذى منه التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم (وإن من أهل السكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) .

أى ما أحد من أهل السكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان إلا ليؤمنن به قبل موته أى موت عيسى عليه السلام فهو ان يموت حتى ينزل فى آخر الزمان يؤيد الله به دين الإسلام تأييداً يجعل أهل الملل يدخلون فيه وفى هذا إشارة إلى أن موسى عليه السلام إن كان قد أیده الله تعالى بأنبياء كثيرين جددوا دينه زمناً طويلاً فالنبي الذى ينسخ شريعة موسى ، وهو عيسى عليه السلام ، هو الذى يؤيد

الله به هذا النبي العربي ، في تجديد شريعته ، وتمهيد أمره ، والذود عن دينه ، ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة ، أمر قضاء الله تعالى في الأزل ، فكفوا أيها اليهود عما أتم عليه ، وارجعوا أيها النصارى عما صرتم إليه لأنه مامن أحد من أهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك ، إلا وهو يوقن بعيسى عليه السلام قبل موته ، بعد نزوله من السماء ، أنه ما قتل وما صلب ، ويؤمن به من بعد زوال الشبهة .

(ويوم القيامة يكون) أى عيسى سلام الله عليه (عليهم) أى على أهل السكك (شهيدا) أى بأعمالهم التي شاهدوها منهم قبل رفعه إلى السماء . وبعد نزوله إلى الأرض ، فهو كما قال قتادة يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله ، وأقر بعبوديته لله عز وجل ^(١) وإلى هذا يشير الحق سبحانه بقوله في سورة المائدة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَتْلُمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . . . مَا قُلْتُ لَهُمْ لَا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

(١) انظر تفسير ابن كثير ط الشعب ج ٢ ص ٣٩٩ وما بعدها ، وتفسير المنار للشبلي رشيد رضا ج ٦ ص ١٤ وما بعدها . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . وتفسير القاسمي ج ٥ ص ١٦٣ وما بعدها . ط دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني الحلبي ، وتفسير سورة النساء للدكتور محمد السيد طنطاوي . ط مطبعة السعادة ص ٤٩٢ وما بعدها .

كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، إن تعذبهم فلهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴿ ١١٦ ١١٨ ١١٩ ﴾ هذا أقوى ما جاء عن المفسرين من أشهر الآراء في آيات آل عمران والنساء التي أسلفناها وسنورد مزيداً من البحث حول هذه الآيات عندما نعرض لآراء المسلمين في كيفية وفاة عيسى ورفعته وأقوالهم في ذلك .

القائول المسيحي لآيات الصلب في القرآن :

نقل الشيخ القاسمي رحمه الله عن أحد المسيحيين المعاصرين له تفسيره

لآيات الصلب في القرآن فقال ما خلاصته :

ألف أحد المسيحيين كتاباً سماه (المعتقد الصحيح في صلب السيد المسيح) زعم فيه أن القباس آية الصلب هو غالباً في تقدير نائب الفاعل لفعل (شبه لهم) فإننا إن قدرنا نائب الفاعل مصدراً مأخوذاً من الفعل السابق المذكور في الآية ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ وكان التقدير : شبه لهم أنهم قتلوه وأنهم صلبوه ، أو شبه لهم قتلهم له وصلبهم إياه . والمعنى أنه مثل أو خيل لهم أنهم كانوا هم القاتلين وهم الصالبين انجحت المسألة تقريباً ، وزالت كل صعوبة في التأويل حيث إن السيد المسيح لم يقتل أصلاً ولا صلب قهراً ، أو مات جبراً أو اضطراراً بل هو نفسه قدم ذاته للصلب عن رغبته واختياره ورضاه ، فكان اليهود لم يفعلوا شيئاً بقدرتهم وبمجرد إرادتهم حتى يحق لهم الافتخار بأنهم قتلوه ، وأما إن قدر المسيح نائب الفاعل لـ (شبه) تمعدت المسألة وضاع السياق اللغوي لأنه لا وجه ، لغويًا ، في الآية يثبت وقوع الصلب على رجل آخر

غيره . إذ لم يذكر صريحا ولا إشارة .
وليس في القرآن كله ما يفيد أن الله أنب النصارى ولا مرة واحدة على ضلال اعتقادهم بصلب المسيح وموته وقيامته ، ولا كذب الإنجيل أو الحواريين ، ولا لام الذين آمنوا بصلب المسيح على حين أنه أنبهم في القرآن غير مرة على كثير من الضلالات عندهم ولم ترد كذلك أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ بنفى صلب المسيح فدل هذا كله على أن هذه الآية يصح تأويلها إيجابيا طبقا لما في الإنجيل ، قياسا على غيرها من الآيات القرآنية الأخرى المجاسة لها التي أوت بخلاف ظاهرها اللفظي كأفعال المباينة والربى والموت والحياة وما أشبه ذلك والتي نسبت صراحة لغير فاعلها الظاهر .

فقولنا إن القرآن العزيز قصد نفي نسبة الصلب لليهود وإسناده لله حقيقة ، هو استناد على قوله ﴿ فلم تقتلوه ﴾ ولكن الله قتلهم وما رميت إذ وميت ولكن الله رمى ﴿ الأنفال / ١٧ .

وقوله : ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ^(١) فهنا الفاعل الظاهر حسا وفعلًا إنما هو الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ولكن الفاعل الحقيقي إنما هو الله الفاعل لكل شيء ، وربما يعترض بأنه ذكر في الآية نفسها أن الله رمى ، وأنه تعالى هو المبايع .

فنقول : كذلك في آي : الصلب وإخباره مرارا عديدة صرح في الإنجيل أن الفاعل والمسلم والبازل والحاكم والآذن في أمر الصلب

إنما هو الله جل جلاله . فآية الصلب القرآنية على تفسيرنا هذا هي صحيحة في ذاتها تماما وكلا ، ومطابقة أشد المطابقة لما ورد في القرآن بهذا الشأن ، ولكل خوى أسفار الميثاقين أو العهدين بكل بيان ، أما تفسيرها بمطلق النفي فهو غلط وضد الحققة والذوق اللغوى وضد ما جانسها في الآى الأخرى من نفس القرآن ، ومن نصوص متأثر السكتب المنزلة ولا سيما الإنجيل الذى زبدته وروحه وقوامه وخلاصته هي كون المسيح صلب ومات وقام وعرج إلى السماء وأرسل البارقليط الآخر الرسول محمدا مبلغ القرآن العظيم ، الحاوى لروح الصدق والحق ، والمذكر بكل ما قال المسيح في الإنجيل الشريف ^(١) .

هذه خلاصة ما نقله الشيخ القاسمى عن هذا المسيحى من تأويلاته
لآية الصلب فى القرآن .

بيان بطلان هذا التأويل :

اعتمد صاحب هذا التأويل على الذوق اللغوى فى تفسيره لنائب الفاعل فى قوله تعالى (شبه لهم) وزعم أن المناسب للسياق واللغة أن يكون نائب الفاعل فى قوله (شبه) ضميرا يعود على المصدر المأخوذ من قوله (وما قتلوه وما صلبوه) وعليه فيكون المعنى فى نظره وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم قتله وصلبه ، وبنى على تأويله هذا ما ذكرناه سلفا من مفاهيم ظن أنها مقنعة مرضية ونسى أو تناسى بقية الضمائر الموجودة فى الآية السكريمة والتي ترتبط ببعضها ارتباطا

(٢) أنظر تفسير القاسمى ط الحلبي ج ٥ ص ١٦٨٩ وما بعده .

وثيقاً فلو قلنا شبه لهم القتل والصلب اسكان عليهما أن نقول إن الضمير في (فيه) و (منه) و (به) و (وما قتلوه) و (رفعه) و (موته) و (يكون) راجع إلى القتل والصلب أيضاً وعليه فيكون المعنى ولكن شبه لهم القتل والصلب ، وإن الذين اختلفوا في القتل والصلب لنفي شك من القتل والصلب ما لهم بالقتل والصلب من علم إلا اتباع الظن وما قتلوا القتل والصلب يقينا ، بل رفع الله إليه القتل والصلب .
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالقتل والصلب قبل موت القتل والصلب ويوم القيامة يكون القتل والصلب على الناس شهيدا فهل هذا المعنى ينسق مع الذوق اللغوي ويساير السياق اللفظي للآية إنه لا شك لا يوانم شيئاً من ذلك ولكنها النفوس الراضية تريد أن تغطي الحقائق بأي غطاء ولو كان على حساب الاستهتار بالعقول والاستخفاف بها كما فعل صاحبنا بقاويله السالف لآي الصلب في القرآن .

أدلة من الكتاب المقدس على صدق القرآن في نفي الصلب

عن المسيح عليه السلام

إن الباحث فيما تحت أيدينا الآن من العهدين القديم والجديد يجد فيهما من حين لآخر - رغم ما أصابهما من التعريف الشديد - ما يدل على صدق القرآن الكريم فيما ذكره من أن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه واسكنهم قتلوا وصلبوا رجلا غيره شبه لهم ورفع الله عيسى إليه ﴿ وكان الله عزيزا حكيم ﴾ .

فأما العهد القديم فقد احتوت أسفاره من النبوءات عن المسيح
الشيء الكثير كما يقول الفصاري ، ولا سيما سفر الزامير فإنهم يحملون
له عندهم اعتبارا خاصا لكثرة ما تضمنه في نظارهم من النبوءات الكثيرة
عن السيد المسيح وما سوف يتعرض له في مستقبل الزمان من القتل
والصلب على يد أهل الإثم والطغيان .

قال القمص سرجيوس : في سفر العكوين كان فجر النبوة وفي
الأسفار الغالية كان تدرجها في الارتفاع حتى تكبدت السماء في سفر
الزامير وظهر المسيح فيه واضحا جليلا في كمال مجده كأنه الإنجيل يتكلم
عن يسوع من كل مناحي حياته عن أهواله وأحواله وتعاليمه وظروفه
وأحواله . تتكلم الأنبياء عن المسيح فأشار كل واحد منهم إليه من
ناحية أو نواح أما سفر الزامير فكان كالمالة أحاط بكوكب يسوع
فتكلم حتى عن احساساته العميقة وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته
والقابه أكثر من أي نبي آخر .

ويمكننا القول بأن سفر الزامير هو سفر مسيا الخاص بدليل أن
الافتباسات التي اقتبسها كتيبة العهد الجديد من سفر الزامير هذا قد
بلغت إلى نصف الافتباسات المأخوذة من العهد القديم^(١) . هـ . . .
لذا فقد تتبعنا هذا السفر دون غيره من أسفار العهد القديم لنقف
على حقيقة ما أنبأ عنه من أخبار السيد المسيح عليه السلام .
وقد وجدنا من خلال هذا التتبع أن تلك الزامير تتحدث عن المزامرة

(١) أنظر كتاب هل تنبأت التوراة عن المسيح للقمص سرجيوس ٢٨

على المسيح فتصف المتآمرين دائماً بالشر وتصف الشخص المتآمر عليه بأنه كثيراً ما كان يدعو الله أن ينجيه ويخلصه ويستجيب له ، وتبين أن هذا الداعى حقيق بأن يستجاب دعاؤه لأنه كامل ليس فيه غش ولا في قلبه إثم ، ولأن الحق والعدل والرحمة كلها تنفض بأن يستجاب دعاؤه ، صورة سامية تصورها المزامير لإنسان كامل هو هذا الداعى الذى لا يمكن أن يكون سوى المسيح عليه السلام ، ونجد دائماً في كل المزامير أن الله سيستجيب لدعاء هذا الكامل ، وسيخلصه ، سيرفعه ، سيمنّقه ، ثم تبرز لنا المزامير ، بعد اخبارها عن تخليص الله للشخص الذى ليس فيه غش ولا في قلبه إثم صورة أخرى لشخص بغيض لا يعرف الله إلا الحماقة والخزي والخلجل والعار والتآمر صورة تفسر في سائر المزامير مقترنة بأن هذا الشرير المتآمر هو الذى سيمصلب إذ الشرير معلق بعمل يديه ، وساقط في الحفرة التى حفرها لسيده ومعلمه الطيب الذى ليس فيه غش ولا في قلبه إثم ، ومنقشة برجله الشبكة التى أخفاها صورة كريمة لشخص بغيض تدل ملاحظه على أنه يهوذا الاسخريوطى فهو الذى خان المسيح سيده ، فنال جزاء خيانتة ، نفس السكاس التى كان قد أعدّها لمن خانته ، وتنقبا هذه المزامير في جملتها عن مؤامرة يهوذا الاسخريوطى مع أعداء المسيح للقبض عليه ، ثم تحرّكهم ليمسكوه ، وأما هو ، أى المسيح ، فيصلى لله ، وبضرع إلهيه ، ويدعوه أن يخلصه من الصلب الذى هو آت إلهيه على يد أعدائه ، ولكن صوت الأعداء يقترب والدعاء يزيد حرارة ، حتى إذا ما وصلوا إلهيه حسب المسيح للحظة أن الله قد تحلى عنه ، وأنه يريد له أن يصلب ، فلا يمانه

يرضخ لمشيئة الله ، وإذ يستسلم لمن قدموا ليقبضوا عليه إذا معجزة الله تقع ، وإذا هو مستجيب كل دعائه ، فيرفعه إليه ، ويرتد الأعداء إلى الخلف ويستطون وهم لا يدرون ماذا حدث ، ثم لا يجدون بينهم غير الشرير الخائن يهوذا الاسخريوطى ، فيقبضون عليه ، ويحاكم هو ويصالب على أنه المسيح عليه السلام ، وإذا يصلب يسكون قد علق بعمل يديه . هذه هي الصورة التي وجدنا الزامير تنبأ بها ووجدناها بكاملها في بعض الزامير ووجدناها متسلسلة كما هي في زمامير أخرى على التوالي ووجدنا في زمامير أخرى أيضاً جزءاً منها على حدته ، ولكن يجمع بينها جميعاً ، أنها على أى حال وجدناها عليه ، إنما تنبأ بصورة متكررة ولا تتغير فيما جميعاً ، فداًئماً هذا السكامل الذى ليس فيه غش ولا في قلبه إثم ، الله مستجيب لدعائه ومخلصه ورافقه إليه ، وداًئماً أيضاً هذا الشرير هو الذى سيصلب هو الذى يعلق بعمل يديه هو الذى يقع في الحفرة التي حفرها ، وبذلك تتضح النبوة في أجلى صورها وأصرح معانيها وأبهى صدقها وكالها .

ولعل من الأنفل لتوضيح ما ذكرناه من فحوى نبوءات الزامير عن المسيح عليه السلام وما دبر له من مؤامرات أن تجمع كل نوع من نبوءات سفر الزامير على حدة فنسوق الفقرات التي ترمز إلى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ثم الفقرات التي ترمز إلى استجابة الله لدعاء المسيح بتخليصه من الصلب ، ثم الفقرات التي ترمز إلى القبض على يهوذا الاسخريوطى ومحاكمته وصلبه ، لنستجمع من كل ذلك الحقيقة التي تنبأت بها الزامير .

أولاً : الفقرات التي ترمز إلى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب

قم يارب ، خلصني يا إلهي (مزمور ٣ : ٧)

عند دعائي استجب لي يا إله برى ، في الضيق رحبت لي ، ترأف
علي واسمع صلاتي (مزمور ٤ : ١) .

للكلماتي أصنع يارب ، تأمل صراخي ، استمع لصوت دعائي
يا ملكي وإلهي لأنني إليك أصلي ، يارب بالغداة تسمع صوتي بالغداة
أوجه صلاتي نحوك وأنتظر (م ١٠ : ٣) .

يارب نج نفسي خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك
(م ٦ : ٤ : ٥) .

يارب إلهي عليك توكلت خلصني من كل الذين يطردوني ونجني
(مزمور ٧ : ١)

يارب إلهي إن كنت قد فعلت هذا إن وجد ظلم في يدي أن كافأت
مسألي شراً وسلبت مضايقي بلا سبب ، فلا يطارد عدو نفسي وليدركها
وليُدس إلى الأرض حياتي وليحط إلى التراب مجدي (م ٧ : ٣ - ٥) .

أقضي لي يارب كحقي ومثل كالي الذي في ليقته شر الاشرار
وثبت الصديق (م ٧ : ٨ ، ٩) .

أرحمني يارب أنظر مذلاتي من مبغضني (م ٩ : ١٣) .

أنظر واستجب لي يارب إلهي . أنر عيني لئلا أناام نوم اللوث لئلا
يقول عدوي قد قويت عليه ، لئلا يهتف مضايقي بأني تزعزعت ، أما
أنا فعلي رحمتك توكلت (م ١٣٠ : ٣ - ٥) .

اسمع يارب للحق . أنصت إلى صراخي . أصنع إلى صلاتي من

شفتين بلا غش . جربت قلبى تمهدته ليلا محصتى لا تجسد فى ذموما
لا يعمدى فى (م ١٧ : ١ - ٣) .

« إليك يا رب أصرخ وإلى السيد أتضرع . . ما الفائدة من دى
إذا نزلت إلى الخفرة هل يحمذك التراب ، هل يخبر بحمك استمع يا رب
وارحمى يا رب كن معينا لى » (م ٨ : ١٠ - ١٠) .

« أصغ يا رب إلى صلاتى وانصت إلى صوت تضرعاتى فى يوم
ضيقى أدعوك » (م ٨٦ : ١ - ٧) .

« من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك » (م ١٣٢ : ١٠) .

« انتقذنى من أعدائى يا إلهى ، نجنى من فاعلى الإثم ومن رجال
الدماء خلصنى لأنهم يكمنون لنفسى ، الأقوياء يجتمعون على لا إلهى
ولا تخطيتى يا رب بلا إثم منى يجررون وبعدون أنفسهم استيقظ إلى لقائى
وانظر » (م ٩ : ٥ - ٤) .

ليستجب لك الرب فى يوم الضيق ، ليرفعك إسم إله يعقوب ليرسل
لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليمضدك ، ليذكر كل تقدمائك
ويستمن محرقاتك سله ليعطك حسب قلبك ويتم كل رأيك (م ،
٢٠ : ١ - ٤) ^(١) .

مما سبق يتبين أن هذه الفقرات تجتمع كلها على معنى واحد وإن
اختلفت ألفاظها فى التعبير عنه وهذا المعنى هو دعاء الله بالخلاص من

(١) انظر بقية ما جاء من هذه النبوة فى العهد القديم سفر الزاير ص ٨٣٤ مزمو
(١٦ : ١) ، (٢٨ : ١ - ٣) ، (٣١ : ٩) ، (٣١ : ١٤ : ١٧) ،
(٥٤ : ١ - ٣) ، (٥٥ : ١ : ٢) ، (٥٦ : ١ - ٣) ، (٥٧ : ١ : ٢) ،
(٦٤ : ١ : ٢) ، (٧١ : ١ - ٣) ، (٨٦ : ١٤ - ١٦) ، (١٠٩ : ١ - ٥)

ضيق الحياة ومضايقات أعداء الحياة ، ويلاحظ أن بعض هذه الفقرات يشير صراحة إلى أن الدعاة ليس مقصوداً به الزمن الحاضر وإنما يقصد به الزمن المستقبل كما في قوله (يا رب بالغداة تسمع صوتي) وأن بعضها الآخر يشير بوضوح إلى أن هذا الداعي يرى أنه حقيق بأن يستجاب دعاؤه كما في قوله : (أقضى لي يا رب كحقي ومثل كمالى الذى فى) . وأن جزءاً منها يشير إلى أن المقصود بيوم الخلاص المطلوب هو اليوم الذى يحاولون فيه القبض على المسيح وقد سمته الفقرات بيوم الضيق .

وأن جزءاً آخر يشير إلى أن يطلب التخليص منه هو الصلب والموت كما في قوله (خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرىك) وقوله (إلهيك يا رب أصرخ وإلى السيد أتضرع ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة) .

وأخيراً فإن فى هذه الفقرات إشارة صريحة إلى أن المدعوله بالخلاص من الموت والصلب هو عيسى عليه السلام ولا أدل على ذلك من قوله . « من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك » .

فالنبوة فى الزامير بما حدث من عيسى من دعائه لله بالخلاص من الموت والصلب يوم حاول أعداؤه القبض عليه أمر يبدو لا خلاف عليه لأنه إنما يتنبأ بواقعة متفق عليها عندهم .

ثانياً : الفقرات التى ترمز إلى تخليص الله للمسيح ورفعته إليه :

« بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه » (م ٣ : ٤) .

« يا بني البشر حتى متى يكون مجدى عارا . حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب فاعلموا أن الرب قد ميز تقييه ، الرب يسمع عندما أدعوه » (م ٤ : ٢ ، ٣) .

« ويفرح جميع المتسكمين عليك . إلى الأبد يهتفون وتظلمهم . ويتهيج بك محبو اسمك لأنك أنت تبارك الصديق يا رب . كأنه بترس تحيطه بالرضا » (م ٥ : ١١ ، ١٢) .

« أبعادوا عني يا جميع فاعلى الإثم لأن الرب سمع صوت بكائي سمع الرب تضرعي ، الرب يقبل صلاتي (م ٦ : ٨ ، ٩) .

« وجميع الفباثل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى » (م ٧ : ٧) .
« أنظر مذلتي من مبغضى يارافعى من أبواب الموت »
(م ٩ : ١٣) .

« يتهيج قلبي لخلاصك ، أغنى للرب لأنه أحسن إلى » (مز مود ١٣ : ٦ ، ٥) .

« لذلك فرح قلبي وابتهجت روح جسدي أيضاً يسكن مطمئنا
لأنك لن تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً » (م ١٦ : ٩ : ١٠) .
« أنا دعوتك لأنك تستجيب لى يا الله » (م ١٧ : ١٦) .

« الرب صخرتي وحصنى ومنقذى إلهى صخرتى به أحقنى قرسى
وقرن خلاصى وماجأى أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى اكتبتهنقى
حبال الموت وسيول الهلاك أفزعتنى ، حبال الهاوية حاقت بى أشراك
الموت انتشبت بى ، فى ضيق دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من
هيكله صوتى وصراخى ، قدامه دخل أذنيه ، أرسل من العلى فأخذنى
(١٩ - المسيح)

نُشأنى من مياه كثيرة ، أُنقذنى من عدوى القوى ومن مبعضى لأنهم
أقوى منى أصابونى فى يوم بلىتى . وكان الرب سفدى أخرجنى إلى
الرحب خلصنى لأنه سربى » (م ١٨ : ٢ - ١٩)

« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه
بجبروت خلاص يمينه ، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء الخيل ، أما نحن فاسم
الرب إلهنا نذكرهم جنوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا ، يارب
خلص ، لهستجب لنا الملك فى يوم دعائنا » (م ٢٠ : ٦ : ٩)

« لأنه يخبئنى فى مظلمته فى يوم الشر يستترنى بستر خيمته على صخرة
يرفعنى » (م ٢٧ : ٥)

« فديتنى يا رب إله الحق - ابتهج وافرح برحمته لأنك نظرت
مذلتى وعرفت فى الشدائد نفسى ولم تحبسنى فى يد العدو بل أقت فى
الرحب رجلى » (م ٣١ : ٥ - ٨)

« الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته الرب لا يتركه فى يده
ولا يحكم عليه عند محاكمته انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث
الأرض » (م ٣٧ : ٣٢ - ٣٤)^(١)

(١) انظر بقية ما جاء من هذه النبوءة فى العهد القديم ط عنتر سفر الزامير ص ٨٣٤
منمور (١٨ : ٤٣) و (١٨ ، ٤٦ - ٥) و (٢١ : ٦) و (٢١ : ١١)
و (٢٨ : ٦ - ٨) و (٣٠ : ١ - ٣) و (٣٠ : ١ - ٣) و (٣٠ : ١١) و (٣١ : ٢٢ ، ٢١)
و (٣٤ : ٤ ، ٦) و (٣٥ : ٩) و (٤٠ : ١ - ٢) و (٤١ : ١ ، ٢)
و (٥٥ : ١٦) و (٥٦ : ٩ - ١٣) و (٥٧ : ٢ ، ٣) و (٥٩ : ١٠)
و (٥٩ : ١٦ ، ١٧) و (٦٦ : ١٦ - ٢٠) و (٧١ : ١٥) و (٧١ : ٢٣ ، ٢٤)
و (٨٦ : ٧) و (٨٦ : ١٢ ، ١٣) و (٩١ : ٢ ، ٧) و (٩١ : ٩ - ١٦)
و (٩٤ : ٢١ ، ٢٢) و (١٠٩ ، ٣١ ، ٣٠) و (١١٦ : ٢ ، ١) و (١١٦ : ٥ - ٨)
و (١١٨ : ٥) و (١١٨ : ١٣ - ١٨) و (١١٨ : ٢١ - ٢٣) .

هذه هي النبوءة الثانية التي تنبأ بها سيحدث المسيح حينما يأتي أعداؤه للقبض عليه وبعد ما يكون قد استنفذ جهده وطاقاته كلها في الدعاء لربه كي يخلصه من كيده أعدائه ، وفيها يلح القارئ إشارات واضحة وصريحة إلى أن الله تعالى سوف يستجيب لدعاء المسيح ويخلصه من أيدي أعدائه الآثمين برفعه إليه من بينهم بعد ما يحثون ويسقطون ولعل من أوضح ما جاء في تلك النبوءة دلالة على ذلك قوله « وجمع الفباثل يحيط بك فعد فوقها إلى العلى » وقوله :

« يا رافعى من أبواب الموت » وقوله « أرسل من العلى فأخذنى » وقوله « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ... هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيول .. ونحن باسم الرب إلهنا نذكره هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبتنا »

ولا يعقل أن ينقل داود من الدعاء بالخلاص للمسيح إلى القول بأن الله سوف يخلص مسيحه — كما جاء في هذه الفقرة — إلا بوحى يكون قد أخبره بذلك وأكده له .

وكذا في قوله « الرب لا يتركه في يدهم ولا يحكم عليه عند محاكمه إخبار مؤكد بأن المسيح سوف لا يتركه الله لأعدائه بل سيخلصه منهم في الوقت المناسب .

وهنا نجد اتفاقا تاما بين ما تنبأت به الزامير عن كيفية خلاص المسيح من أيدي أعدائه فيما يستقيل من الزمان وبين ما أخبر به القرآن عن كيفية ذلك الخلاص للمسيح عليه السلام فيما مضى من الزمان .

ثالثا : الفقرات التي ترمز إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه :

« ذنبهم يا الله ، ليستقوا من مؤامرتهم بكثرة ذنوبهم طح بهم

لأنهم تمردوا عليك » (م ١٠ : ٥)

« جميع أعدائي يخذلون ويرتاعون جدا ، يعمدون ويخزون بغتة »

(م ١٠ : ٦)

« هوذا يمتص بالاثم ، حمل تعباً وولد كذبا ، كرا جبا حفره فسقط

في الحوة التي صنع ، يرجع تعبهُ على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه »

(م ٧ : ١٤ - ١٦)

« لأنك أقمت حتى ودعواي ، جلست على الكرسي قاضيا عادلا ،

انتهرت الأمم أهلكت الشرير » (م ٩ : ٤ ، ٥)

« تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها ، في الشبكة التي أخفوها

انتشبت أرجلهم ، معروف هو الرب ، قضاء أمضى ، الشرير يعلق

بعمل يديه » (م ٩ : ١٥ ، ١٦)

« قم يا رب ، تقدمه ، اصصره ، نج نفسي من الشرير بسيفك »

(م ١٧ : ١٣)

« يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها » (م ١٠ : ٣)

« إلهي إلهي لماذا تركتني - إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل

أدعو فلا هدولي ... عليك اتكل أبائنا اتكوا فنجيتهم ... إلهك صرخوا

فنجوا عليك اتكوا فلم يخلصوا أما أنا فدودة لا إنسان ، عار عند البشر

ومحتقر الشعب ، كل الذين يروني يستهزئون بي يفغرون الشفاه وينغضون

الرأس قائلين ، اتكل على الرب فلم ينجح . لينقذه لأنه سر به . . كالماء

انسكبت ... انفصلت كل عظامي — صار قباي كالشمع قد ذاب وسط
أمعاني ... يبت مثل شقفة قوتي ولصني لساني بمنسكي وإلى تراب الموت
تضعني ... لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتبفتني ثقبوا
يدي ورجلي . أحصى كل عظامي ... وهم ينظرون ويتفرسون في يقسمون
ثيابي بينهم وعلى لباسي يقتربون . » (م ٢٢ : ١ — ١٨)

« عندما اقترب إلى الأشرار لئلا أكلوا لحمي مضايقي وأعدائي عقروا
وسقطوا » (م ٢٧ : ٢)

« أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم ... حسب صفع أيديهم
أعطهم .. رد عليهم معاملةهم . » (م ٢٨ : ٤)

« ليخز الأشرار .. ليسقطوا في الهاوية » (م ٣١ : ١٧)

« الشرير يميت الشرير ومبغضوا الصديق يماقبون » (م ٣٤ : ٢١)

« خاسم يارب مخاصمي .. قاتل مقاتلي .. ليخز وليخجل الذين
يطلبون نفسي .. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتي .. لأنهم
بلا سبب أخفوا إلى هوة شبكتهم بلا سبب حفروا لنفسي .. لغاته التهلكة
وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهاكك نفسها ليقع »
(م ٣٥ : ١ — ٨)

« الشرير يفكر ضد الصديق ويحرق علمه أسفانه الرب يضحك
لأنه رأى أن يومه آت الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمي
المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقتهم ... سيفهم يدخل في قلبهم وقسيمهم
تتكسر » (م ٣٧ : ١٢ ، ١٥)

« هيأوا شبكة لخطواتي .. انحمت نفسي .. حفروا قدامي حفرة سقطوا
في وسطها .. » (م ٥٧ : ٦)

« فيرميهم الله بسهم بفترة كانت ضربتهم ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم » (م ٦٤ : ٧ ، ٨)

« ويرد عليهم إثمهم وشرهم .. يفنيهم .. ويفنيهم الرب إلهنا »
(م ٩٤ : ٢٣) ^(١)

هكذا تصور تلك للنبوة يهوذا بالصورة التي يستحق أن يكون عليها كل خائن شرير وتبين بجلاء أن حافر الحفرة هو الذي سقط فيها لا الحفورة له ، وصانع الشر هو الذي علق بيديه لا المصنوع له وواضع الشبكة هو الذي نشبت رجله بها . لا الموضوع له وهذا يعني أن الحماكة والصلاب قد وقعا على يهوذا الأسخريوطى لا على المسيح عليه السلام ، إذ لا نخلص من جماع ما تقدم إلا بأن المزامير قد تنبأت بحق ، بأن الله مخلص مسيحه ، مستجيب له ورافعه إليه عندما يحاول أعداؤه القبض عليه وبأن الذي سيقبض عليه فعلا ويحسبكم ويصلب فعلا هو يهوذا الأسخريوطى ، تلميذ المسيح الذي خانته ، وبذا ننتهي إلى أن الحقيقة هي ما جاء في القرآن عن تخليص الله للمسيح عليه السلام برفعه إليه ، وهي ما يقول به المسلمون من أن الذي قبض عليه وحوكم وصلب بالفعل هو يهوذا الأسخريوطى ، تلميذ المسيح الذي خانته ^(٢)

(١) انظر بقية ما جاء من هذه النبوة في العهد القديم ط عنترس ٨٣٤ وما بعدها سفر المزامير (مزور ٩٤ : ١) و (م ٥٤ : ٥) و (١٥ : ٤) و (٩ : ٥٦) و (٥٦ : ٢١) و (٢٠ : ٧) و (١٣ : ٧١) و (٢٤ : ٧١) و (٨٨ : ١٤-١٦) و (١٠٩ : ٦-٨) و (١١٨ : ٧)
(٢) انظر ما جاء عن ذلك مفصلا في كتاب دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام الأستاذ منصور حسن عبد العزيز ط الشركة المصرية للطباعة ص ٧٠ : ١٤٤ .

وأما العهد الجديد فقد حوى - فوق ما فيه من خلافات في قصة صلب المسيح تدل على عدم الثقة بها - عبارات تشير إلى أن الذى صلب وقتل إنما هو شخص آخر غير المسيح عليه السلام ، وأما المسيح فما رأوا منه إلا صورة رسمت لهم فشبه لهم أنه هو الذى مات ، والحقيقة أن الذى مات على الصليب إنما هو شخص غيره .

من تلك العبارات ما جاء عن بولس في رسالته لأهل غلاطية من قوله « أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا ^(١) »

ومنها ما جاء عنه أيضاً في رسالته لأهل رومية حيث قال « لأنه إن كنا قد صرنا متحدّين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته ^(٢) »

فقد هاتين العبارتين كما ترى أن المسيح قد رسم بينهم مصلوبا ولم يصاب جسده وأنه لم يذق الموت بل كاد يتعرض له ، ومعلوم أن بولس هو الذى حمل على عاتقه نشر فسكرة صلب المسيح وتبريرها كما ذكرناه سلفاً ، فجزبان هاتين العبارتين على لسانه ينبىء عن ما أخفاه ذلك الرجل في ذهنه من الحقيقة التى بينها القرآن بعد ذلك أجلى بيان .

ومن هذه العبارات ما اتفقت عليه أناجيلهم من أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه كلّكم تشكون في هذه الليلة ، وإنك لتعلم هذا المعنى واضحا في القرآن الكريم غاية الوضوح حيث يقول الحق سبحانه .

(١) العهد الجديد ط عنتر ص ٣٠٦ اصحاح ٣ فقرة ١

(٢) العهد الجديد ط عنتر ص ١٠٣ اصحاح ٦ فقرة ٥

﴿ وإن الذين اختلفوا فيه افي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ .

الأمر الذي يجعل الباحث المنصف لا يتردد لحظة في قبول الحقيقة التي بينها القرآن وصرح بها .

من هذا وغيره يعلم أن في التوراة والإنجيل — رغم ما أصابهما من التحريف الشديد والطمس المتعمد لكثير من الحقائق — ما يؤكد صدق القرآن فيما أخبر به عن مسألة الصلب وغيرها من المسائل الأخرى التي سوف نمرض لها في حينها إن شاء الله تعالى .

شبهات للمسيحيين حول مسألة صلب المسيح وردّها

هذا وقد حاول بعض المسيحيين أن يشوه ما ذكره علماء الإسلام من حقائق ثابتة تبين في جلاء أن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه ولكن شبه لهم ، بعد ما عجزوا عن ردّها بالحجة والبرهان ، فأوردوا حول تلك الحقائق عدة شبهات نوردّها ونرد عليها فيما يلي :

أولاً : إذا كان عيسى لم يصلب حقيقة وكان الذي صلب إنما هو رجل آخر ألقى الله عليه شبهه كما تقولون ورفع عيسى إلهيه ، فلم لم يخبر الحواريين بذلك قبل رفعه أو بعده ؟ .

وردّا على هذا نقول إن عيسى عليه السلام لم يخبر الحواريين بأنه مرفوع إلى السماء وأن المصلوب هو شبيهه لئلا أكد في الأذهان عبوديته لله عز وجل ، فهو حين كانوا يعذبونه لم يكن يملك دفع ذلك الضر عن نفسه ، وحينما أراد الله تخليصه ورفع إلهيه لم يكن يملك جلب هذا النفع

إليه ، هو في الحالين عبد الله المطيع الصابر الراضى الذى لا يعصى لربه
أمرًا ، بخلاف ما لو أخبر عن ما سيؤول إليه أمره من رفع الله له
وصلب شبيهه فإن ذلك سيؤدى إلى تأكيد ما افتروه بعد ذلك من القول
بالوهية المسيح عندهم ، وجعل الشك في هذا الافتراء والادعاء أمرًا
يكاد يكون غير ممكن ، إذ لن يكون هناك عندئذ دليل أقوى
من كون الله قد نبى ابنه كما يقولون وخلصه بالرفع إليه على ما أخبر
به عيسى نفسه ، لذلك لم يشأ الله عز وجل لعيسى عليه السلام أن يخبر
أحدًا بأمر رفعه إلى السماء وصاب شبيهه لا قبل الرفع ولا بعده .

ثانيًا : ما زعمه المسلمون من أن شبه عيسى قد ألقى على غيره
فصلب مكانه على أنه هو هو أمر لا يصدق العقل ، ولا يقبله ، لأننا
إذا جوزنا ذلك ، جوزنا لكل إنسان أن يشك في ولده وزوجه كلما
أغض عينه وفتحها إذ ما المانع أن يكون ابنه هذا ليس ولده حقيقة
في تلك اللحظة بل شبه له أنه ابنه إلى آخر تلك البدهيات التى سوف
يحاولها القول بتجويز إلقاء شبه شخص على شخص إلى أمور يشك فيها
ولا يوثق بها .

وهذا خلاف الضرورة قطعًا ، فالقول بإلقاء شبه عيسى على غيره
خلاف الضرورة كالقول بأن الواحد نصف العشرة مثلاً فلا يسمع .

ودحضاً لتلك الفرية نقول :

إن إلقاء شبه عيسى على غيره ليس أمرًا عاديًا يحدث للناس في كل
وقت وحين ، وإنما هو من الأمور الخارقة للعادة التى يجريها الله عز وجل

على يد أنبيائه ورسله ، كجعل عصى موسى حية تسعى ، بل هذا أخف وأهون ، لأن تحويل النبات إلى حيوان مستكمل لساائر الصفات الحيوانية أشد خرقاً للعادة من القاء شبه إنسان على إنسان آخر ، وهم يؤمنون بذلك ويقرون به ، فكما جوزوا إمكان قلب العصاحية ، وقلب النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وقلب لون يد موسى عليه السلام ، وإبراء عيسى للأكمة والأبرص ، وإحيائه للموتى ، وانقلاب الماء خمرًا وزيتًا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كما جوزوا إمكان وقوع ذلك كله في حق القدرة الإلهية ، فعليهم أن يجوزوا في قدرة الله عز وجل إمكان إلقاء شبه عيسى على غيره ، إذ لا فرق بين هذا وغيره مما آمنوا به وصدقوه من المعجزات الأخرى .

ثالثاً : إن صلب المسيح أمر قد أخبرت به الأناجيل كلها ، واتفق عاينه المسيحيون في مشارق الأرض ومغاربها ، وهم عدد يحيل العقل تواطئهم على الكذب ، فإن جوزتم كذب الأناجيل وأن هذا العدد الكبير يمكن تواطؤه على الكذب لزم الحمال من وجوه :

أحدها : أنه يتعذر عليكم أيها المسلمون جعل القرآن متواتراً إذ الذين نقلوه هم جمع يحيل العقل تواطئهم على الكذب ، فإذا جوزتم إمكان الكذب على الجموع الكثيرة التي تناقلت خبر صلب المسيح وآمنت به ، جوزتم ذلك في حق نقلة القرآن أيضاً .

وثانيها : أن قولكم بتجويز الكذب على من نقلوا أخبار صلب المسيح ، جيلاً بعد جيل ، يؤدي إلى بطلان قاعدة القوانر بالسكينة .

وثالثها : أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا يسمع
فلو قال إنسان ما : الخبز عن وجود مصر والسودان كذب ، لم يسمع
ذلك منه ، وعد خارجا عن دائرة العقلاء ، وحينئذ يتعين أن التول
بالصلب حق وأن إخبار المسلمين والقرآن عن عدم ذلك ، مشكل .
والجواب : أن أرباب هذه الشبهة قد قالوا ما قالوا ، وهم غافلون
أو متغافلون عن شروط التواتر الحقيقي التي يزيل عدم وجودها أو عدم
وجود واحد منها صفة التواتر ، عن أي خبر من الأخبار وإن نقله
أو قال به ألوف الألوف .

من تلك الشروط ما يأتي :

أن يكون الخبر عنه أمرا مدركا بأحد الحواس الخمسة ، إذ الأمور
العقلية هي دائما محل الجدل والنزاع ، ألا ترى أن الأمة العظيمة قد تنفق
على شيء من تلك الأمور العقلية وتخالفها فيه أمة أعظم منها وأكثر
كالشيوعية والرأسمالية ، إلى غير ذلك مما هو محل خلاف بين الأمم من
المذاهب والأديان والأفكار ، لذا قلنا إن التواتر يكون فيما يدركه
الحس دون ما مصدره العقل ، وهذا الشرط لم يتحقق للذين شاهدوا
الصلب ، لأنهم رأوا بأعينهم رجلا مصلوبا على خشبة ، أما كون هذا
الرجل هو عيسى بالتقطع فذلك ما لا يعرفونه لأن شبهه كان قد أُلقي
على من سيصلب مكانه ، فثلمهم في أمره كمثمل قوم أوتوا بإناء فيه رطل
ماء ، ثم أوتوا بقدر الوزن السالف من ماء غير الماء الأول ، فإن غاية
ما يمكن به هو أنهم رأوا رطلا من الماء دون ما تميز بين الماء

الأول والثاني ، وعلى هذا فلا تواتر في خبر صلب المسيح كما ادعى النصارى ويبقى حكم القرآن قائما لا شك فيه .

٢ - أن يسكون المباشرون لنقل الخبر من أصله جمعا يحيل العقل تواطئهم على الكذب ، وهذا الشرط أيضا لم يتحقق لمن نقلوا خبر صلب المسيح ، لأن عددهم حين وقوع الصلب كان قليلا سواء أكان الحاضرون المشاهدون لتلك المسألة من أتباع المسيح أم من اليهود لأن تلاميذ المسيح بنص الأناجيل قد هربوا عندما قبض عليه كما زعموا ولأن الذين بأشروا الصلب من اليهود كانوا نفرا قليلا عهد إليهم الملك بتنفيذ هذا الأمر في سكون الليل والناس نائمون . وهذا العدد يحيز العقل تواطئهم على الكذب ولا سيما إذا عرفنا أنهم بعد ذلك قد ارتشوا ليقولوا إن المسيح قد سرق من قبره . فالذين يقبلون الرشوة لا يحيل العقل اتفاقهم على الكذب فيما يخبرون به ؟ فبطلت دعوى التواتر التي قال بها النصارى .

هذا ، وليس في تكذيب القرآن لأناجيهم بعد عن الحق لأن هذه الأناجيل قد اختلفت في ذكرها لتلك القصة اختلافات تشكك فيها أقل الناس علما ، فما بالك بالعلیم الخبير ، إنه سبحانه عندما يكذبهم فيما قالوه من صلب المسيح إنما يظهر الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

آراء المسلمين في رفع المسيح :

لا خلاف بين المسلمين في أن الله — تعالى — ، قد نبى رسوله

عيسى المسيح عليه السلام من كيد أعدائه ، فما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبهه لهم .

ولا خلاف بين المسلمين أيضاً ، في أن الله عز وجل قد رفع نبيه
عيسى وطهره من الذين كفروا ، وإلما الخلاف بينهم فيما إذا كان
الله — سبحانه — قد رفع عيسى إليه بجسده وروحه حيا ، أم أنه
— عز اسمه — أماته — بعد ما نجاه من أيدي الظالمين — حينما شاء ،
ودفن في مكان ما من الأرض ، ثم رفع روحه إليه تكريما له وتعظيما .

سر اختلاف العلماء في رفع عيسى :

ويرجع سر هذا الخلاف بينهم فيما نرى إلى ما يلي :

أولاً : لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يعين أحد الأمرين
السالفين في رفع عيسى عليه السلام .

ثانياً : اختلافهم في فهم قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ إني
متوفيك ﴾ وقوله — سبحانه — في سورة المائدة ﴿ فلما توفيتني ﴾ وقوله
— سبحانه — في سورة مريم ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت
ويوم أبعث حيا ﴾ وقوله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وإنه لعلم للساعة
فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ .

ثالثاً : اختلافهم في فهم معنى الواو الواردة في قوله تعالى ﴿ ورافك
إلى ﴾ بعد قوله ﴿ إني متوفيك ﴾ .

رابعاً : اختلافهم في تعيين من يعود عليه الضمير في قوله تعالى
﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ .

دعائم الرأى الأول وتأويلات أصحابه :

فأما القائلون بأن عيسى عليه السلام قد رفع إلى السماء حياً بجسده وروحه فقد بنوا قولهم هذا على أن هذا هو المعنى المتبادر من قوله تعالى ﴿ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ﴾ لأن فى هذا الكلام إضراباً عن القتل إلى الرفع ، ولا يعقل أن يضرب عن الموت الذى ينشأ عن القتل ليخبر عن رفع الروح بعد الموت الطبيعى الذى لا دخل للقتل فيه ، بل المعقول والمقبول أن يكون الإضراب عن القتل إلى الرفع ، مقصوداً به إبطال أن يسكون عيسى قد مات ، وإثبات أن الله - رفعه إليه حياً بجسده وروحه .

وفسروا قوله - تعالى - ﴿ إني متوفيك ﴾ بأنه سبحانه ينيمه ويرفعه إليه فى تلك النوم أخذاً من قوله - تعالى - ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ فكما أن معنى التوفى هنا الإنامة ، فكذلك يكون معنى التوفى فى آية آل عمران - وجعلوا الواو فى قوله : ﴿ ورافعك إلى ﴾ للتشريك فى الحكم وعليه ، فالمعنى عندهم - أن الله حكم على عيسى بالقوم والرفع إذا قلنا إن التوفى بمعنى الإنامة ويمكن القول بأن معنى متوفيك آخذك وافياً ، بجسدك وروحك من توفى فلان دينه من فلان أى أخذه وافياً ، وعليه فالمعنى آخذك وافياً وأرفعك إلى .

وحملوا قوله تعالى عن عيسى فى سورة المائدة (فلما توفيتنى) على أنه كلام صادر من عيسى لله يوم القيامة ، وهو فى هذا اليوم

سيمكون قطعا قد بعث بعد الموتة التي أذاقها الله له بعد نزوله حيا من السماء إلى الأرض وأما قوله (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت) فهو إخبار من عيسى عليه السلام عن أهم ما يؤول إليه أمره ككل واحد من البشر ، يولد ويموت ، ثم يبعث حيا ، وما يقع بين ذلك من تأمر أعدائه عليه ومحاولتهم قتله ورفع الله له من بينهم حيا ، إنما هي أمور لا يفيد ذكر عيسى لها مستمعيه شيئا في تلك اللحظة التي كلمهم فيها من مهده .

وأما قوله (وإنه لعلم للساعة) فهو دليل على أنه سينزل إلى الأرض ويكون كما أخير عنه الصادق المصوم صلى الله عليه وسلم مصلحا لما فسد من أمور الناس ، توطئة وتمهيدا لأحداث تأتي بعدها الساعة .

والضمير في قوله تعالى (قبل موته) يعود إلى عيسى لا محالة ، إذ هو المراد من الضمائر الواردة في الآيات السابقة على هذه الآية . وهو المراد من الآية اللاحقة لها .

فالتساوق في أسلوب القرآن يقضى بأن يحمل الضمير في قوله (قبل موته) لعيسى ، لأن القول بعود الضمير في (قبل موته) على غير عيسى فصل للآية عن سياقها وسباقها ولحاقها فلا معنى له .

دعائم الرأي الثاني وتأويلات أصحابه :

وأما القائلون بأن الله قد أمات عيسى بعد ما نجاه من أيدي أعدائه ، ثم رفع روحه إليه تطهيرا له من الذين كفروا وتكريما

له وتعظيما ، فقد بنوا رأيهم هذا على أن القرآن الكريم لم ينص صراحة على رفعه إلى السماء حيا يجسده وروحه ، وعلى أن السماء مكان للروحانيات لا للجسديات ، وعلى أن القول بهذا يدعم قول المسيحيين بأن ابن الإله قد رفعه أبوه إليه ليجلسه بجانبه في السماء ، وفسروا التوفى في قوله — تعالى — (إني متوفيك) وقوله (فلما توفيتني) بالإماتة وجعلوا الرفع لاحقا للتوفى أخذا من قوله تعالى (إني متوفيك ورافئك إلى) واعتبروا قول عيسى المحكى عنه في سورة مريم (يوم أموت) إخبارا منه عن أنه سوف يموت ، فلو كان يعلم أنه سيرفع إلى السماء حيا لقال بعد ما أرفع إلى السماء وأعود إلى الأرض ، ولكنه لم يقل هذا ، فدل على أنه لم يرفع حيا ، وجعلوا الضمير في قوله — تعالى — (وإنه لعلم للساعة) عائدا على — محمد — صلى الله عليه وسلم ، أو على القرآن ، أو على عيسى ، ولكن على معنى أن الله سيعيد إليه الحياة قبيل الساعة ، حتى يجعله عالما لها ، وجعلوا الضمير في قوله قبل موته عائدا على كل كتابي يموت ، على معنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى في اللحظات الأخيرة من حياته ولكن هيئات .. هيئات أن ينفعه ذلك .

هذا فيما نرى تمبرير لحل النزاع بين المسلمين في هذه المسألة ، وتصوير

لما فهمه الفريقان مما جاء في القرآن الكريم عنها .

وقد انتصر كل فريق لمذهبه وأخذ يؤيده بما استطاع من الحجج والبراهين عقلية كانت أو عقلية ، ويفند أدلة أصحاب الرأي الآخر وبراہینہم .

أدلة أصحاب الرأي الأول على صحة رأيهم :

فأما أصحاب الرأي الأول : وهم القائلون بأن الله عز ولى
قد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حياً بجسده وروحه فقد أبدوا
مذهبهم هذا بالأدلة الآتية :
أولاً :

(١) وردت من جهة الفتل آيات كثيرة في القرآن تنص على رفع
عيسى عليه السلام ، وهذه الآيات ، وإن لم تصرح برفع جسد عيسى
عليه السلام فإنها لم تصرح برفع روحه أيضاً ، وعهدنا بالقرآن أنه إذا
تحدث عن شخصية من الشخصيات لم يقل في حديثه عن تلك الشخصية
إنه يتحدث عنها جسداً ، وروحاً ، أو جسداً فقط ، أو روحاً فقط ، بل
يذكر اسم المتحدث عنه ، أو وصفه الدال عليه ، إكتفاءً بدلالة الاسم
أو الوصف على ذات المسمى أو الموصوف جسداً وروحاً .

ألا ترى إلى قوله — تعالى — فى حق النبی — صلى الله عليه
وسلم (سبحان الذى أسرى بعبده)^(١) ولم يقل بروحه وجسده ، وقوله
فى حق إدریس عليه السلام (ورفعناه مكاناً علياً)^(٢)

فقد فهم أكثر العلماء من هذه الآية أن الله رفع إدریس بروحه
وجسده إلى السماء الرابعة وأنه أمر ملك الموت أن يقبض روحه هناك ،
ومع ذلك لم يقل بجسده وروحه .

وقوله تعالى في حق يونس (فالتقمه الحوت وهم ملين)^(٣) ولم يقل فالتقم جسده ، بينما نجد القرآن عندما يتحدث عن مكانة شخص من الأشخاص أو شيء من الأشياء يصرح بذكر هذه المكانة ، كما في قوله تعالى عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - (ورفعنا لك ذكرك) .
وقوله - تعالى - عن المساجد (في يهوت أذن الله أن ترفع)^(٤) .

وقوله - تعالى - (نرفع درجات من نشاء)^(٥) .
وقوله - تعالى - عن المؤمنين والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات)^(٦) .
فدل هذا على أن النص برفع عيسى عليه السلام يعني رفع جسده وروحه إذ اسم الشخص أو وصفه الدال عليه لا يطلق على الروح دون الجسد ، فالقول برفع روحه فقط حمل للسلام على غير وجهه فلا يعتد به .

(ب) وردت في السفة المطهرة أحاديث كثيرة تبلغ في مجموعها حد الثواتر تدل على أن عيسى عليه السلام ، سوف ينزل إلى الأرض بأمر الله - تعالى - ليقيم العدل فيها ما شاء الله له أن يعيش ، ثم يموت كمسائر الناس .
من هذه الأحاديث ما يأتي :

١ - روى البخاري ومسلم بسندهما عن أبي هريرة رضى الله عنه ،

(٤) النور : ٣٦

(٣) الصافات : ١٤٢

(٦) المجادلة : ١١

(٢) الأنعام : ٨٣

واللفظ للبخارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى
بيده ليوشكن أن ينزل فيحكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب
ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى
تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة :
واقعدوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته
ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ١ . هـ (١)

قال ابن كثير بعد ما ذكر هذا الحديث في تفسيره وكذا رواه
مسلم عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به ، وأخرجه
البخارى ومسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري به
وأخرجه من طريق الليث عن الزهري ، ورواه ابن مردويه من طريق
محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري عن سميد بن المسيب ، عن أبي هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون فيكم
ابن مريم حكماً عدلاً ، يقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ،
ويضع الجزية ويفيض المال ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين .
قال أبو هريرة : واقعدوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا
ليؤمنن به قبل) موت عيسى ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات ١ . هـ (٢)

٢ - « روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعناق

(١) صحيح البخارى ط المطبعة الأميرية كتاب الأنبياء ، وصحيح مسلم كتاب الايمان

ج ٢ ط المطبعة المصرية ص ١٨٩

(٢) تفسير ابن كثير ط الشعب المحققة المجلد الثاني ص ٤٠٦ ، ٤٠٧

أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا فقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين اخواننا فمقاتلهم فيمنهم ثلث لا يعوب الله عليهم أبدا ، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفنون أبدا ، ويفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علموا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولسكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حريقه » (١) . ه .

٣ - « روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيهلكه . . » إلى آخر الحديث (٢) .

٤ - روى مسلم في صحيحه بسنده عن النواس بن سميان عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً طويلاً حول الدجال وما يكون من أمره قال فيه : « فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المفارة

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن ح ١٨ ص ٢٢٠، ٢٢١ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ح ١٨ ص ٧٥، ٧٦ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين^(١) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا غا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل للكافر يجدر بريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة . .) إلى آخر الحديث^(٢) قال النووي ما نصه : — (فيبعث الله عيسى ابن مريم) أى ينزله من السماء حاكماً بشرعنا .

قال القاضى رحمه الله تعالى نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى وخاتم النبيين وقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدى وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس .

(١) المهرودتان بذال معجمة أو بدال مبهمة الثوبان المصبوغان بورس ثم يزغفران وقيل هاشمتان والشفة نصف الملاة .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ١٨ ط المطبعة المصرية ص ٦٧ وما بعدها .

٥ - « روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا إلى الحجرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه بقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الآمنة على الأرض ، حتى ترتفع الأسود مع الإبل ، والتمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » (١) .

إلى آخر ما جاء في السكتب السقة وغيرها من الأحاديث الكثيرة الدالة على نزول عيسى حيا إلى الأرض ثم وفاته عليه السلام بعد أن يقتل المسيح الدجال وينشر الأمان والإيمان في الدنيا كلها .

(ج) القول برفع عيسى عليه السلام بجسده وروحه حيا إلى السماء ثم نزوله إلى الأرض ، وموته فيها هو قول الكثيرين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم ، والجمهرة من الأئمة الهداة الأعلام ، فالقول بخلاف هذا الرأي مخالفة صريحة لما يشبه الإجماع فلا يعبا به .

ثانيا : استدلووا من جهة العقل — بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا من تفسيراتهم لآيات القرآن الواردة في رفع عيسى عليه السلام على أن الله رفعه إلى محل كرامته حيا بجسده وروحه بما يأتي :

(١) إن الخوصية لعيسى عليه السلام هي في رفعه حياً بجسده وروحه إلى السماء ، وبقائه فيها إلى الأمد المقدر له - ولا يصح أن يحمل التوفى على الإمامة لأن إمامة عيسى في وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها ورفعها إلى السماء جثة هامة ستخف من القول ، وقد نزه الله السماء أن تكون قبوراً لجثث الموتى ، وإن كان الرفع بالروح فقط فأى مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء ، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة . فالحق أنه عليه السلام - رفع إلى السماء حياً بجسده وروحه وكما كان - عليه السلام - في مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة ، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة ، والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول وهي من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق الرسل - عليه الصلاة والسلام . هـ بتصرف^(١) .

(ب) القول برفع عيسى عليه السلام بعد موته . يشبه إلى حد كبير ما زعمه المسيحيون من أن عيسى قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه فيه ، وصعد إلى السماء ليجلس بها هناك إلى جوار أبيه ، فنشر مثل هذا الكلام بين الناس والتجسس له أمر قد يلبس على الناس دينهم ويوقعهم في الشكوك والأوهام فلا داعي له ، لأن الأولى بنا كسبهين أن نعتمد إلى كتاب الله وسنة رسوله أولاً وقبل كل شيء فما وجدناه فيهما آمناً به وصدقناه ولو كان على غير ما تألفه العقول وتعرفه ، إذ قدرة الله - تعالى - لا يمجزها شيء ونحن نؤمن بهذا ونذعن فلا يليق بنا أن نفرق بين شيء وشيء بالنسبة لقدرة الله تعالى فنقول هذا

(١) تفسير سورة آل عمران للدكتور محمد سيد طنطاوي ط مطبعة السعادة س ١٥٨

يمكن وهذا غير ممكن بل ما أخبر الله بوقوعه فهو حق وصدق ولو لم تدركه العقول ، وتألفه الأنفهام .

أدلة أصحاب الرأي الثاني على صحة رأيهم :

وأما أصحاب الرأي الثاني - وهم القائلون بأن الله - تعالى - أمات عيسى بعد ما نجاه من كيد أعدائه ثم رفع روحه إليه - فإنهم لما لم يجدوا من النقل مستنداً صريحاً لرأيهم هذا ، لجأوا إلى القأويلات للعقلية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في نزول عيسى - عليه السلام - إلى الأرض آخر الزمان ليجمعوا منها أدلة تؤيد مذهبهم وتناصرهم .

فأما الآيات القرآنية فقد أسلفنا تأويلهم لها ورأيهم فيها قبل ذلك .
وأما الأحاديث النبوية الصحيحة فقد أولوها بأحد أمرين .

أولهما : أنها أحاديث آحاد وأحاديث الآحاد لا يعمل بها في العقائد ، ومسألة رفع عيسى عليه السلام مسألة اعتقادية فلا يعمل بهذه الأحاديث فيها .

وثانيها : أنه لم ترد في هذه الأحاديث كلمة واحدة تنص على رفع عيسى بجسده وروحه ، بل كل ما جاء فيها أنه سينزل إلى الأرض ، ولا يلزم من النزول أن يكون من ارتفاع إذ يجوز أن يحمل النزول على الحياء أو التقدير أو الوقوع أو الجمل كما وردت به اللغة العربية ، ونصت عليه آيات القرآن في أكثر من موضع ، قال تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ ^(١) أي جعلنا في الحديد قوة وبأساً .

وقال ﴿ قل رب أنزلى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ﴾ ^(١) أى
قدر لى مكانا طيبا .

وقال ﴿ فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المفسدين ﴾ ^(٢) أى وقع وقال
﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ ^(٣) أى منعكم وأعطاكم .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزل فى هذه الأحاديث ليست إلا بمعنى
يحيى ، ومن الممكن أن يحيى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل
قيام القيامة ، وليس ذلك بمستبعد قط على الله ويضيف الأستاذ الإمام
محمد عبده تأويلا آخر لما جاء فى أحاديث النبى ﷺ عن المسيح الدجال
والمسيح عيسى عليه السلام فيقول :

إن الدجال ليس إلا رهزا للخرافات والدجل وأن ذلك يزول
بشريعة الإسلام الفراء وبالقرآن والسنة التى حلت محل ما اعتقده اليهود
فى مسيح يأتى ليملا الأرض عدلا ونورا . ^(١)

هذا ما أولوا به أحاديث رسول الله ﷺ فى نزول عيسى عليه
السلام بمد رفعه إليه سبحانه كما أخبر القرآن .

ثم أورد الدكتور أحمد شلبى أحد أنصار هذا رأى تأييد له عدة
مقولات للعلماء رأى أنها تصلح أدلة لنصرة هذا المذهب وتأييده فقال
ما نصه : ^(٢)

(١) المؤمنون : ٢٩ (٣) الصفات : ١٧٢

(٣) الزمر : ٦

(١) انظر تفسير المنارج ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى ط مكتبة النهضة المصرية العامة

الرابعة ص ٤٧ وما بعدها

أما السيد محمد رشيد رضا فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هي أن مسألة الرفع بالجسم والروح هي في الحقيقة عقيدة النصراني وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامي ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلي نص كلام هذا الباحث الكبير :

ليس في القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هي عقيدة أكثر النصراني ، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها في المسلمين .

وبضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصالح العالم فمن السهل أن يصاحبه على يد أى مصاحح ولا ضرورة لإطلاقا لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء .
ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول :

أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى مرة أخرى ، ويشير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر أنها بالإضافة إلى أنها أحاديث ليست مقواترة — لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى ، ويمكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصراني ، فإنهم في خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم في الفكر الإسلامي

بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر في القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعق في هذه القرون ويختتم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد البعض أن النصوص تنفي هذا وترجعه فله أن يعتقد في ذات نفسه وأن يلتزم ولا يلزم .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي : ليس في القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسده وروحه وعلى أنه حي الآن بجسده وروحه والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله كما قال تعالى في ادريس « ورفعناه مكانا عليا » فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار : إنه لا حاجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بأزاء قوله تعالى : « ورافعك إلى » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهرا وباطنا لله تعالى ، فقوله « إلى » هو كقول الله عن لوط « إني مهاجر إلى ربي » فليس معناه إني مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله »

وفي كتاب « في ظلال القرآن » عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة يقول المفسر :

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبيه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية
ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من
مخالفة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودفن .
ونجى . الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالي وله في هذا الموضوع
دراسة مستفيضة نقبس منها بعض فقرات بنصوصها .

وأميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه
فقط وأن جسمه في مصيره كأجساد الأنبياء كلها ، وتنطبق عليه الآية
« إنك ميت وإمهم ميتون » والآية « وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل » وبهذا يثبت أن عيسى مات - ومن رأي أنه خير
لنا نحن المسلمين - وكتابنا لم يقل قولاً حاسماً أبداً ، إن عيسى حي بجسده -
خير لنا منعاً للاشتباه من أنه ولد من غير أب ، وأنه باق على الدوام
بما يروج لفكرة شائبة الألوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأي الذي
يقول إن عيسى مات وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا الا بروحه فقط ،
حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة .

وأنتهى من هذا الكلام إلى أنى أرى من الآيات التي أقرؤها
في الكتاب أن عيسى مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين
ويثير الأسفاذ صلاح أبو اسماعيل تقاطعاً دقيقة تتصل بالرفع فيقول :
إن الله ليس له مكان حسي محدود حتى يسكون الرفع حسياً ، وعلى هذا
ينبغي تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة والمنزلة ، ثم إن رفع
الجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يرى الآن ، وأنه يحتاج إلى

ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ، ومن خواص الأجسام على الغيوم وهو ما لا يتناسب في هذا المجال ، وأحب أن أجيب على من قال إن في مقدور الله أن يوقف خواص الجسم في عيسى ، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يرى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم ... مغناه العودة إلى الروحانية أو شيء قريب منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأي الذي يعارض رفع عيسى بجسمه وبمض الناس يقولون إن عيسى رفع بجسمه وروحه فاذا سئلوا : إلى أين ؟ وما العمل في خواص الجسم ؟ قالوا لا نتعرض لهذا ، وهو رد ليس فيما نرى شافيا .

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو اسماعيل الذي يتساءل قائلا : إذا كان رفع عيسى حيا معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا اعتقد « الأستاذ صلاح أبو اسماعيل » أن كلمة « متوفيك » تعني وعدا من الله بنجاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يبعثه من الناس : ا. هـ

موقفنا من هذه الأنكار :

وبعد ، فهذا ما استدل به كل فريق على صحة ما ذهب إليه وارتآه . في رفع عيسى عليه السلام ، والذي يبدو لنا بعد هذا العرض المستفيض لأدلة الفريقين أن الرأي القائل بأن الله - تعالى - قد رفع عيسى عليه السلام حيا بجسده وروحه إلى محل كرامته في السماء هو أسلم وأحكم . أما كونه أسلم فلا أنه مستقي من القرآن الكريم ومن صحيح

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا المسلك السلامة كل السلامة من شطط العقل ، وكثرة تأويلاته وتبريراته لأموالا مدخل له فيها ، ولا مجال له في رفضها أو قبولها .

وأما كونه أحكم فلائنه مستمد من الكتاب والسنة أيضاً ، وكفى بهما حاكين في كل ما عز على العقل إدراكه أو تصوره ، فمن الحكمة إذن التسليم لحكمهما والرضا به ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (١) .

وأن ما لجأ إليه أصحاب الرأي الثانی من تأويلات آيات القرآن الواردة في رفع عيسى عليه السلام ، ونصوص الأحاديث الصحيحة الواردة في نزوله إلى الأرض بعد ذلك وادعائهم أن رأيهم هذا هو رأي جمهرة العلماء ، والرأي المخالف لرأيهم هو رأي القلة من العلماء ، وزعمهم أن القول برفع المسيح حياً يدعم قول النصارى ويؤكد به إلى غير ذلك مما قالوه تدعياء لرأيهم وتأبيداً له إنما هو فيما نرى صرف للحقائق عن وجهها الصحيح من ناحية ، وتكلف في تأويل الآيات والأحاديث لا داعي له من ناحية أخرى .

فأما كونه صرفاً للحقائق من وجهها الصحيح فلا أن ما زعموه من كون رأيهم هذا رأي الجمهرة من العلماء ورأي مخالفين رأي القلة من العلماء غير صحيح ، بل الصحيح الذي عليه الأكثر أن القول برفع عيسى حياً قول السكثيرين من الصحابة كأي هريرة ، والنواس بن سميان ، وعبدالله بن عمرو وغيرهم ، وقد تابعهم على هذا الرأي السكثرة

من التابعين وأتباعهم ومن تلاهم بعد ذلك من الأئمة الأعلام ولم ينكره في العصر الأول إلا المعتزلة والجهمية فالقول بأن رأى هؤلاء هو رأى القلة غير المعتمدة ورأى الإمام محمد عبده ومن لف لفه هو رأى الكتلة المعتمدة صرف للحقائق عن وجهها الصحيح دون ما جدال ، ولأن ما زعموه من أن القول برفع المسيح حيا يوافق عقيدة النصارى أمر غير صحيح كذلك ، إذ النصارى يقولون برفع المسيح بعد موته وقيامته من قبره ، فالقائلون برفع روح المسيح بعد موته هم أشبه في قولهم هذا بالنصارى من القائمين برفعه حيا ، وفي هذا ما فيه من صرف الحقائق عن وجهها الصحيح .

وأما كون تأويلاتهم لآيات القرآن الواردة في دفع عيسى ونصوص الأحاديث الصحيحة الواردة في نزوله بعد ذلك إلى الأرض تسكفا لا داعى له فلا نفى في غنى عن كل هذه التأويلات إذ ما المانع أن يرفع الله عيسى حيا بجسده وروحه إلى محل كرامته في السماء ؟

هل المانع كما يقولون هو أن عيسى سيكون أفضل من محمد لأنه حى ومحمد ميت ، والحق أفضل من الميت ؟

أى حى ، وأى ميت ، إن مرجع التفاضل بين الأنبياء إنما هو إلى الله سبحانه فمن حكم له بالأفضلية فهو الأفضل قال — تعالى — [تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض]^(١)

نعم إن حياة عيسى عليه السلام ليست حياة أبدية ، وإنما هى حياة إلى أجل معلوم ينتهى بموت عيسى عليه السلام قطعا ، فكل ما فى الأمر

أن عمره أطول من عمر سيدنا محمد ، فهل هذا يفضي إلى أفضاليته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

والجواب لا . إذ لو كان هذا صحيحا لكان الذين عاشوا بعد رسول الله ﷺ أطول عمرهم عن عمره أفضل منه عليه الصلاة والسلام ولم يقل أحد بهذا .

وعليه فعمسى عليه السلام حيا كان أو ميتا ليس أفضل من محمد ﷺ ، وإذا انتفى هذا فما المانع إذن من رفع عمسى عليه السلام حيا بحسده وروحه إلى السماء ؟

وأى شيء يجعلنا نسكت أكثر ذلك على قدرة الله — سبحانه — ونحن الذين آمنا وصدقنا بأن — الله — أخرج عيسى من أنثى بلا ذكر وأى شيء يجعلنا على تأويل آيات كتاب الله الكريم وأحاديث رسوله العظيم بما يوافق رأينا وهو أنا .

ونحن نؤمن بإيماننا راسخا بأن عقولنا قاصرة عن معرفة غيب الله وإدراك ما فيه وأن الله بكل شيء عليم .

لذا كان رأينا أن القول برفع عمسى إلى السماء حيا أسلم وأحكم والله — تعالى — أعلى وأعلم .

خاتمة

وبعد... فقد كانت هذه دراسة تحليلية موضوعية لأهم العقائد المسيحية من منطلق القرآن الكريم ، والعقل السليم أردنا بها تبين جوانب الحق للباحثين عنه في كل مكان ، ولم نلبس رداء التعصب لحظة واحدة ونحن نكتب فصول هذا الكتاب ، بل تركنا للعقل حريته الكاملة في النقاش والجدال حتى تكون النقائج المرجوة من وراء هذا العمل على خير ما نتمنى لها ونأمل .

وخلاصة ما أوصلنا إليه هذا البحث الطويل المصني البعيد كل البعد عن التعصب والانحياز هي بإيجاز شديد أن التوحيد حق لا شك فيه ، وأن التثليث باطل لا ريب فيه ، وأن اليهود ما قتلوا عيسى المسيح وما صلبوه ولكن شبهه لهم وأن من يقل بغير هذا فهو آثم قلبه ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ .
وصلى الله على سيدنا محمد النبي العربي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور هاشم جوده

تم بعون الله وتوفيقه

١٥ شوال سنة ١٤٠٠ هـ

٢٥ أغسطس سنة ١٩٨٠ م

مراجع الكتاب

(أ) القرآن الكريم :

- ١ - تفسير الكشاف للزمخشري طبعة الحلبي .
- ٢ - تفسير الرازي للفخر الرازي طبعة المطبعة الحسنية بمصر .
- ٣ - حاشية الجمل على الجلالين للشيخ سليمان الجمل طبعة مطبعة دار الكتب العربية الكبرى .
- ٤ - حاشية الصلوى على الجلالين طبعة الحلبي .
- ٥ - تفسير ابن كثير طبعة الشعب المحققة وطبعة الحلبي .
- ٦ - تفسير أبي السعود طبعة المطبعة المصرية .
- ٧ - تفسير القاسمي طبعة الحلبي .
- ٨ - تفسير البيضاوي طبعة بيروت .
- ٩ - تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ١٠ - في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب طبعة دار الشروق .
- ١١ - صفوة البيان لمعان القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
- ١٢ - كلمات القرآن للؤائف السابق طبعة دار المعارف .
- ١٣ - تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى للأستاذ الشيخ محمود شلتوت طبعة دار القلم .
- ١٤ - التفسير الوسيط للجنة من العلماء طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .
- ١٥ - المنتخب في تفسير القرآن الكريم لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية طبعة شركة الإعلانات الشرقية .
- ١٦ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي سور الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام طبعة مطبعة السعادة .

- ١٧ - البرهان في علوم القرآن للزركشي طبعة الحلبي .
- ١٨ - الإنقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة الحلبي .
- ١٩ - أسباب النزول للسيوطي طبعة شركة الإعلانات الشرقية .
- ٢٠ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ محمد الشنقيطي طبعة المدني .
- ٢١ - قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار طبعة الحلبي .

(ب) السنة المطهرة :

- ٢٢ - صحيح البخاري المطبعة الأميرية .
- ٢٣ - صحيح مسلم المطبعة المصرية .
- ٢٤ - سنن ابن ماجه طبعة الحلبي .
- ٢٥ - مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل .

(ج) الأديان :

- ٢٦ - الكتاب المقدس طبعة غنتر .
- ٢٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم طبعة مطبعة صبيح وأولاده .
- ٢٨ - إظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندي طبعة دار التراث العربي تحقيق الدكتور أحمد السقا .
- ٢٩ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية .
- ٣٠ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للإمام ابن تيمية طبعة المدني .
- ٣١ - مقارنة الأديان اليهودية والمسيحية للدكتور أحمد شلبي طبعة مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة .
- ٣٢ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبد الواحد واني طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
- ٣٣ - محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربي الطبعة الرابعة .

- ٣٤ — نسخة خطية عن المسيحية بقلم الأستاذ إبراهيم خليل أحمد
- ٣٥ — التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي، طبعة مطبعة حسان بالقاهرة .
- ٣٦ — قذائف الحنى للمؤلف السابق منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .
- ٣٧ — بين الديانات والحضارات للأستاذ طه المدور طبعة بيروت
- ٣٨ — دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام تأليف الأستاذ منصور حسين وكيل النائب العام طبعة الشركة المصرية للطباعة
- ٣٩ — الجواب المنيف في الرد على مدعى التحريف في الكتاب الشريف للشيخ يوسف أحمد نصر الدجوى طبعة مطبعة النهضة الأدبية
- ٤٠ — الله واحد أم ثالث للأستاذ محمد مجدى مرجان طبعة دارهنا الحديثة الناشر دار النهضة العربية .
- ٤١ — المسيح إنسان أم إله للمؤلف السابق طبعة المطبعة الحديثة الناشر دار النهضة العربية .
- ٤٢ — هل المسيح هو الله للقس ميخائيل طبعة المطبعة التجارية الحديثة الناشر مكتبة النيل المسيحية .
- ٤٣ — المستشرقون والمبشرون للأستاذ إبراهيم خليل أحمد طبعة مطبعة العالم العربى .
- ٤٤ — القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة المكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي طبعة دار المعارف .
- ٤٥ — بنو إسرائيل فى القرآن والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى طبعة مطبعة السعادة الطبعة الأولى .

(د) مؤلفات أخرى :

- ٤٦ — حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين للشيخ يوسف الزهناوى

- ٤٧ - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد العزالى طبعة
شركة الطباعة الفنية المتحدة .
- ٤٨ - نظرة عابرة في مزاعم من ينسكرون نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة
للأستاذ محمد زاهد الكوتري طبعة مطبعة القدس بشبرا .
- ٤٩ - عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للشيخ الغمارى طبعة
مطبعة عاطف .
- ٥٠ - شرح البيجورى على الجواهره للشيخ إبراهيم البيجورى طبعة مطبعة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .
- ٥١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للأستاذ عباس العقاد طبعة المؤتمر
الإسلامى الطبعة الأولى .
- ٥٢ - الإسلام المظلوم لإبراهيم على أبو الحشيش طبعة دار الفكر الحديث
الطبعة الأولى .

فهرست

صفحة	إهداء
٣	
٥	مقدمة

تمهيد

إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ ورد شبهات المشككين فيها ٩ - ٤١

١٠	الشبهة الاولى وردھا
٢٠	الشبهة الثانية وجوابها
٢١	معجزات النبي الحسية
٢٤	معجزاته المعنوية
٣٢	البشارات بالنبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل
٣٢	البشارة بالنبي في التوراة
٣٨	البشارة بالنبي في الانجيل

الباب الاول

٤٦ - ٤٢ حقبة القرآن الكريم

٤٢	طرق النقل عند المسلمين
٤٢	القسم الاول
٤٣	القسم الثاني
٤٤	القسم الثالث
٤٤	القسم الرابع
٤٤	القسم الخامس
٤٥	القسم السادس

الفصل الأول

صفحة

٤٧ - ٨٢

الأدلة على حقيقة القرآن من القرآن وغيره

٤٧

الأدلة على حقيقة القرآن من القرآن

٦٣

الأدلة من غير القرآن على حقيقة القرآن وثبوته

٦٥

الوعد بدخول المؤمنين المسجد لحرام

٦٦

وعد المؤمنين بالتأمين والتكفين والسلطان

٦٧

تبشير المؤمنين بالفتح والنصر

٦٨

الوعد بمنزلة الغالب وانتصار المغلوب

٦٩

أحوال أهل الكتاب

٧٠

الحكم بإيمان القلة وكفر الكثرة من أهل الكتاب

٧١

بشارات من الله للمؤمنين

٧٥

عقوبات اليهود

الفصل الثاني

شبهات الكتابيين حول القرآن ورددها ٨٣ - ١١٦

٨٣

الشبهة الأولى

٨٣

دفع هذه الشبهة

٨٤

الاختلاف في العهدين القديم والجديد

٨٤

التدليل من نصوص التوراة على وقوع الاختلاف فيها

٨٥

التدليل من نصوص الانجيل على وقوع الاختلاف فيها

٨٧

الاطعاه في العهدين القديم والجديد

٨٧

التدليل من نصوص التوراة على وقوع الاطعاه فيها

٨٩

التدليل من نصوص الاناجيل على وقوع الاطعاه فيها

٩١

وقوع التحريف في التوراة

٩١

التحريف بالتبديل

٩١

التحريف بالزيادة

٩٢	التحريف بالنقص
٩٣	الشبهة الثانية
٩٣	رد هذه الشبهة
٩٨	الشبهة الثالثة
٩٨	الجواب على هذه الشبهة
٩٨	الشبهة الرابعة
٩٩	دحض هذه القرينة
٩٩	المثال الأول
١٠٤	المثال الثاني
١٠٦	المثال الثالث
١٠٧	المثال الرابع
١١٠	المثال الخامس

الباب الثاني

١١٧ مناقشة القرآن للمسيحيين في العذاب وعقيدة التثليث الفصل الأول

٢٤٧-١١٩	مناقشة القرآن للمسيحيين في عقيدة التثليث
١١٩	العقيدة في المسيحية الصحيحة
١٢٧	العقيدة في المسيحية المحرفة
١٢٧	أسباب تحريف المسيحيين لعقيدة التوحيد بعد المسيح
١٢٢	مجمع نيقية وإرساء عقيدة التثليث
١٣٨	موادمة المسيحية بين التوحيد في التوراة والتثليث في المسيحية
١٤١	عقيدة التثليث كما هي عند المسيحيين
١٤٤	تبريرات مسيحية لجعل عقيدة الثالوث مقبولة
١٤٨	تشبيهات مسيحية لتقريب عقيدة التثليث

- ١٤٩ السر في جمل الأرقام ثلاثة
- ١٥١ اختصاصات الثالوث وأعماله
- ١٥٧ الأسس التي بنى عليها الثالوثيون تأليهم للمسيح
- ١٦٢ عقيدة التثليث في ميزان العقل السليم
- ١٦٣ تأملات في وظائف الثالوث
- ١٦٧ البراهين العقلية على بطلان الجمع بين التثليث والتوحيد
- ١٧٢ نهاية هذه الأبحاث
- ١٨٠ مناقشات عقلية لأسس تأليه المسيح عند دعاة الثالوث
- ١٨٢ عقيدة التثليث في ميزان القرآن الحكيم
- ١٨٦ آيات الحجاج في سورة البقرة
- ١٩٣ آيات الحجاج في سورة آل عمران
- ١٩٤ حديث السورة عن قضية الألوهية
- ١٩٧ حديث السورة عن الرسالة
- ١٩٩ القول القصل في عيسى المسيح
- ٢٠٩ آيات الحجاج في سورة النساء
- ٢١٠ دعوة اليهود إلى الإيمان الصحيح
- ٢١٠ إرشاد النصارى إلى العلاج السليم
- ٢١٣ حقيقة عيسى عليه السلام
- ٢١٤ دعوة النصارى إلى الإيمان الصحيح
- ٢١٦ آيات الحجاج في سورة المائدة
- ٢١٦ أخبار عن أهل الكتاب تؤكد سورة المائدة
- ٢١٧ النداءات الإلهية لأهل الكتاب في السورة
- ٢٢٠ أخبار عن عيسى عليه السلام تؤكد سورة المائدة
- ٢٢١ دلالة قصة المائدة على عبودية عيسى لله تعالى

٢٢٢	ما سيكون من أمر عيسى يوم القيامة
٢٢٣	حكم الله على المغالين في عيسى عليه السلام
٢٢٥	تعليلات مسيحية على الآية الكريمة وردّها
٢٢٨	دعوى مسيحية
٢٢٩	نقض هذه الدعوى وإبطالها
	مناقشات هادئة مع البابا شنودة الثالث
٢٣٢	في محاضراته عن التثليث والتوحيد
	الفصل الثاني

مناقشة القرآن للمسيحيين في صلب المسيح ٢٤٨ - ٢٢٤

٢٤٨	موقف اليهود من صلب المسيح
٢٥٠	قصة صلب المسيح وقيامته عند النصارى عقلا ونقلا
٢٥٠	ثبوت القصة عندهم من جهة النقل
٢٥٠	ثبوت قصة الصلب عند النصارى من جهة العقل
٢٥١	لماذا صلب المسيح
٢٥٣	قصة الصلب بين المسيحية والديانات القديمة
٢٥٥	جدول للمقارنة بين المسيحية والديانات الأخرى في قصة الصلب
٢٦٣	قصة الصلب عند النصارى وأسبابها في ميزان العقل السليم
٢٦٣	نظرة عقلية في أسباب الصلب عند النصارى
٢٦٧	نظرة عقلية في قصة الصلب كما وردت في الأناجيل
٢٧٢	نظرة في أدلة النصارى على صحة الصلب من جهة العقل
٢٧٤	قصة الصلب وأسبابها في ميزان القرآن الحكيم
٢٧٦	تأويل هذه الآيات
٢٨٣	التأويل المسيحي لآيات الصلب في القرآن
٢٨٥	بيان بطلان هذا التأويل

٢٨٦	المسيح عليه السلام
٣٠٠	شبهات المسيحيين حول مسألة صلب المسيح وردّها
٣٠٤	آراء المسلمين في رفع المسيح
٣٠٥	مر اختلاف العلماء في رفع عيسى
٣٠٦	دعائم الرأي الاول وتأويلات أصحابه
٣٠٧	دعائم الرأي الثاني وتأويلات أصحابه
٣٠٩	أدلة أصحاب الرأي الاول على صحة رأيهم
٤١٦	أدلة أصحاب الرأي الثاني على صحة رأيهم
٣٢١	موقفنا من هذه الافكار
٣٢٥	خاتمة
٣٢٦	مراجع الكتاب
٣٣٠	فهرس